

المذكرات الشخصية

مصدراً لكتابة التاريخ

تأليف
مجموعة باحثين

بغداد ٢٠٠١



المذكرات الشخصية
مصدراً لكتابة التاريخ

الباحثون

- العميد المتقاعد خليل ابراهيم حسين الزوبعي
- أ. د. مؤيد ابراهيم الونداوي
- أ. د. سامي عبد الحافظ القيسي
- أ. د. ابراهيم سعيد البيضاني
- أ. د. ابراهيم خليل احمد العلاف
- د. عبد المجيـــــد كامـل
- أ. د. عمـــاد عبد الصـــاحب
- أ. د. أبــو ديــة (الاردن)
- د. محمـــد عويـــد محسن
- أ. د. صادق ياســين الحلو
- أ. د. عماد عبد السلام رؤوف

بغداد ٢٠٠١

تقديـــــم

لا يختلف الباحثون في التاريخ الحديث والمعاصر بشأن أهميـــة الوثيقة في الكتابة التاريخية وفي الاعتماد على المذكرات الشخصية فـــي دعم المعلومات التي تتضمنها الوثائق . مع أن هناك رؤية نافذة ونـــاقدة للواقع التاريخي للمعلومات التي تسلط الضوء على الاحداث التاريخيـــة التي تمثل منعطفاً في التفسير والاستنتاج لاسيما فيما يختص بمؤلفـــات المذكرات الشخصية ، فهي انما تعبر عن رأي كاتبها وصاحب المذكرات فيها حيث تتدخل عوامل عديدة في صياغتها وصياغة مفرداتها اللغويـــة والمشاهدات الشخصية التي كان لصاحب المذكرات دور فيها .

والمكتبة العربية المعاصرة على سبيل المثـــال تزخـــر بكتـــب وثائقية ودراسات اعتمدت الوثائق ، ومن بين هذه كتـــب المذكـــرات . فعلى الرغم مما تحمله هذه المذكرات من انطباعات شخصية قد تتخللـــها المبالغة والتهويل ووجهات نظر شخصية فانها معين للمعلومات لابد منه . فهناك عدد غير قليل من المذكرات الشخصية لأفراد أسهموا مثلا فـــي ثورة مايس كمذكرات السيد رشيد عالي الكيلاني والشهيد صلاح الديـــن الصباغ وطه الهاشمي وتوفيق السويدي والمفتي الحاج أمين الحســـيني وعثمان كمال حداد وعلي جودت الأيوبي وطالب مشتاق ومحمد مـــهدي كبة وناجي شوكت ومحمود الدرة وغيرهم ، علاوة علـــى عـــدد مـــن مذكرات لشخصيات أجنبية معاصرة لأحـــداث الثـــورة نظـــير مذكـــرات تشرتشل وانتوني ايدن وموريس بيترسون وكورديل هل وغيرهم . لذلك فإن أي محاولة لدراسة أحداث الثورة من هذه المذكرات سيكون بالتأكيد من الاسهامات الفاعلة التي تقدم لنا صورة اقرب إلـــى واقـــع احـــداث الثورة من أي مصدر آخر يبعد عنها زماناً ومكاناً .

ولما كانت المذكرات مصدراً للكتابة التاريخية فقد عقـــد قسـم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة ندوة موسعة عبر يومين ٣٠ / ٣١ كانون الأول ١٩٩٨ أسهم فيها عدد من الباحثين العـــرب والعراقيين ببحوث تناولوا فيها جوانب متعددة في الموضوع . وأســـهم الحضـور الكرام اسهاماً ثراً في مناقشاتهم ومداخلاتهم .

فيسر قسم الدراسات التاريخية الذي كان برئاسة الدكتور لبيـد ابراهيم أن يحقق لهذه الندوة تطلعاً طالما فكر به الباحثون ألا وهو طبع الأوراق التي قدموها والوقائع التي شغلتها الندوة .

ومن الله القدير نسأل الموفقية والفلاح

أ.د.عبد الجبار ناجي
رئيس قسم الدراسات التاريخية

خليل ابراهيم الزوبعي
السيد محمود رياض في مذكراته
١٩٤٨- ١٩٧٨ ص١-٥٨٩
البحث عن السلام والصراع في الشرق الاوسط

اقتصرت مذكرات السيد محمود رياض امين عام جامعة الدول العربية الاسبق الموسومة بـ(البحث عن السلام والصراع في الشرق الاوسط ١٩٤٨-١٩٧٨) على الصراع العربي (الاسرائيلي) الذي صاحب القضية الفلسطينية شارحا دور الدول الكبرى التي خلقت المشكلة وخاصة دور الولايات المتحدة الامريكية التي كانت وما تزال تمد (اسرائيل) بكافة انواع الدعم المادي والمعنوي من رغيف الخبز الى طائرة الفانتوم بهدف ادامة تفوقها العسكري على الدول العربية مجتمعة لتحقق شعارها التوراتي (وعد الرب كما يزعمون) (من النهر الكبير [الفرات] الى النيل) الذي وضعه احبار اليهود ونسبوه الى رب العالمين اله الجمع زورا وبهتانا والغريب في الامر ان الكثيرين من رجال السياسة والدين في العالم الغربي يدعمون (اسرائيل) في تحقيق حلمها الاسطوري هذا. كان السيد محمود رياض موفقا كل التوفيق في اظهار الحق العربي المهضوم في فلسطين والدور الامريكي المنحاز كليا بجانب (اسرائيل) دون الاخذ بالاعتبار لمصالحها الهائلة في المنطقة الاقتصادية والبترولية والتجارية والاستراتيجية ودورها في الوقوف ضد أي توحد عربي على اعتبار ان هذا يهدد امن (اسرائيل) حتى وصل الامر بالولايات المتحدة ان تتآمر مع القوى الرجعية العربية وتقضي على اول نواة لوحدة الوطن العربي (وحدة مصر وسورية) في ايلول ١٩٦١ بالتعاون مع حفنة من ضباط الجيش السوري الذين باعوا انفسهم للشيطان مقابل المال.

عزز السيد رياض مذكراته بالوثائق الدامغة التي لا تدحض انـــه لولا الظلم الامريكي الفادح للحق العربي فـــي فلســطين بقيــام الكيــان الصهيوني ولولا المواقف المعادية للامة العربية في كل صغيرة وكبــيرة ولولا امتناعها عن تزويدهم حتى بالاقل القليل من السلاح لردع (اسرائيل) عن اعتداءاتها المتكررة على الدول العربية المجاورة ولولا نكوصها بعد الموافقة على تمويل السد العالي لمـــا اندفعــت مصـــر نحـــو الاتحـــاد السوفياتي حتى وصل الامر الى تدفق الخبراء العســـكريين الســـوفيات عليها والى اشتراك الطيارين الروس مع الطيارين المصرييـــن بالدفـــاع عن اجوائها (وما حيلة المضطر) والى وصول كتائب الدفـــاع الجـــوي السوفياتية للدفاع عن المدن المصرية التي تعرضت للقصف الصهيوني وامريكا تسانده.

احتوت مذكرات السيد محمود رياض على ســبعة عشـــر فصـــلا سابحث فيها بايجاز شديد.

الفصل الاول
بداية النزاع العربي الاسرائيلي

تحدث السيد رياض في هذا الفصل عن ثورة الشريف حسين سنة١٩١٦ ضد الدولة العثمانية احتجاجا على سياساتهم الطورانية القائمة على تتريك القوميات غير التركية بناء على وعد بريطانيا الذي قطعته على نفسها بالعمل على استقلال بلاد المشرق العربي ووحدتها ولكنها في الوقت نفسه عقدت اتفاقا سريا مع فرنسا (اتفاقية سايكس- بيكو) على اقتسام هذه البلاد التي كانت تحت الحكم العثماني فيما بينها وباعلان وعد بلفور سنة١٩١٧ الذي التزمت فيه باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، واقامت حكومة انتداب فيها فسهل تدفق اليهود على ارض فلسطين مما ادى الى توالي ثورات الشعب الفلسطيني فاضطر الحكومة البريطانية الى مناشدة الملوك والرؤساء العرب سنة١٩٣٦ الى التدخل لتهدئة الحالة، واصدرت بريطانيا الكتاب الابيض الذي تعهدت فيه باقامة دولة فلسطين يشارك فيها العرب واليهود، وبانتهاء الحرب العالمية الثانية وبضغط الحكومة الامريكية التي خرجت من الحرب اقوى دولة في العالم احيلت القضية الفلسطينية الى الامم المتحدة التي اصدرت قرارها تحت ضغط الولايات المتحدة ايضا بتقسيمها واقامة دولتين فيها احداها يهودية والاخرى عربية وكان ذلك اشارة للبدء باطلاق قوات الهاجاناه وجيش الوكالة اليهودية بالقيام بالهجمات على القرى العربية وارتكاب المذابح لافرق بين رضيع اوامرأة او الشيخ وكان ابشعها مذبحة دير ياسين المعروفة للعالم اجمع وعلى اثر ذلك هاجر الفلسطينيون من مدنهم وقراهم فرارا من هذه المذابح وعند ذاك دخلت الجيوش العربية للتحرير وظهر اخيرا انها اسلمت قيادتها الى كلوب

باشا الانكليزي" وان هذه الجيوش جاءت للحيلولة دون قيام الدولة الفلسطينية والقضية معروفة.

تكلم السيد محمود رياض في هذا الفصل ايضا عن قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢ وتبنيها سياسة تحرير الاراضي المصرية من الاحتلال البريطاني ومساعدة العرب على تحرير بلادهم المحتلة في كل مكان وخاصة الجزائريين والحصول على السلاح من أي بلد وباي ثمن. لم ترض هذه السياسة الولايات المتحدة وبريطانيا فتراجعت الولايات المتحدة الامريكية عن موافقتها بتمويل السد العالي فكان رد الفعل تأميم قناة السويس لاستخدام عوائدها في تمويل بناء السد وعند ذلك تآمرت بريطانيا وفرنسا واسرائيل لغزو مصر واجهاض سياسات الثورة المصرية بالقضاء على عبد الناصر انتقاما من التأميم او من مساعدة مصر للجزائريين في كفاحهم ضد الاستعمار الفرنسي ورأت إسرائيل فرصتها السانحة للمشاركة مع الدولتين الاوربيتين المشار اليها .. وبتدخل الولايات المتحدة وموقف الاتحاد السوفياتي والشعب العربي وقطع امدادات النفط من العالم العربي وتفجير انابيب النفط العراقية التي تصب في البحر المتوسط. خرجت مصر منتصرة سياسيا واصبح عبد الناصر زعيم العرب الذي لا ينافس وكنتيجة لذلك قامت اول نواة لوحدة عربية في التاريخ الحديث وهي وحدة مصروسوريا في شباط ١٩٥٨ التي قاومتها الولايات المتحدة واسرائيل والدول العربية الرجعية باعتبار ها خطرا يهدد امن إسرائيل والمصالح النفطية الامريكية والغربية فانفرط عقدها في ايلول ١٩٦١ على ايدي بعض النفر الضال من ضباط الجيش السوري الذين باعوا ضمائرهم الى الاجنبي بدراهم معدودات ويا للاسف ويا لهول الكارثة.

الفصل الثاني
جذور حرب حزيران

يبحث السيد رياض عن جذور حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ فيقول ان الرئيس عبد الناصر في السنين الاولى للثورة كان اميل للتعاون مع الولايات المتحدة منه الى الاتحاد السوفيتي بعد ان عاونته الاولى في تحقيق الاتفاق مع بريطانيا لجلاء قواتها عن قناة السويس الا ان الولايات المتحدة سارت على سياسة (من ليس معنا فهو علينا) وخاصة بعد ان جاء لندن جونسون الى الحكم وقد انحاز بالكامل الى(اسرائيل)وقرر قطع العون الاقتصادي عن مصر الذي لم يتجاوز المائة مليون دولار وهكذا انهارت كل جسور التفاهم التي بناها آيزنهاور، فاصبح المسرح السياسي والعسكري ممهدا(لاسرائيل)مما مكنها من ان تواصل تهديداتها العسكرية ضد سوريا حتى وصل الامر باسحاق رابين رئيس اركان القوات الاسرائيلية ان يقول في ١٢ مايس ١٩٦٧ (اننا سوف نشن هجوما خاطفا على سوريا ونحتل دمشق لنسقط الحكم فيها ثم نعود) مما اضطر سوريا ان تشكو(اسرائيل)الى مجلس الامن واضطر عبد الناصر الى اعلان حالة الطوارئ في القوات المصرية التي بدأت تتحرك بعض قواتها الى سيناء. ولابد من الاشارة ان غاية الرئيس عبد الناصر لم تكن الدخول في معركة مع(اسرائيل) ولكن كانت خلق ضغوط عليها تؤدي الى تهدئة الموقف في الجبهة السورية ولكن التقارير والمعلومات توالت على ان(اسرائيل)توالي تحشيداتها العسكرية ضد سوريا وكان احد اهم مصادر هذه المعلومات الاتحاد السوفياتي مما ادى ان يرسل الفريق محمد فوزي رئيس اركان حرب القوات المصرية الى قائد قوات الطوارئ الدولية ان يصدر اوامره الى القوات الدولية التي تتخذ مواقعها على حدود مصر الشرقية بان

تنسحب من مراكزها على الفور ويقول السيد رياض نحن لم نطلب سحب قوات الطوارئ الموجودة في غزة او شرم الشيخ ولكن يوثانت امين عام الامم المتحدة رفض اجراء أي انسحاب جزئي لقوات الطوارئ ولم يعد في استطاعة مصر التراجع عن طلبها وقد ادى ذلك الى ان يصدر المشير عبد الحكيم عامر قرارا متسرعا لا قيمة عسكرية له ولا يشكل أي ضغط عسكري على(اسرائيل)ان تحل القوات المصرية محل القوات الدولية وهذا معناه العودة الى المشكلة القديمة الخاصة بملاحة اسرائيل في خليج العقبة وفي هذه الاثناء وجه الرئيس جونسون رسالة الى الرئيس جمال عبد الناصر اكد فيها على حسن نياته مشيدا بجهود عبد الناصر في مجال التنمية الاقتصادية وعن اهمية حل النزاعات بالطرق السلمية مقترحا ان يقوم نائبه هيربت همفري بزيارة مصر راجيا الا تكون مصر هي البادئة باطلاق النار وفي اليوم نفسه ٢٣/ مايس ١٩٦٧ تسلم الرئيس عبد الناصر رسالة من الحكومة السوفياتية ترجوه فيها ان لا تكون مصر هي البادئة باطلاق النار يقول السيد رياض ان رسالة جونسون كانت اكبر عملية خداع في التاريخ يقوم بها رئيس امريكي على الاطلاق لصالح بلد ضد بلد اخر اذ تبين بعد ذلك ان جونسون وكبار مستشاريه اجتمعوا مع وزير خارجية اسرائيل لبحث الموقف في المنطقة وبعد الاجتماع قال جونسون لمساعديه (ان اسرائيل سوف تضربهم).

قام الرئيس عبد الناصر بالرد على رسالة جونسون في ٢ حزيران مؤكدا ان مصر لن تكون هي البادئة باطلاق النار ورحب بزيارة همفري وذكر انه على استعداد لارسال نائبه زكريا محي الدين الى واشنطن ووافق جونسون على استقباله في يوم ٥ حزيران وهو اليوم الذي شنت فيه(اسرائيل)عدوانها على مصر والقائد العام المشير عامر لم يكن في مركز قيادته وانما كان متوجها الى احد القواعد جوا

مصطحبا معه في الطائرة عدد كبير من كبار القادة العسكريين وكـــانت القيادات مجتمعة في المطار لاستقباله ومما زاد الامر سوءا ان الاوامـر صدرت لاجهزة الدفاع الجوي بعدم الاشتباك مع الطيران الصهيوني خوفا على سلامة طائرة المشير. هذا ولابد من الاشـــارة الـــى ان اشـــارتين انذاريتين مبكرتين وصلت احداهما من الاردن ووصلـــت الاخـــرى مـــن سيناء، ولكن عدم وجود قيـــادة مخولـــة بـــالتصرف ادى الـــى اهمـــال الانذارين ليس هذا فحسب ولكن المشير عامر اصدر امره الى القـــوات المصرية بالانسحاب مساء ٦ حزيران الى غرب القناة وكان هذا امـــرا مستحيلا ولا غرابة في كل ما حدث اذا ما تولى قيادة الجيش المصـــري رائد لم تمكنه التجارب والاشتراك بالمناورات العسكرية والمعارك رفـــع الى رتبة لواء دون النظر الى ما تعارفت عليه جيوش الامـــم الاخـــرى وبهذا الخصوص واخيرا وبعد المناورات السياسية اصدر مجلس الامـــن قرارا يوم ٧ حزيران يطلب فيه ايقاف كافة العمليات العسكرية وبـــالرغم من ذلك استمرت القوات الصهيوني في تقدمها في كافة الجهات وفـــي يوم ٩ حزيران اعلن الرئيس عبد الناصر (بعد ان شرح ما جرى بكـــل صراحة) انه يتحمل المسؤولية كلها وحده ومن ثم قـــرر التنحـــي عـــن الرئاسة وتكليف زكريا محي الدين بتولي منصـــب رئيـــس الجمهوريـــة وعند ذلك قامت التظاهرات العفوية في جميع المدن المصريـــة والوطن العربي تطالبه بالعدول عن قراره فكان لها ما ارادت وهكذا حلت النكبـــة بالوطن العربي بتآمر الولايات المتحدة الامريكية وخداع جونسون وتـــودد الاتحاد السوفياتي باتخاذ موقف حاسم وعدم اهلية المشير عامر للقيادة.

الفصل الثالث
البناء من الصفر حتى الخرطوم

بحث السيد محمود رياض في هذا الفصل جهود عبد الناصر وتصميمه على اعادة بناء الجيش ومعالجة الوضع الاقتصادي السيء (وخاصة بعد اغلاق قناة السويس وفقدان عوائدها المالية) والعمل على تحقيق التضامن العربي وعلى الحصول على اكبر دعم ممكن عسكريا واقتصاديا من الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية بين الدول العربية ومحاولة التخفيف من الانحياز الامريكي الكامل(لاسرائيل) وبمجرد ان استرد عبد الناصر تأييد الشعب له في ٩ ، ١٠ حزيران بدأ عمله على الفور بتعيين الفريق اول محمد فوزي قائدا عاما للقوات المسلحة وتوليه بنفسه رئاسة الحكومة كما بدأت وفود الاتحاد السوفياتي وعلى اعلى المستويات تصل الى مصر لبحث اعادة البناء للوصول الى التوازن العسكري بين مصر(واسرائيل)تحقيقا لعودة(اسرائيل)الى خطوط ٤ حزيران عن طريق الحل السلمي ان امكن ذلك والا بالحرب.

وفي زيارة بود غورني يوم ٢١ حزيران ١٩٦٧ الى القاهرة قال:

ان التعاون المشترك بين مصر والاتحاد السوفياتي سينهي المصاعب التي تواجهها مصر حاليا وانه ابلغ موسكو برغبة مصر في ادخال سفن من الاسطول السوفياتي الى مياه البحر المتوسط لتتوازن مع سفن الاسطول الامريكي وان موسكو تقوم حاليا بدراسة عاجلة لاحتياجات مصر.

رد عليه عبد الناصر قائلا: ان امامنا ايام صعبة يتعذر علينا التغلب عليها وحدنا ولا يوجد امامنا سوى طريقين:-

إما الاستسلام للولايات المتحدة واما النضال والقتال من اجل حريتنا ولان النضال يستهدف هذه المرة تحرير اراضينا بقوة السلاح فنحن على استعداد لتقديم تسهيلات لسفن اسطول الاتحاد السوفيايتي من بورسعيد الى السلوم وفي ٣/ تموز غادر بود غورني القاهرة بعد ان اطمأن عبد الناصر ان فرص نجاح عملية بناء القوات المسلحة كبيرة ولاسيما بعد وصول برقية من موسكو بالموافقة على طلبات مصر بدعم الدفاع الجوي.

بدأ عبد الناصر يلتفت الى الوضع العربي وتوجيه الرأي العام العربي ضد مواقف الولايات المتحدة المعادية لمصالح الامة العربية وكان لموقف الملك حسين في هذه الفترة تأثير كبير على عبد الناصر حيث دخل الحرب تضامنا مع مصر مما كلفه فقدان الضفة الغربية وبناء على ذلك كتب عبد الناصر في ٢٢ حزيران الى الملك حسين رسالة قال فيها (ان مصر على استعداد لان تربط اقدارها ربطا كاملا ونهائيا بقضية شعب الاردن البطل تحت قيادتك الوطنية التي اثبتت اخلاصها لشعبها في اكثر الظروف صعوبة وخطورة واننا على استعداد لان نضع كل ما نملك في خدمة المصير المشترك. وفي لقاء عبد الناصر مع الملك حسين في القاهرة الذي كان في طريقه الى اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة قال عبد الناصر ان مصر سوف تقسم رغيف الخبز الى نصفين نصف لكم ونصف لنا وقال ان مصر تفتح باب الحل السلمي بالنسبة للضفة الغربية وانها لن تقف ضد الثمن الضروري للحصول على هذا الحل فيستطيع الملك حسين ان يلتزم لامريكا بانهاء حالة الحرب مع(اسرائيل) ويستطيع ايضا ان يلتزم باتفاق للدفاع المشترك مع الولايات المتحدة ولكن الولايات المتحدة لن تقوم باي ضغط على(اسرائيل) للانسحاب من القدس والضفة الغربية.

يقول السيد محمود رياض في الاول من آب/ ١٩٦٧ اجتمع وزراء الخارجية العرب في الخرطوم تمهيدا لاجتماع مؤتمر قمة عربي والذي حضرته جميع الدول العربية عدا سوريا وكانت المفاجأة كاملة في الجلسة الرسمية للمؤتمر عندما اثير موضوع الدعم وانصبة الدول البترولية، فرفع الملك فيصل يده مشيرا باصابعه الخمسة محددا ان السعودية ستساهم بخمسين مليون جنيه استرليني من اجمالي المبلغ المطلوب وهو ١٣٥ مليون جنيه استرليني وقرر الكويت انه سيدفع ٥٥ مليون وليبيا ٣٠ مليون جنيه وهكذا حصلت مصر على ٩٥ مليون جنيه والاردن ٤٠ مليون جنيه وفي ختام المؤتمر صدر البيان الختامي ووافق الجميع على اللاءات الثلاثة لاتفاوض ولااعتراف ولاصلح مع اسرائيل والتمسك بالحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني وتقديم الدعم السنوي لمصر والاردن وهكذا بدأت مرحلة جديدة في البحث عن السلام في الشرق الاوسط.

الفصل الرابع
اسرار القرار ٢٤٢

يتحدث السيد محمود رياض في هذا الفصل ليبيـــن ان الجمعيـة العامة عجزت في دورتها الطارئة في حزيران ١٩٦٧ عــن اقــرار أي مشروع ينص على انسحاب(اسرائيل)من الاراضي التـي احتلتـها الـى مواقع ٤ حزيران بفضل الموقف الامريكي المنحاز بالكامل الى(اســرائيل) حتى وصل الامر بامريكا ان تراجعت عن كــل مــا الــتزمت بـه مـن مشروعات مع الاتحاد السوفياتي تتركز على انسحاب(اسرائيل)من جميع الاراضي العربية مقابل انهاء حالة الحرب بين الدول العربية(واســرائيل) لذلك رأت مصر عرض الموضوع على مجلس الامن مباشرة في اجتماع الجمعية العامة في دورتها القادمة في ايلول يقول السيد محمود ريــاض سافرت في الاسبوع الثالث من ايلول ١٩٦٧ لحضور اجتماع الجمعيــة العامة ولم تكن هناك اية صعوبة في الاتفاق مع اعضاء مجلس الامــن على الانسحاب الشامل للقوات(الاســرائيلية)المعتديــة الــى مواقــع ٤ حزيران ولكن الصعوبة كانت تتأتى من ارثر كولدبرج (يهودي) ممثــل الولايات المتحدة الذي كان يقوم بدور المحامي عن(اسرائيل)والذي يصر على ان مصر هي التي بدأت الحرب باغلاقها خليج العقبة، فــي وجــه الملاحة الاسرائيلية ويرفض كل الحجج القانونية التي تدحــض وجهــة نظره ومعنى هذا ان استصدار قرار من مجلس الامن كان مرهونا مــن الناحية العملية بموافقة المندوب الامريكي والمجلس.

كان المندوب الامريكي يريد ان يفصل بين القضيــة الفلســطينية التي هي لب الصراع وبين نتائج حــرب ٤ حزيــران حيــث يقــول ان حكومته ترى ان تقتصر المشاورات بشأن مشروع قرار مجلس الامــن على نتائج حرب ٤ حزيران دون التعرض الى القضية الفلسطينية والتي هي لب الصراع.

واخيرا تحدث مندوب الولايات المتحدة مع اللورد كارا دون مندوب بريطانيا في الامم المتحدة عن ضرورة التوفيق بين المشروع الامريكي الذي ترفضه مصر وبين المشروع الذي قدمته الهند ونيجريا ومالي وبعد المداولات والمناورات قابل مندوب بريطانيا السيد محمود رياض ومعه مشروع القرار الذي يقترح التقدم به الى مجلس الامن وكان نص المشروع هو (ان مجلس الامن اذ يعبر عن قلقه المستمر ازاء الموقف الخطير في الشرق الاوسط واذ يؤكد على عدم جواز الاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب والحاجة الى العمل لاحلال سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تعيش في امان واذ يؤكد ايضا ان جميع الدول الاعضاء عندما قبلت ميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقا للمادة الثانية من الميثاق الخ (وقد درجت المادة في هذا القرار).

ويقول السيد محمود رياض وهنا سألت اللورد كارا دون لماذا كلمة اراض وليس الاراضي وهل هذا معناه جلاء القوات(الاسرائيلية) عن بعض الاراضي وليس كلها ؟ رد اللورد كرادون بالقطع لا ان النص يعني كل الاراضي وليس بعضها هذا ولابد ان يشار ان مشروع القرار الذي قدمه الوفد الامريكي باللغة الانكليزية حذف (ال) التعريف اما النص المكتوب في بقية اللغات الرسمية التي اعتمدتها الامم المتحدة فـال التعريف هذه موجودة.

اما في التطبيق العملي فلم تستجب(اسرائيل)بدعم من الولايات المتحدة حتى هذا التاريخ لهذا القرار ان كانت كلمة اراض معرفة او غير معرفة وعلى اية حال جرى التصويت على القرار الذي سيعرف باسم القرار ٢٤٢ فحصل على اجماع الاصوات والعبرة بالافعال لا بالاقوال.

الفصل الخامس
معركة الضغط على مصر من اجل الحل المنفرد

عين السكرتير العام للامم المتحدة جونار يارنج ممثلا له لتنفيذ القرار ٢٤٢ وباشر مهمته في كانون الاول ١٩٦٧، كانت(اسرائيل)تضع العراقيل امام الوسيط الدولي وتطالبه بالمفاوضات المباشرة التي لم ترد في نص القرار ٢٤٢ والقت امريكا بكل ثقلها وراء الضغط على مصر من اجل الحل المنفرد لاخراجها من حلبة الصراع العربي(الاسرائيلي)

ارسل نكسون رئيس الولايات المتحدة رسالة الى الملك فيصل ملك السعودية الذي ابلغها في ١٢ نيسان ١٩٦٨ الى الرئيس جمال عبد الناصر ومما جاء فيها (انه بينما لا نستطيع ان نضمن ان الاردن سيسترد كل شيء وان بعض التعديل قد يكون مطلوبا لاقامة حدود دائمة، وبينما يجب ان يكون هناك انسحاب للقوات فانه يجب ان يكون انسحابا الى حدود امنة ومعترف بها من قبل كل الدول وليس بالضرورة الى خطوط الهدنة القديمة ومع ذلك يجب ان يتم تعويض هذا بتعديلات مناسبة مقابل التغيير في تلك المنطقة.)ويقول السيد محمود رياض ومما يساعد(اسرائيل)وامريكا على بغيتهما هو الخلافات العربية التي تشكل عقبة امام تحقيق اقامة جبهة شرقية فقد كان لسوريا تحفظات عديدة من سياسة الملك حسين في حين كانت بغداد تشكو من ان هناك نشاطا سوريا معاديا للنظام العراقي وعندما اجتمعت بالزعيم السوفياتي في زيارتي لموسكو في ١٨ نيسان بعد تعثر مهمة يارنج قال بريجينيف في اثناء هذا الاجتماع الذي دام ثلاث ساعات انه من الواضح من التحليل السياسي ان الحل السياسي قد اصبح بعيدا عن التحقيق وانه لابد من اللجوء للعمل العسكري في تحرير الارض العربية واهمية استخدام البترول كسلاح في دعم الموقف العربي وضرورة اعادة بناء الجيش

الذي يحتاج الى سنتين وتوحيد الجبهة الداخلية وحشد الجهود العربية في تحقيق ذلك وقال بريجينيف انه في الوقت الذي نواصل فيه الجهود السياسية فان الاتحاد السوفياتي سيستمر في ارسال الخبراء والمدربين والمعدات العسكرية الى ان يصبح الجيش المصري قادرا على تحرير الارض العربية وقدر بريجينيف المدة اللازمة لذلك بسنتين في الاقل ويقول السيد رياض وعند عودتي الى القاهرة وجدت السفير البريطاني قد قابل الرئيس عبد الناصر في محاولة منه لاقناعه بقبول التفاوض المباشر الا ان الرئيس عبد الناصر قال له ان مصر ترفض الجلوس على مائدة مفاوضات مع(اسرائيل) لانها في هذه الحالة ستكون مائدة استسلام لا مائدة مفاوضات هكذا اصبحت المشكلة عملية استقطاب في المنطقة بين الولايات المتحدة المنحازة بالكامل(لاسرائيل)وتريد ان تفرض على مصر شروطها وقبولها بالحل المنفرد وبين الاتحاد السوفياتي الداعم لموقف مصر الداعي الى انسحاب(اسرائيل)الى مواقع ٤حزيران وبالطبع هو الاضعف لانه مضطر لمساعدة مصر في تغيير هذا الامر الواقع نفسه بقوة السلاح.

الفصل السادس
الصراع من اجل التسوية الشاملة

يقول السيد محمود رياض في هذا الفصل الذي سماه بـ(الصراع من اجل التسوية الشاملة) شهدت المنطقة في العام١٩٦٩ تغييرات جوهرية فقد قام الجيش في السودان بثورة تزعمها جعفر نميري في مايس ١٩٦٩ ثم تبعته ثورة اخرى في ليبيا في الاول من ايلول من العام نفسه بقيادة معمر القذافي وادى هذا التطور الى تأكيد خطأ الولايات المتحدة في تقديرها لمجرى الاحداث في المنطقة فبدلا من ان يؤدي عدوان(اسرائيل)الى انقلاب داخلي في مصر فقد ادى الى ثورات تتعهد منذ اللحظة الاولى لقيامها بتقديم المزيد من التأييد لمصر وعلى هذا فان ما كانت تنتظره الولايات المتحدة(واسرائيل)من ان الهزيمة العسكرية ستؤدي الى عزل عبد الناصر وسقوطه قد باء بالفشل بل بالعكس ادت الهزيمة الى مزيد من الالتفاف العربي حوله وان الذي بدأ يعاني من العزلة في الشرق الاوسط لم يكن عبد الناصر وانما كانت الولايات المتحدة الامريكية وظهر ايضا ان هاتين الثورتين في كل من ليبيا والسودان لم يكونا دعما سياسيا لمصر فقط بل كانا يمثلان كذلك من الناحية العسكرية دعما ستراتيجيا مما مكن مصر في مرحلة تالية من نقل الكلية الحربية الى السودان والكلية البحرية الى ليبيا حتى لا يتعرضان للغارات الجوية. ليس هذا فحسب ولكن القذافي طالب الولايات المتحدة بانهاء وجودها العسكري والرحيل من قاعدة هويلس، هذه التطورات ادت الى تنبيه الاصوات العاقلة داخل الولايات المتحدة والحريصة على المصالح الامريكية في المنطقة على خطورة استمرار الانحياز الامريكي الكامل(لاسرائيل)على هذه المصالح وعلى كل الانظمة السياسية العربية التي ما زالت تعتبرها الولايات المتحدة معتدلة

(بالمقاييس الامريكية) هذا اضافة الى تمكن مصر من بناء جيشها بمساعدة الاتحاد السوفياتي ومن اشراك الطيارين السوفيات في الدفاع عن العمق المصري رغم الغارات الجوية (الاسرائيلية) التي كانت تلقي على مصر ما يقرب من الف طن من القنابل يوميا تبلغ قيمتها حوالي مليون جنيه استرليني بهدف ارغام مصر على وقف حرب الاستنزاف هذا ولابد من الاشارة الى ان (اسرائيل) في غاراتها لم تفرق بين الاهداف المدنية كالمدارس والمصانع وبين الاهداف العسكرية.

يقول السيد محمود رياض كانت اول اشارة الى وجود تغيير في الموقف الامريكي هي الرسالة التي تلقيتها في ٩ تشرين الثاني ١٩٦٩ من روجرز وزير الخارجية الامريكية وتتضمن مقترحات امريكية جديدة من عشرنقاط منها ان الولايات المتحدة الامريكية ترى عدم صلاحية الحل المنفرد وانها تسعى الى التسوية الشاملة وتقترح اسلوبا جديدا للتفاوض هو نفس الاسلوب الذي اتبع في مفاوضات رودس ١٩٤٩ وان يتم ذلك تحت اشراف السفير يارنج وكانت لي بعض التحفظات على بعض النقاط الواردة في مشروع روجرز منها موقف الولايات المتحدة بالنسبة للجبهات الاخرى في الاردن وسوريا. وعندما اعلن وليم روجرز مشروعه في ٩/ كانون الاول ١٩٦٩ بادرت (اسرائيل) الى اعلان رفضها له في اليوم التالي مباشرة.

هكذا فشل الحل السلمي لرفض (اسرائيل) لكل مشاريع التسوية الشاملة المقترحة والموقف الامريكي المنحاز بالكامل والذي يرفض الضغط على (اسرائيل) وبناء على ذلك تقرر عقد مؤتمر قمة عربي في الرباط. يقول السيد رياض وقبل عقد المؤتمر اعددنا تقريرا عن اقتصاديات كل دولة عربية ودخلها القومي ونسبة مساهمتها في دعم دول المواجهة وعندما بدأ الملوك والرؤساء في بحث موضوع الدعم اللازم لدول المواجهة سواء بالمال او بالسلاح تقدمت وفود عديدة

بمقترحات مختلفة وطالت المناقشة واشترك الرئيس الليبي معمر القذافي في المناقشة وكان شديد الحماسة لمساعدة مصر والرئيس عبد الناصر فطالب الملك فيصل بزيادة الدعم الذي تقدمه السعودية وهنا التفت الملك فيصل نحوي وقال اخ رياض أليست الدراسة الاقتصادية التي وضعتها مصر تفيد بان السعودية تدفع ١٢% من دخلها السنوي بينما تدفع ليبيا ٤% فقط واجبت قائلا هذا صحيح عندئذ ذكر فيصل انه يجب اولا ان تدفع الدول العربية الاخرى النسبة نفسها التي تدفعها السعودية قبل ان تزيد السعودية من المبلغ الذي تدفعه واستمرت المناقشات دون ان يشترك فيها عبد الناصر ثم فوجئ الجميع بعبد الناصر بعد ان نفد صبره يقف ويغادر قاعة الاجتماع، وبخروج عبد الناصر من المؤتمر لم تصدر قرارات عن المؤتمر وكانت النتيجة الطبيعية لفشل المؤتمر انه لم يعد امام عبد الناصر سوى الاعتماد كليا على الاتحاد السوفياتي اقتصاديا وعسكريا سافر عبد الناصر الى موسكو في الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٧٠ وعاد في الخامس والعشرين منه ونجح خلال مباحثاته في الحصول على قرارات مهمة من القادة السوفيات لدعم القدرات الدفاعية المصرية منها:

قيام الاتحاد السوفياتي بامداد مصر بكتائب وتشكيلات كاملة من قوات الدفاع الجوي السوفياتي الى ان تتم الوحدات المصرية تدريباتها بالاتحاد السوفياتي وكان من بينها كتائب صواريخ سام ٣ ارض- جو وعدد اخر من الطيارين السوفيات للاشتراك في الدفاع عن الملحق المصري على ان تقتصر على ضمان العمق المصري اما الاشتباك مع الاسرائيليين في الجبهة فهومن مهمات المصريين وبعد عودة الرئيس عبد الناصر من موسكو رأى ان يستعيض عن العمل العربي المشترك بعمل مشترك مع دول المواجهة (سوريا والاردن والعراق والدول المعاونة كل حسب قدرته في المشاركة، وحتى يمكن لسوريا والاردن

القيام بدورهما على اكمل وجه كان اسهام العراق في الجبهة الشرقية حاسما الى حد كبير لكن العراق كان يشكو من شاه ايران الذي كان يثير المشاكل والمتاعب له مما يؤدي الى تجميد وحدات كبيرة من الجيش العراقي على الحدود وقد حاول الملك حسين اقناع شاه ايران بعدم اثارة ما يعطل دور العراق في مساهماته في الجبهة الشرقية ولكن مساعي الملك حسين لم تكلل بالنجاح كما ان العراق كان يشكو سوريا ايضا وسوريا تشكو الاردن وتعترض على سياسات الملك حسين.

ويقول السيد محمود رياض ومع كل هذا ركزنا خلال هذه الفترة على تقوية الجبهة الشرقية حتى تستطيع المشاركة في معركة التحرير مما ادى الى توقيع اتفاقية بين مصر وسوريا في ١/ ١/ ١٩٧٠ انبثق عنها تشكيل القيادة السياسية للمعركة وفي يوم ٢٠ حزيران قدم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة مبادرة جديدة وهي اكثر جدية في السعي نحو السلام القائم على التسوية الشاملة، وفي يوم ٢٥ حزيران القى الرئيس عبد الناصر خطابا والذي كان في زيارة الى ليبيا...في بني غازي قال فيه: ايها الاخوة اليوم نحن لا نحارب(اسرائيل)وحدها ولكن نحارب(اسرائيل)التي تدعمها الولايات المتحدة اننا في مصر نتعرض كل يوم لغارات جوية تقوم بها مابين ٨٠ الى ٢٠٠ طائرة في اليوم الواحد ولكننا مع هذا لم نستسلم ابدا ولم نقبل ابدا ان تفرض علينا شروط (اسرائيل)او تفرض علينا شروط امريكا ان(الاسرائيليين)يركزون غاراتهم الان على منطقة القناة حتى لا يمكن للجيش المصري ان يعبيء قواته ويحشد جهوده لعبور القناة وتحرير الارض ولكننا سنتمكن في وقت قريب جدا من ان نواجه التفوق(الاسرائيلي)ونقوم بالعبور.

الفصل السابع

المواجهة في جبهتين ووقف اطلاق النار

يتكلم السيد محمود رياض في هذا الفصل الذي سماه (المواجهة في جبهتين ووقف اطلاق النار) عن مبادرة روجرز في تنفيذ القرار ٢٤٢ وعن دراسة وزارة الخارجية المصرية التي جاء فيها ان هناك احتمالين اولا ان الولايات المتحدة تسعى فعلا الى تنفيذ القرار ٢٤٢ بعد ان تمكنت مصر من الصمود وشعور الولايات المتحدة بتعرض مصالحها الى الخطر في المنطقة العربية وزيادة الوجود العسكري السوفياتي.

ثانيا- ان الاحتمال الاخر هو ان تكون المبادرة الامريكية مجرد مناورة جديدة لصالح (اسرائيل) وفي هذه الحالة تكون الولايات المتحدة قد تقدمت فيها لاحالة الموضوع من جديد الى يارنج ولكن في تقدير وزارة الخارجية للموقف ان الاحتمال الاول هو الاقرب الى الواقع وفي الوقت نفسه كان عبد الناصر قد طلب من الفريق محمد فوزي وزير الحربية دراسة عن الموقف العسكري في حالة القبول بالمبادرة قائلا:

ان جميع حساباتنا يجب ان تقوم من الناحية العسكرية على اساس ان فترة وقف اطلاق النار وهي ثلاثة اشهر، فاذا انتهت دون تحقيق الانسحاب (الاسرائيلي) الشامل مما يستدعي استئنافنا للعمليات العسكرية الى ان تبدأ عمليات التحرير في موعد يتجاوز ربيع عام ١٩٧١.

يقول السيد محمود رياض سافر عبد الناصر الى موسكو يوم ٢٩ حزيران ١٩٦٧ وبدأت المباحثات وقال عبد الناصر ان مصر تتعرض للغارات الجوية (الاسرائيلية) تساعدها الولايات المتحدة بمعدات الكترونية متطورة واشار الى الخسائر المصرية التي بلغت في شهر مايس وحده

حوالي ١٠٠٠ قتيل وجريح ومع ذلك فان الجنود والضباط المصريين يواجهون تلك الخسائر بروح معنوية مرتفعة جدا وثقة اكيدة في قدرتنا المتزايدة على ان ننزل باسرائيل خسائر لا تستطيع تحملها، وفي اثناء المباحثات تكلم بريجنيف عن الوحدة المقترحة بين ليبيا وسوريا ومصر وابدى عدم ارتياحه لها في الظروف الحالية ودار نقاش حولها لم يسفر عن نتيجة ثم عاد المجتمعون للبحث عن المبادرة الجديدة وهل ان امريكا جادة فعلا لايجاد حل سلمي مقبول؟. وهل ان(اسرائيل)ستستجيب لهذا الحل؟ وهل ان الولايات المتحدة ستستخدم الضغط على(اسرائيل)؟ وهنا قال عبد الناصر اننا على استعداد لقبول الحل السلمي والاقرار بوجود اسرائيل بالرغم من المعارضة العربية والسماح لهم بحرية المرور في قناة السويس ولكن على(اسرائيل)قبل ذلك ان تنسحب من جميع الاراضي المحتلة بما فيها القدس وتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني وقال عبد الناصر انى اتفق مع الرئيس بريجينيف في انه لا يوجد فعلا ما يمكن ان يسمى مبادرة واذا كنا نريد حلا سلميا عادلا للعرب فانني واثق بان الولايات المتحدة لن تقدم لنا مثل هذا الحل لانهم يريدون التخلص منا في مصر قبل كل شيء ثم بعدها السيطرة على مصر كلها لتكون اداة لخدمة مصالحها في المنطقة من هنا فنحن نود الاتفاق معكم على الرد وقد فهمنا منكم عدم الرفض للمبادرة من حيث المضمون وقال: اننا وبعد ان اصبحنا اقوياء نقبل المبادرة الامريكية من موقع القوة ومن ثم فمفاوضاتنا ستكون على هذا الاساس ولن تكون طويلة.

يقول السيد محمود رياض وبمجرد عودتي الى القاهرة قمت باعداد ردي على مبادرة روجرز برسالة بعثها ليرجي ممثل المصالح الامريكية في القاهرة واثرت معه في مقابلتي له الموقف في سوريا وان المبادرة لا تغطي سوى الجبهتين المصرية والاردنية فرد قائلا ان

المبادرة تشمل سوريا بمجرد اعلانها قبول القرار ٢٤٢ الذي ينص على عدم جواز اكتساب اراض عن طريق القوة اما بالنسبة لحقوق الشعب الفلسطيني فان الحكومة الامريكية ترى انه ليس صعبا التوصل الى مشروع ما يدخل الفلسطينيين في التسوية وان الولايات المتحدة ترجو مصر ان تترك لها حرية اختيار الاسلوب المناسب في هذه المرحلة ولكن لم اكن اريد ان نترك شيئا للاجتهادات فقد قمت بتحديد موقفنا على اساس تمسكنا بنقطتين

اولا: الانسحاب(الاسرائيلي) الشامل من جميع الاراضي العربية المحتلة
ثانيا: التمسك بالحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني كما حددتها قرارات الامم المتحدة.

ويقول السيد محمود رياض وهكذا قررت الحكومة الصهيونية بعد اجتماع لها في ٣١ تموز الموافقة على المبادرة واخطرت الولايات المتحدة بذلك وبعد كل هذا قامت الولايات المتحدة بتزويد(اسرائيل) بـ١٨ طائرة فانتوم وتبع ذلك اعلان(اسرائيل)في ١٦ ايلول رفضها لاجراء أي اتصال مع يارنج فكان هذا تواطئا مكشوفا للقضاء على المبادرة التي اقترحها روجرز من قبل(اسرائيل).

يقول السيد محمود رياض لقد استدعيت برجس الى مكتبي يوم ٤/ ايلول وسلمته مذكرة بوجهة نظرنا ولكنها لم تغير في الاتجاه الامريكي الجديد بقول الرأي(الاسرائيلي)على رفض المذكرة ومع اقترابنا من موعد التسعين يوما لوقف اطلاق النار هذا الموعد الذي ستقرر فيه مرحلة جديدة من الصراع وقعت كارثتان متتابعتان غيرتا كل شيء.

الفصل الثامن
وفاة عبد الناصر

يبحث السيد محمود رياض في هذا الفصل الذي سماه (وفاة عبد الناصر) عن الصدام الذي وقع بين الملك حسين والمقاومة الفلسطينية ويقول ان الخط الرئيس للسياسة المصرية في هذا المجال يعتمد على ضرورة المحافظة على حركة المقاومة وتناول الصدام مع السلطة الشرعية في كل من الاردن ولبنان. ولكن بعض فصائل المقاومة تقول ان لا مانع من احتلال(اسرائيل)لمزيد من الاراضي العربية كرد فعل للاعمال الفدائية الفلسطينية اذ سيدفع بالدول العربية لتعبئة مواردها وامكاناتها للتصدي للعدوان(الاسرائيلي)وتحرير فلسطين في النهاية وعندما حضر الملك حسين الى القاهرة في الاسبوع الثالث من آب ١٩٧٠ ابدى تبرمه من تصرفات المقاومة ولكن عبد الناصر رجاه ان يأخذهم بالصبر حتى لو اخطأوا وذلك من اجل الشعب الاردني والشعب الفلسطيني ولكن لم يمر اسبوعان على زيارة الملك حسين الا وتفجر الموقف بين المقاومة والسلطة الاردنية وعند ذاك عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا طارئا لبحث الموقف المتفجر في الاردن وشكل لجنة لهذا الغرض سافر على اثرها امين عام الجامعة العربية. وزاد الموقف سوء اختطاف اربع طائرات مدنية فجرت ثلاث منها في مطار المفرق والرابعة في مطار القاهرة بعد ان اطلق سراح جميع الركاب مما اضطر اللجنة المركزية لتحرير فلسطين ان تصدر بيانا تجمد فيه عضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي قامت بالاختطاف والتفجير، على اثر ذلك تشكلت حكومة عسكرية في الاردن في ١٥/ ايلول ١٩٧٠ برئاسة العقيد محمد داود (فلسطين).

يقول السيد محمود رياض عقد مجلس الجامعة العربية جلسة استثنائية لبحث الموقف الذي ازداد اشتعالا بعد ان رفض الفلسطينيون الطلب الاردني بتسلم اسلحتهم ومن الناحية الاخرى كانت بعض المصادر الامريكية تلح على التدخل(الاسرائيلي)وعززته بتحرك الاسطول الامريكي السادس في شرق البحر المتوسط ووصول الطائرات الامريكية الى قواعدها في تركيا وازاء فشل جهود الجامعة العربية في احتواء الموقف وتربص(اسرائيل)بسوريا ووصول رسالة من موسكو تشير فيها الى خطورة الموقف بسبب التحركات العسكرية(الاسرائيلية)المدعومة من الولايات المتحدة واشتداد القتال بين المقاومة والجيش الاردني رأى عبد الناصر ان الامر يتطلب مجهودا عربيا مشتركا لوقف القتال وهكذا بادر عبد الناصر بالابراق الى الحكومة السورية يطلب منها عدم التدخل عسكريا ثم دعا الى اجتماع عاجل للملوك والرؤساء العرب يعقد في القاهرة ويبدأ مشاوراته مساء ٢١/ أيلول وفي اثناء ذلك اعلن محمد داود رئيس الحكومة العسكرية الاردنية الجديدة استقالته من منصبه وهو في القاهرة وقد جاء موفدا من الملك حسين الى مؤتمر القمة العربي واخيرا طلب الملك حسين حضور المؤتمر فكان له ما اراد وبعد المناقشات والاخذ والرد في اكثر من خمس ساعات من الجدل والحوار توصل المجتمعون الى اتفاق ينص على

اولا- ايقاف اطلاق النار فورا في جميع المواقع الاردنية

ثانيا- انسحاب الجيش الاردني ورجال المقاومة من كافة المدن قبل مغرب اليوم نفسه

ثالثا- تكليف لجنة برئاسة الباهي الادغم رئيس وزراء تونس ممثل الرئيس ابو رقيبة بالسفر الى الاردن في اليوم التالي (الاثنين ٢٨/ ايلول) لمتابعة الاتفاق

لقد تم اعلان هذا الاتفاق في جلسة علنية مذاعة على الهواء وبذلك توقفت اكبر مأساة تعرض لها العالم العربي منذ هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧.

لقد كان احتواء الازمة انجازا ضخما قام به عبد الناصر وهو مريض نصحه الاطباء بالخلود الى الراحة قبل حدوث هذه الازمة.

في مساء يوم ٢٨/ ايلول اسلم عبد الناصر الروح فبكته الملايين لقد مات جمال عبد الناصر الرجل الذي تركت زعامته بصماتها ليس على تاريخ بلده فقط وانما على تاريخ المنطقة باسرها مات بعد ان قاد امته في احلك واشد لحظاتها واستطاع في كل مرة ان يواجه قوى اكبر واضخم واخطر من أي قوة واجهها العالم العربي في اية لحظة سابقة عبر تاريخه ولم يشهد تاريخ الشرق الاوسط كله مشهدا كذلك الذي حدث في تشييع جنازة جمال عبد الناصر الذي جرى يوم الخميس اول تشرين اول لم تتسع شوارع القاهرة وميادينها لكل تلك الملايين التي احتشدت فيها محاولة القاء نظرة على نعش زعيم اعطاهم حياته حتى اللحظة الاخيرة.

يقول السيد محمود رياض: وسط الوجوم والدهشة والمرارة على وجوه الحاضرين بدأ الاجتماع الطارئ المشترك بين اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ومجلس الوزراء في الساعة التاسعة والنصف من مساء يوم ٢٨/ ايلول برئاسة انور السادات الذي كان الرئيس عبد الناصر قد عينه نائبا وتم الاتفاق في هذا الاجتماع على ان يتولى انور السادات منصب الرئيس المؤقت نظرا لانه النائب الاول على ان تحل المشكلة دستوريا لتولي منصب الرئاسة ولكن لابد من القول لم يكن عبد الناصر رئيس دولة اوزعيما شعبيا فحسب بل كان الى جانب هذا يمثل تيارا سياسيا يؤمن بالوحدة العربية ويقود حركة وطنية اجتاحت المنطقة وادت الى سقوط قلاع الاستعمار واحدة بعد الاخرى واستقطاب الجماهير

العربية وشعوب العالم الثالث في كل مكان فلما تـــألبت عليــه القــوى المعادية للوحدة العربية والحرية واستقلال الشعوب تريد اسقاطه صمــد امامها شامخا واشد صرامة واقوى ايمانا. لاشك ان هزيمة ٥ حزيــران ١٩٦٧ كانت اكبر المحن التــي واجهــها فــي صراعــه مــع القــوى الاستعمارية والصهيونية المعادية لوحدة الامة العربية وعبــد النــاصر الذي يقود هذا التيار السياسي ولكنه لم يستسلم وقد اشرنا الى ذلك رحم الله عبد الناصر وطيب ثراه واسكنه فسيح جناته وهــل تنســى الامــة العربية ان اول دستور عربي ينص على ان الشعب المصري جزء مــن الامة العربية وضعه عبد الناصر اسكت دعاة الاقليمية وهو الذي دخــل مع السوفيات في صراع مرير من اجل مفهوم القومية العربية التي كــان يشكك بها الماركسيون عام ١٩٥٩.

الفصل التاسع
معركة في الامم المتحدة

يذكر السيد محمود رياض في هذا الفصل الذي سماه (معركة في الامم المتحدة) انه ذكر روجرز وزير الخارجية الامريكية صاحب المبادرة المعروفة انه توجد الان امام الولايات المتحدة فرصة ذهبية للتقدم نحو السلام في المنطقة بعد التطورات الاخيرة وقد اظهر روجرز اهتماما بحديثي ولكنه لم يغير موقف الولايات المتحدة بل بالعكس اصبحت تتصرف بطريقة تقضى بها ثم مبادرة روجرز باعلانها تقديم المزيد من الاسلحة الى(اسرائيل).. وهكذا اصبح مصير السلام في المنطقة بعد رحيل عبد الناصر اكثر ظلاما واشد قتابة بعد ان توقفت حرب الاستنزاف وتراجعت الولايات المتحدة عن مبادرتها وتعهداتها في دفع مهمة يارنج لتنفيذ القرار ٢٤٢ وبعد ان اصبح تعداد الجيش المصري مليون جندي ومجهزا بالاسلحة المطلوبة.



الفصل العاشر
سنة الحسم ١٩٧١

سمى هذا الفصل السيد محمود رياض (سنة الحسم ١٩٧١) مستمدا هذه التسمية من رسالة وليم روجرز الى وزارة الخارجية المصرية والتي تساءل فيها هل يكون عام ١٩٧١ هو العام الذي يتحقق فيه الحل العادل والدائم؟ ام ان الشرق الاوسط سيجد نفسه على طريق يؤدي الى نزاع مستمر ومكلف... ولكن دون تحقيق السلام؟

والواقع ان احداث هذا العام هي التي مهدت لحرب تشرين اكتوبر ١٩٧٣ واستمرار الصراع العربي (الاسرائيلي) حتى الان بفضل الدعم الامريكي (لاسرائيل) المتواصل دون هوادة.

في هذا العام بدأ السوفيات يشككون في سياسة السادات ويتضايقون من مقولة وزير الخارجية المصري صاحب المذكرات التي قالها الى بودغورني رئيس مجلس السوفيات الاعلى عند زيارته للقاهرة في ١٣ كانون الثاني ١٩٧٢ ان الولايات المتحدة تستهدف طرد الاتحاد السوفياتي من المنطقة ورد بودغورني هذا ليس بالامر السهل لان للاتحاد السوفياتي قوته وخططه. ويقول السيد محمود رياض في هذا الصدد، وعند زيارة روجرز وزير الخارجية الامريكية الى القاهرة قال (انني اعتقد ان هذه اول مرة يزور فيها وزير خارجية الولايات المتحدة دولة لا تتبادل معها علاقات دبلوماسية والسبب هو رغبتنا المخلصة في تحقيق تسوية كاملة طبقا للقرار ٢٤٢ ولكن الوجود السوفياتي في مصر يعتبر عقبة امام أي مجهود امريكي لتحقيق التسوية الشاملة بالمنطقة) وهذا المنطق هو نفس منطق كيسنجر الذي سيبحث في الفصول القادمة سبب زيارة روجرز للقاهرة في ٤/ مايس قلقا في موسكو ولاسيما قد اسفرت الزيارة عن بداية تحول في طريقة معالجة

قضية العدوان الاسرائيلي بقيام الاتصالات المباشرة بين مصر والولايات المتحدة ولم تعد الاتصالات تتم عن طريق الاتحاد السوفياتي كما كان يحدث في الماضي مما جعل السوفيات يشعرون بعدم الارتياح لاسيما بعد التصريحات الامريكية عن ضرورة اخراج الاتحاد السوفياتي من منطقة الشرق الاوسط وهذا ولابد من الاشارة ان السوفيات صرحوا مرارا وتكرارا انهم سيخرجون من مصر حال اعداد الجيش المصري وحال تنفيذ(اسرائيل)للقرار ٢٤٢ ولذلك فبمجرد انتهاء زيارة روجرز وسيسكو للقاهرة حضر الى القاهرة وفد سوفياتي برئاسة بودغورني رئيس مجلس السوفيات الاعلى يوم ٢٥/ مايس وبدأت المباحثات في اليوم التالي بقصر القبة وافق فيها السادات على توقيع اتفاقية للتعاون والصداقة بين الجانبين اكد بودغورني اثناء المباحثات:

ان بناء القوة العسكرية المصرية هو السبيل لتحقيق الحل السلمي وتحرير الارض العربية وان المساعدات لعسكرية التي قدمها الاتحاد السوفياتي (وسيقدمها) الى مصر مما جعلها الان في موقف قوي واننا سنواصل مساعداتنا للجيش المصري

تم التوقيع على المعاهدة رسميا يوم ٢٧ مايس وصدر بيان مشترك عن الجانبين في اليوم نفسه واشار البيان الى عزم الجانبين على ازالة اثار العدوان(الاسرائيلي)باسرع وقت ممكن واعادة السلام الى الشرق الاوسط واحترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ولكن هذه الاتفاقية وهذا البيان المشترك اقلق السعودية بسبب تخوفها الدائم (غير المبني على الحقائق) من انتشار الشيوعية في المنطقة رغم طمأنة السادات للملك فيصل من ان الاتفاقية لا تؤثر في موقف مصر الا ان الملك فيصل لم يستقر له بال حتى تأكد بنفسه من موقف السادات بعد ان زار مصر على رأس وفد كبير وهكذا لم يعد امام مصر سوى التحرك العسكري بعد المراوغات الامريكية التي لم تنته.

الفصل الحادي عشر
كيسنجر يبحث عن دور

في هذا الفصل الذي سماه السيد محمود رياض بـ(كيسنجر يبحث عن دور) يذكر فيه ان وزير الخارجية الامريكية وليم كيسنجر قد فاجأه بقوله ان الرئيس السادات يقبل بالاتفاقية المؤقتة والحل الجزئي واني انا ارفض ذلك واصر على التسوية الشاملة ويقول السيد رياض وهذا معناه ان السادات بدأ يتصل بالامريكان عن طرق اخرى غير طريق وزارة الخارجية المصرية وان كيسنجر رئيس مجلس الامن القومي نجح في استبعاد دور وزارة الخارجية الامريكية وان الاتحاد السوفيتي ازداد قلقا من موقف السعودية. يقول السيد محمود رياض ان بريجينيف سأل السادات اثناء اجتماعه به في موسكو في ١٢ تشرين الثاني ١٩٧١ قائلا له انت تعلن منذ مطلع هذا العام بان سنة١٩٧١ ستكون سنة الحسم فماذا تقصد بذلك؟ اجاب السادات لو ان هذا العام انتهى دون حل فعلينا الانتظار حتى عام١٩٧٢ املا في تحرك الادارة الامريكية للمعاونة في تحقيق الحل السلمي واننا لن نتخلى ابدا عنه وهنا قرأ المارشال جريشكو من بيان امامه مقارنة بين قوة(اسرائيل) وقوة مصر وسوريا مجتمعين بالنسبة لكل سلاح من الاسلحة واشار الى وجود تفوق عربي بنسبة ٢:١ في عدد القوات والاسلحة ولاسيما بالنسبة للدبابات والمدفعية وصواريخ الدفاع الجوي اما بالنسبة الى الطائرات فقد قال المارشال جريشكو ان الطائرات في الحرب ليست هي كل شيء ومع ذلك فلديكم تفوق عددي بنسبة ٢:١ ايضا ولقد اسقطت طائرات الميج في حرب فيتنام طائرات الفانتوم الامريكية.

يقول السيد محمود رياض وصل الى القاهرة يوم ٢٠تشرين الاول الرئيس اليوغوسلافي تيتو وفي جلسة المباحثات المشتركة قال

السادات ان الولايات المتحدة قلقة فعلا من الوجود السوفياتي في المنطقة وخصوصا في مصر وهذا يعني أن الامريكان يريدون اخراج السوفيات من مصر بل ومن المنطقة كلها قبل اية تسوية. رد الرئيس تيتو معلقا قائلا: في رأيي ان أي تجزئة في الحل سوف يكون من مصلحة(اسرائيل)وضد مصلحة مصر على طول الخط والمسألة الاساسية هي عدم السماح(لاسرائيل)بان تجني ثمارا بعد عدوانها وقال لقد ابلغت بريجينيف ان انقل الى نيكسون ان السوفيات لم يكونوا راغبين في المقام الاول في ارسال وحدات عسكرية الى مصر وكان السبب في ارسالها هو الضغط الشديد الذي مارسه عبد الناصر بعد ان تكررت غارات(اسرائيل)على المصانع وقناطر المياه والسكان المدنيين في العمق المصري وانهم مستعدون لسحب وحداتهم وخبرائهم من مصرفي اللحظة التي يتحقق فيها انسحاب(اسرائيل)من الاراضي العربية المحتلة.

الفصل الثاني عشر
السادات يخرج الخبراء السوفيات

يتحدث في هذا الفصل السيد محمود رياض والذي اسماه (السادات يخرج الخبراء الروس) عن ان مع بداية عام١٩٧٢ توقفت نهائيا الجهود المبذولة لتحقيق الحل السلمي لانشغال الامريكان بالانتخابات في حين وقعت الولايات المتحدة اتفاقية في ٢ شباط في هذا العام نفسه حصلت بموجبها(اسرائيل)على ٤٢ طائرة فانتوم جديدة وعلى ٨٢ طائرة سكاي هوك وبجهود كيسنجر تعهدت الولايات المتحدة الامريكية ايضا بموجب مذكرة بانها لم تتقدم باي مبادرة سياسية جديدة في الشرق الاوسط قبل مناقشتها مع(اسرائيل)وانصبت كل جهود الامريكان على الوجود الروسي الذي اصبح شغلهم الشاغل بعد ان رأوا استعدادا لدى السادات في هذا الموضوع ويذكر ان السادات بعث الى الاتحاد السوفياتي الفريق محمد صادق وزير الحربية في ٨ حزيران حيث أكد له المارشال جريشكو ان مصر سوف تحصل على كل ما تطلبه من اسلحة لضمان كسب المعركة وان بريجينيف قال له ان(اسرائيل) تعرض حلولا لا يمكن قبولها وان موسكو لا يمكن ان تتفق مع واشنطن على حساب مصر ومع كل هذا عاد الفريق صادق بانطباع هو ان السوفيات يعملون على تهدئة الموقف وانهم لن يوافقوا على أي عمل عسكري حتى نهاية عام١٩٧٢.

يقول السيد محمود رياض ظل الرئيس السادات في انتظار الرد السوفياتي حول طلباته من الاسلحة ومواعيد تسليمها الى ان حل الاسبوع الاول من شهر تموز دون وصول أي رسالة من موسكو وعندئذ اتخذ السادات قرارا بانهاء عمل الخبراء السوفيات في مصر وابلغ وزير الحربية بقراره هذا يوم ٧ تموز وعندما طلب السفير

السوفياتي مقابلته حدد له موعدا في ٨ تموز وعند المقابلة ابلغه السادات بالقرار ولكنه استدرك انه بامكان الوحدات العسكرية ان تبقى في مصر على ان يتم وضعها تحت القيادة المصرية والا فعليها ان تغادر الاراضي المصرية قبل ١٧ تموز وكان هذا القرار مفاجأة للسفير السوفياتي وهكذا حقق كيسنجر هدفه. ان خروج الخبراء بهذه الصورة يمثل هزيمة عسكرية للاتحاد السوفياتي بقدر ما تمثل كسبا سياسيا لكيسنجر والولايات المتحدة. ويقول السيد محمود رياض: وفي تقديري ان العوامل التي ساعدت على صدور قرار اخراج الخبراء السوفيات من مصر اسراف الامريكيين في وعودهم للسادات في الحل السلمي ولكنهم تجاهلوا هذا القرار تماما متناسين كافة التصريحات التي صدرت رسميا من الادارة الامريكية باستعداد الولايات المتحدة للتحرك نحو التسوية السلمية الشاملة في حالة انهاء الوجود العسكري السوفياتي في مصر ليس هذا فحسب ولكن كيسنجر علق على الموضوع بقوله: (ليس من مهمة الولايات المتحدة ان تطوع بدفع ثمن لشيء تم تقديمه اليها مجانا ولم يشترط عليها احد دفعه). ويقول السيد محمود رياض: والواقع ان انهاء عمل الخبراء السوفيات لم يأت باية فائدة سياسية لمصر فضلا عما ترتب عليه من الخسائر العسكرية وكان السوفيات يأملون في ان يؤدي مجرد وجودهم العسكري الى الضغط على(اسرائيل)والولايات المتحدة للقبول بالحل السلمي الا ان ذلك لم يتحقق بل ادى الى مزيد من التصعيد من جانب الولايات المتحدة، والواقع ان السوفيات لم يكونوا حريصين على استمرار وجودهم العسكري في مصر بما دفعهم لابلاغ الولايات المتحدة واستعدادهم لسحب وحداتهم العسكرية عندما يتم الحل الشامل والعادل ومع هذا فان الاتحاد السوفياتي رغم خروج خبرائه ووحداته العسكرية من مصر فانه واصل دعم مصر عسكريا بل وقدم لمصر اسلحة حديثة لم تكن لديها من قبل واستمر في دعم مصر

عسكريا اثناء حرب اكتوبر وبعدها لا بل بدأت علاقات مصر تتحسن مع الاتحاد السوفياتي نتيجة تجديد مصر لاتفاقية التسهيلات التي تقدمها للاسطول السوفياتي في البحر المتوسط في موانيها والتي كانت ستنتهي في اذار ١٩٧٣ وبدأت شحنات الاسلحة تتدفق على مصر من جديد مما ساعد السادات على القيام بحرب اكتوبر .

الفصل الثالث عشر
حرب اكتوبر (تشرين الاول)

تحدث السيد محمود رياض في الفصل العاشر الذي سماه (حرب اكتوبر) عن موعد المعركة لتحرير الارض وان الرئيس عبد الناصر ومنذ عام١٩٦٨ حدد هذا الموعد بمجرد الانتهاء من انشاء الخط الدفاعي غرب القناة وكان توجهه السياسي هو ضرورة البدء في المعركة دون انتظار لتحقيق التوازن المطلوب في سلاح الطيران لان ذلك قد لا يستطيع تحقيقه ولمواجهة التفوق الجوي(الاسرائيلي)اتجهت القيادة العسكرية الى تقوية الدفاع الجوي الى اقصى حد ممكن فاقامت اقوى شبكة عرفها العالم في ذلك الوقت للدفاع الجوي في منطقة القناة مما يعطي القوات المصرية الحماية الجوية عندما تبدأ الحرب وتعبر القناة كما ان عبد الناصر استطاع ان يحقق نجاحا كبيرا في تنفيذ مخطط القيادة العسكرية في بناء الجيش في نهايات عام١٩٧٠ مما كان يتيح للقوات المسلحة المصرية البدء في عملياتها بتحرير الارض في ربيع ١٩٧١ وعندما قبل عبد الناصر بمبادرة روجرز كان يهدف اعطاء الولايات المتحدة اخر فرصة للعمل من اجل التسوية الشاملة طبقا للقرار ٢٤٢ قبل بدء المعركة في ربيع العام الثاني وبعد انتهاء الثلاثة اشهر لوقف اطلاق النار ولما جاء السادات الى الحكم كان في حاجة الى الوقت ليدرس الابعاد السياسية والعسكرية فاستمرت محادثاته مع الولايات المتحدة طوال عامي ١٩٧١ و ١٩٧٢ مع كيسنجر الذي اسرف في وعوده للسادات ومع بداية عام١٩٧٣ تبين للسادات ضرورة اللجوء الى العمل العسكري. يقول السيد محمود رياض: طلب مني السادات بذل كل جهد لحشد اقصى ما يمكن من الطاقات العربية كما بدأت القيادة العسكرية المصرية والسورية في الاعداد المشترك للمعركة والتخطيط

لها واصبح موعد المعركة يتوقف على القرار المشترك المصري السوري. ويقول السيد محمود رياض: وبدأت معركة اكتوبر عندما كنت في نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة مع وزراء الخارجية العرب وكانت الروعة الحقيقية في حرب اكتوبر هو ذلك الاداء المدهش الذي هاجمت فيه سوريا في الجولان ومصر في سيناء وفي توقيت واحد وبكفاءة عالية بحيث انها كانت المرة الاولى التي تواجه فيها(اسرائيل) حربا حقيقية على جبهتين وعندما علمت بان خسائرنا في عملية العبور لم تتجاوز ٢٨٠ شهيدا كان ذلك يمثل قمة في التدريب العسكري في عملية من اكثر العمليات العسكرية تعقيدا.

بجانب عنصر المفاجأة الكامل وكنت واثقا بان قواتنا في طريقها لاحتلال مضايق سيناء ولذلك فلم اكن اتصور اطلاقا بان يقوم المشير احمد اسماعيل وزير الحربية باجراء تغيير جذري في الخطة التي تم تحديد اهدافها وخطوطها العريضة منذ عام١٩٦٨، واستبد بي القلق عندما علمت ان قواتنا لم تتحرك شرقا لاحتلال المضايق بعد فشل هجوم اسرائيلي مضاد يومي ٩، ٨ اكتوبر حيث خسرت(اسرائيل) ٢٥٠ دبابة وعندئذ تأكدت بان القيادة العسكرية في مصر قد اكتفت بالنجاح الذي حققته قواتنا في عبور القناة واكتفت باتخاذ مواقع دفاعية داخل الشريط الضيق من الارض والذي استولت عليه وعرض لا يتجاوز عشرة كيلومترات وكان ذلك يعني انتشار القوات المصرية في مواقع دفاعية مكشوفة على امتداد ١٧كم شرق القناة مما يعرضها لهجمات مضادة ناجحة من(اسرائيل)وفي ١٦ اكتوبر عبر عدد من الدبابات(الاسرائيلية) القناة في منطقة الدفرسوار وان نيكسون قد قرر بان تلقي الولايات المتحدة بكل ثقلها في المعركة لمعاونة(اسرائيل)عسكريا للاحتفاظ بالاراضي التي احتلتها وذلك باقامة جسر جوي لامداد(اسرائيل) بالاسلحة والذخيرة وهكذا تحول الموقف العسكري لصالح(اسرائيل) بعد ان بلغت

خسائر مصر وحدها ٤٥٠ دبابة اما الخسائر في الطيران في الجبـــهتين فكانت مرتفعة جدا رغم الجسر الجــوي الســوفياتي لمســاعدة مصــر وسوريا ورغم وصول قوات عربية فعلى سبيل المثال وصل مصر سرب ميراج من ليبيا وثلاثة اسراب ميج وسوخوى من الجزائر ولواء مــدرع ليبي ولواء مشاة مغربي ولواء مشاة سوداني وكتيبــة مشــاة كويتيــة وكتيبة مشاة تونسية ووصل الى الجبهة الســورية فرقتــان عراقيتــان احدهما مدرعة واربع اسراب ميج ٢١، ١٧ ولواء مدرع اردني ولــواء مدرع مغربي الا ان عددا كبيرا من هذه الوحدات لم يشترك في المعركـة بسبب دخولها بعد وقف اطلاق النار. يقول السيد محمود رياض: بسـبب عدم معالجة الثغرة من قبل القيادة المصرية في حينه تمكنــت خمسـة الوية مدرعة(اسرائيلية)من العبور تمركزت غرب القناة بينما لم يوجـد لمصر الا ثلاثة الوية مدرعة في مواجهتها وهكذا قرر الســادات وقــف اطلاق النار وابلغ السوفيات بذلك ولم يفد معه طلب الرئيــس الســوري حافظ اسد اعادة النظر في قراره مؤكدا امكانية تدمير القوات(الاسرائيلية) التي عبرت القناة مشيرا الى نجاح القوات السورية في وقـــف التقـدم (الاسرائيلي)وانه بصدد القيام بهجوم مقابل وخاصة بعد دخول الفرقتيــن العراقيتين واسراب الطائرات .

وبعد ان تدهور الموقف في الجبهة المصريــة دعــا بريجينيــف الولايات المتحدة الامريكية للتباحث في الموقف يوم ٢٠ اكتوبر ولم يكن امامه الا وقف اطلاق النار وهكذا اجتمع مجلس الامن في ٢٢ اكتوبــر واصدر القرار ٣٣٨ الذي يدعو فيه كافة الاطراف الى وقف اطلاق النار وتنفيذ القرار ٢٤٢ وان تقوم الدولتــان الولايــات المتحــدة والاتحــاد السوفياتي برئاسة مباحثات السلام. التزمت مصر بالقرار اما(اســرائيل) فواصلت تقدمها جنوبا في اتجاه قناة السويس اجتمع مجلس الامن مــرة اخرى وأكد قراره وطالب بعودة القوات المتحاربة الى مواقعها يــوم ٢٢

اكتوبر كما قرر ايفاد مراقبين للاشراف على وقف اطلاق النار بين مصر (واسرائيل) الا ان (اسرائيل) لم تلتزم بل واصلت فعالياتها العسكرية حتى تمكنت من قطع الطريق المؤدي الى السويس وبذلك منعت وصول الامدادات والتموين الى قوات الجيش المصري الثالث الموجود شرق القناة وفي يوم ٢٤ اكتوبر طلب بريجينيف من نيكسون ان تقوم الدولتان بالعمل على تنفيذ قرار مجلس الامن ٣٣٨ والا فان الاتحاد السوفياتي مضطر لاتخاذ خطوات مناسبة بشكل منفرد وكانت نتيجة ذلك ان نيكسون اعلن حالة الاستعداد القصوى في الجيش الامريكي يوم ٢٥ اكتوبر وكان ذلك يعني حالة التأهب النووي في كافة القواعد الامريكية بالولايات المتحدة واوربا وبعد ان حققت (اسرائيل) اهدافها بتطويق مدينة السويس وقطع جميع طرق الامدادات للجيش المصري الثالث اصدر مجلس الامن قراره المرقم ٣٤٠ مطالبا كافة الاطراف بوقف العمليات العسكرية والعودة الى خط ٢٢ اكتوبر كما انه قرر ان تكون قوات الطوارئ للامم المتحدة من الدول الاعضاء غير الدائميين في مجلس الامن والتي وصلت يوم ٢٧ اكتوبر مما ساعد على وقف اطلاق النار.
ويقول السيد محمود رياض: وفي ١٢ تشرين الثاني زرت دمشق بناء على دعوة الرئيس الاسد الذي ذكر ان سوريا كانت تستعد للقيام بهجوم مضاد ضد القوات (الاسرائيلية) يوم ٢١ اكتوبر للقضاء على الجيب (الاسرائيلي) لكن القوات العراقية التي كانت ستشترك في الهجوم المضاد قد طلبت تأجيل موعد الهجوم ٤٨ ساعة فقط حتى تستكمل تعزيزاتها من الدبابات ولكننا فوجئنا بوقف اطلاق النار وقال السيد الاسد لقد كان الاتفاق بيني وبين السادات ان تقوم القوات المصرية باحتلال المضايق الا ان هذا لم يحدث وانه لم يكن هناك تنسيق بين القيادتين المصرية والسورية بالرغم من ان الفريق احمد اسماعيل هو القائد العام للجيش وكان المفروض ان تصلنا بيانات صحيحة ودقيقة عن حقيقة الموقف

على الجبهة المصرية واضاف متسائلا؟ ان الجنود الذين عبروا من القوات المصرية الى سيناء هم مائة الف جندي فاين تعبئة القوات المصرية؟ يقول السيد محمود رياض: لقد اثبتت الدول العربية اثناء المعركة انها لم تتأخر من تقديم ما لديها من الامكانات لدعم كل من مصر وسوريا.



الفصل الرابع عشر
السلام على طريقة كيسنجر

سمى السيد محمود رياض هذا الفصل بـ(السلام على طريقة كيسنجر) ويقول ان السفير السوفياتي قال له (بعد عودته من الجزائر بعد انتهاء مؤتمر القمة العربي الذي انعقد فيها يوم ٢٦ اكتوبر واكد فيه الملوك والرؤساء وجوب تنفيذ القرار ٢٤٢ واستعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه التامة) المشكلة الان هي ان السادات ما زال يشكك في كل ما يقوله او يفعله القادة السوفيات رغم دعمهم لمصر اقتصاديا وعسكريا وسياسيا وسوف تصل الى ميناء الاسكندرية خلال ايام صواريخ حديثة مضادة للطائرات وصواريخ مضادة للدبابات وتستمر المساعدات العسكرية بالتدفق على مصر تباعا وقال كان في رأي الخبراء السوفيات ان الهدف المصري يجب ان يكون هو التقدم الى مضايق سيناء وان مصر كانت تملك الامكانات العسكرية الكفيلة بذلك ويقول السيد رياض:

توجه كيسنجر الى دمشق في ١٥ ايلول بعد ان حصل على موافقة السادات لحضور مؤتمر السلام المقترح عقده بجنيف في محاولة لاقناع الاسد بالحضور الا ان الاخير طلب من كيسنجر ان يحدد اولا الاساس الذي سينعقد عليه المؤتمر وان يكون واضحا وهو انسحاب اسرائيل من كافة الاراضي العربية المحتلة وفي خلافه فان سوريا لا ترى أي فائدة من حضور المؤتمر وهكذا فشل كيسنجر في مهمته (لانه لا يريد تنفيذ لقرار ٢٤٢). ويقول السيد محمود رياض:

اوفد السادات اسماعيل فهمي وزير خارجيته في محاولة لاقناع الاسد بحضور المؤتمر الا ان الاسد قال له ان كيسنجر اخبره بانه بالنسبة للجبهة المصرية فانه قد اتفق مع السادات على كل شيء وعلى جميع الخطوات التي تتخذ وهذا خلاف اتفاقنا المسبق بيني وبين

السادات على ان يكون الانسحاب (الاسرائيلي) الجزئي في الجبهتين المصرية والسورية معا ولكن وبعد الذي سمعه من كيسنجر من عدم وجود أي ارتباط بين الجبهتين وانه سيتم الاعلان عن الاتفاق الخاص بالجبهة المصرية فقط وعليه لا يستطيع ان يقرر اشتراك سوريا في مؤتمر جنيف واذا ما انفرط عقد التحالف المصري السوري فان مثل هذا التحالف لن تقوم له قائمة قبل وقت طويل وبناء على ذلك اصدرت سوريا في ١٧ كانون الاول بيانا اعلنت فيه رفضها لحضور مؤتمر جنيف لانه لم يحقق تنفيذ القرار ٢٤٢ ولكن المؤتمر انعقد في ٢١ كانون الاول بناء على دعوة مشتركة من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحضره كل من مصر والاردن (واسرائيل) وانتهى في اليوم التالي دون ان يحقق اية نتيجة عدا الموافقة على تشكيل لجنة عسكرية للبحث في الفصل بين القوات في جبهة سيناء فقط وفي ١٧ كانون الثاني ١٩٧٤ تمكن كيسنجر من فك الاشتباك بين الجيش المصري وبين الجيش (الاسرائيلي) في جبهة سيناء ولم يتوصل كيسنجر الى فك الاشتباك على الجبهة السورية الا بعد خمسة اشهر في ٣١ مايس ١٩٧٤. وفي ٢٦ اكتوبر انعقد مؤتمر القمّة العربي في الرباط واتخذ عدة قرارات منها ان تكون منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وقد أيد الملك حسين هذا القرار.

الفصل الخامس عشر
انهيار السلام الشامل

يتحدث السيد محمود رياض في هذا الفصل الذي سماه بـ(انهيار السلام الشامل) عن رئيس الجمهورية الامريكية جيرالد فورد الذي تولى الرئاسة بعد استقالة نيكسون والذي لا يقل تحيزا ضد العرب واصرارا على دعم(اسرائيل)بكل الوسائل وهدرا لحقوق الشعب الفلسطيني واسنادا لكيسنجر وسياساته المعادية للعرب والمؤيدة(لاسرائيل)عن نيكسون اصبح كيسنجر صاحب الكلمة الاولى في الولايات المتحدة في قضية الشرق الاوسط. بعد ان قيد سياسة الولايات المتحدة بمذكرة التفاهم التي قدمها(لاسرائيل)في عام١٩٧٢ والتي تفرض على الولايات المتحدة مناقشة اية مبادرة سياسية مع(اسرائيل)قبل الاقدام عليها وهكذا كرس كيسنجر نشاطه خلال السنوات التالية على الحلول الجزئية مبتعدا عن الحل الشامل والعادل ولما شعرت منظمة التحرير الفلسطينية بما يدبره كيسنجر عبرت عن معارضتها في بيان اصدرته يوم ٢٥ شباط اللجنة التنفيذية ذكرت فيه ان المشاريع الامريكية لاجراء حل جزئي منفرد بين مصر(واسرائيل)انما تستهدف مقايضة جزء من الاراضي المحتلة بالقضية العربية القومية كلها وضرب الثورة الفلسطينية وطعن حركة التحرير العربية خطوة بعد خطوة واتهم البيان كيسنجر بانه يعمل على ضرب التضامن العربي وتجزئة القضية العربية.

الا ان الرئيس الامريكي جيرالد فورد ووزير خارجيته كيسنجر قد توصلا الى ان الاستمرار في سياسة الخطوة الصغيرة هو الطريق الاسلم لتحقيق الاهداف الامريكية وعليه عرض كيسنجر على رابين عند زيارته لواشنطن في ١١ حزيران فكرة الاتفاق الجزئي وبموجبه تعهدت (اسرائيل)بانسحاب محدود من سيناء شرق المضايق ومقابل ذلك تعهدت

مصر بان النزاع في الشرق الاوسط لا يتم حله بالقوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية كما تعهدت بعدم استخدام القوة او التهديد بها في المنازعات وبمرور الشحنات غير العسكرية المتجهة الى(اسرائيل)عبر قناة السويس وعلى استمرار عمل قوات الامم المتحدة، والغريب في الامر ان الولايات المتحدة تعهدت الى(اسرائيل)ان تكون المفاوضات على اساس ثنائي بين(اسرائيل)وكل دولة عربية، وبمجرد اعلان الاتفاق عارضه كل من سوريا والاردن لان معنى هذا الاتفاق هو انهاء مصر لحالة الحرب مع(اسرائيل). والتي لا زالت قواتها تحتل الجزء الاكبر من سيناء والجولان والضفة الغربية اضافة الى انه سيؤدي الى تفتيت الجبهة العربية وتصفية القضية الفلسطينية كما عارضته الجزائر بشدة وبقية الدول العربية الا ان المملكة العربية السعودية كانت تقول بان دورها في المحافظة على وحدة الصف العربي يلزمها بعدم توجيه النقد العلني لاطراف المشكلة. ويقول السيد محمود رياض: ومع ازدياد التقارب الامريكي المصري كانت العلاقات المصرية السوفياتية تزداد سوء حيث اعلن السادات في اذار الغاء معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفياتي امام مجلس الشعب.

الفصل السادس عشر
زيارة السادات للقدس

يتحدث السيد محمود رياض في الفصل السادس عشر الذي سماه بـ(زيارة السادات للقدس) عن مجيء الرئيس كارتر الى سدة الرئاسة في تشرين الثاني ١٩٧٦ وتأكيده على ضرورة حل قضية الشرق الاوسط حلا شاملا والاسيما بعد مجيء سايروس فانس لتولي منصب وزير الخارجية بدلا من كيسنجر كما يتحدث عن زيارة السادات لواشنطن في نيسان ١٩٧٦ وتصريح كارتر انه يرفض المنطق (الاسرائيلي) فلا يجوز ان يكون لاي دولة سوى حدودها الدولية وفي هذا الوقت صدر بيان امريكي سوفياتي مشترك في الاول من اكتوبر من عام١٩٧٧ يدعو الى عقد مؤتمر جنيف بمشاركة ممثلين من كل الاطراف في النزاع بما فيهم ممثلي الشعب الفلسطيني وأكد البيان ضرورة حل المشكلة الفلسطينية بما في ذلك ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني الا ان (أسرائيل) هاجمت هذا البيان واعلن بيغن رئيس الوزراء (الاسرائيلي) ان كل الاراضي الفلسطينية هي جزء من (اسرائيل) وسارع في بناء مستوطنات جديدة وعند ذاك اسرع كارتر بالتراجع عما التزم به في البيان المشترك. ويقول السيد محمود رياض: وكانت المفاجأة عندما تبين ان الاتصالات كانت تجري بين السادات في القاهرة ومناحيم بيغن في القدس عن طريق واشنطن للترتيب لزيارة السادات للقدس وقبول الاخير لدعوة تلقاها من بيغن في ١٧ تشرين الثاني وتحديد موعد الزيارة يوم ١٩ تشرين الثاني، وهكذا قام السادات بزيارته المذهلة فلم يكن احد ليصدق مطلقا ان رئيس مصر وهي اكبر دولة عربية يقوم بزيارة القدس داعيا لاقامة سلام دائم معها في الوقت الذي تحتل فيه (اسرائيل) اراض الدول العربية وتعلن رسميا انها لن تعود

الى حدود ١٩٦٧ ولن تسمح بقيام دولة فلسطينية مما ادى الى استقالة السيد اسماعيل فهمي وزير الخارجية المصرية على الفور كما قدم استقالته ايضا وزير الدولة للشؤون الخارجية السيد محمد رياض. يقول السيد محمود رياض: في المؤتمر الصحفي المشترك الذي عقده السادات وبيغن بالاس عيليه يوم ٢٦ كانون الاول اعلن بيغن ان قرار مجلس الامن ٢٤٢ لا يلزم(اسرائيل)بالانسحاب الشامل من الاراضي العربية وهكذا لم يعد هناك أي احتمال لعقد مؤتمر جنيف للسلام الشامل واقتصر الامر على مفاوضات ثنائية بين مصر(واسرائيل)وبناء على ذلك صدر بيان من الولايات المتحدة يدعو فيه كارتر كلا من السادات وبيغن للاجتماع معه في ٥/ ايلول في كامب ديفيد كانت السعودية تعمل على دعم السادات وفي بغداد التي وصلتها في الاول من ايلول قال لي نائب رئيس مجلس قيادة الثورة السيد صدام حسين انه لا يرى أي فرصة لتحقيق السلام الشامل نظرا لتخاذل الولايات المتحدة وضعف موقف السادات واشار الى زيارة السادات للقدس فقال انه لا يمكن اعتبارها عملا تكتيكيا وانما هو خط رئيسي في التحرك العربي كان يقتضي التشاور فيه عربيا قبل الاقدام عليه.

عدت الى القاهرة وقد اوشك اجتماع كامب ديفيد على الانعقاد وغالبية الدول العربية ترى ان هذا الاجتماع لن يحقق انسحاب(اسرائيل) من كافة الاراضي العربية.

الفصل السابع عشر
من كامب ديفيد الى قمة بغداد

في الفصل السابع عشر الذي سماه السيد محمود رياض (من كامب ديفيد الى قمة بغداد) يقدم لنا فيه السيد رياض موقف المفاوض المصري في كامب ديفيد الذي ذهب وهو لا يملك أي ورقة يساوم فيها بعد ان استنفد كل ما لديه من وسائل الضغط لتوقيع اتفاقية فك الاشتباك عام١٩٧٤ والاتفاق الجزئي في سيناء عام١٩٧٥ وازداد ضعف الموقف المصري عام١٩٧٨ عندما زار السادات القدس وادى الى انقطاع أي تعاون عسكري بين مصر وبين الكتلة الشرقية وتوقفت الدول العربية المنتجة للبترول عن تزويد مصر بالمساعدات الاقتصادية وتمويل شراء الاسلحة وفقدت مصرموردها الرئيس للسلاح (الاتحاد السوفيتي) في الوقت الذي كان السلاح الامريكي يتدفق على(اسرائيل)ورغم كل ما سبق بدأت اجتماعات كامب ديفيد في ٥/ ايلول وانتهت في ١٧/ايلول بتوقيع اتفاق اطار سلام وكان الثمن هو القضية الفلسطينية بل قضية السلام في المنطقة مما ادى بوزير الخارجية المصرية محمد كامل ان يقدم استقالته اثناء وجوده في كامب ديفيد وامتنع عن حضور حفل التوقيع على اتفاقات اطار السلام احتجاجا على تصرف السادات الذي كان يتحدث باسم الفلسطينيين لتقرير مصيرهم في غياب ممثليهم وتجاهله القرار ٢٤٢ الذي يدعو الى سلام شامل بعد انسحاب(اسرائيل)من الاراضي المحتلة كل هذا تحول الى اتفاق ثنائي بين مصر واسرائيل وحدهما وحصول اسرائيل على ما كانت تحلم يه وتريده . وما حدث عكس تفوق اسرائيل العسكري والسياسي وفشل كارتر في مواجهة الضغط الصهيوني وافتقار الوفد المصري لاي قوة تفاوضية وهكذا وقع السادات على اطار اتفاق معاهدة سلام بين مصر(واسرائيل)ووقع على وثيقة

اخرى مع مناحيم بيغن تتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة وحل المشكلة بكل جوانبها واقامة حكم ذاتي . الا ان هذه الوثيقة خلت من أي نص يشير الى انسحاب(اسرائيل)من الاراضي الفلسطينية وهكذا حققت (اسرائيل)اهدافها من حيث الحصول على موافقة كل من مصر والولايات المتحدة باستمرار احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة هذا بجانب اخراج مصر وهي اكبر الدول العربية من الصراع العربي الاسرائيلي مع تعهد مصر بالدخول في علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية مع(اسرائيل) وكرد فعل على هذه الاتفاقية دعا العراق الى عقد اجتماع عاجل لوزراء الخارجية العرب في ٢٠ تشرين الاول للتحضير الى عقد اجتماع طارئ لقمة عربية في بغداد في الاول من تشرين الثاني لدراسة الموقف . بدأ مؤتمر القمة العربي اعماله بكلمة من الرئيس احمد حسن البكر والتي جاء فيها ان اتفاقية كامب ديفيد جاءت بعيدة كل البعد ومختلفة عظم الاختلاف عن الحد الادنى لما توصلت اليه الدول العربية في مؤتمري قمتي الجزائر والرباط وتم ذلك بقرار فردي من جانب رئيس دولة مصر ومن دون الرجوع الى الامة العربية والى الاطراف المعنية مباشرة في الصراع وقال الرئيس احمد حسن البكر ولذلك ومن دون المساس بصلاحيات أي حاكم في البلاد العربية لا يستطيع بان يفرض ويخول نفسه بتقرير شؤون الصراع العربي الاسرائيلي وانهائه بارادته المفردة ثم طالب الرئيس البكر بتصحيح الاوضاع التي نشأت عن توقيع اتفاقية كامب ديفيد.

وبعد انتهاء اجتماع الملوك والرؤساء اصدروا عدة قرارات كان من اهمها تعليق عضوية مصر في الجامعة العربية ونقل مقرها الى تونس وقرر مؤتمر القمة كذلك رفضه لاتفاقية كامب ديفيد وبكل ما يترتب عليها من اثار سياسية واقتصادية وقانونية وقرر المؤتمر الالتزام بقضية فلسطين على اعتبار انها قضية عربية مصيرية تمثل

جوهر الصراع العربي الاسرائيلي وان السلام الذي ينشده العرب يقـــوم على التحرير الكامل للاراضي العربيـــة التـــي تحتلـــها(اســرائيل)منــذ عام١٩٦٧ بما في ذلك القدس والالتزام باقامة الدولة الفلسطينية بقيـادة منظمة التحرير وقرر المؤتمر دعم سوريا والاردن ومنظمـــة التحريـــر الفلسطينية ماليا لمدة عشر سنوات بمبلغ ٣٥٠٠مليون دولار كان منـــها ١٨٥٠ مليون لسوريا و١٢٥٠ للاردن و٢٥٠ مليونا لمنظمة التحريـــر الفلسطينية و١٥٠ مليون لدعم الصمود الفلســـطيني داخـــل الاراضـــي العربية.

وقع السادات في واشنطن علـــى المعـــاهدة مـــع رئيـــس وزراء (إسرائيل)يوم ٢٦/ اذار وقد اصرت اسرائيل على ان تتضمـــــن معـــاهدة الصلح هذه نصا ينهي عمليا التزامات مصر في الجامعة العربية كمعاهدة الدفاع العربي المشترك مثلا وجاء هذا النص في المادة السادســـة مـــن الاتفاقية.

ويقول السيد محمود رياض: كنت قد عقدت العزم على الاســـتقالة بعد مؤتمر بغداد من منصبي وهكذا اعلنت استقالتي عندما اجتمع مجلس الحامعة العربية يوم ٢٤/ اذار ١٩٧٩ في مقديشو في الصومال واخـيرا على العرب ان يعلموا ان(اسرائيل)لن تكف وهي اليوم في ذروة قوتـــها عن مواصلة التهديد والابتزاز والتوسع وابتلاع ما بقي مـــن فلســطين ومن ضمنها القدس والولايات المتحدة ستواصل ســـعيها بمزيـــد مـــن السيطرة السياسية والعسكرية على المنطقة ومحاولـــة فـــرض حلـــول الاستسلام والتي تسميها معاهدات سلام وعلى العرب ان لا ينسوا كلمـــة نيكسون امام السادات في الاسكندرية عندما زار مصرفي ١٩٧٤ والتـــي قال فيها الاموال العربية (يقصد النفط العربـــي) والعبقريـــة اليهوديـــة والايدي العاملة الرخيصة ستخلق من المنطقة جنة ولكن سيخيب املـــه حتما اذا توحد القرار السياسي العربي واقاموا توحدا فيما بينهم.

أزمة السويس ١٩٥٦ في مذكرات الساسة العراقيين

دراسة مقارنة مع وثائق الحكومة البريطانية

بحث مقدم الى بيت الحكمة

الدكتور

مؤيد إبراهيم الونداوي

كانون اول

١٩٩٩

١ – تقديم

الثالث من كانون الثاني عام١٩٨٧ كان يوما غير عادي في دار الوثائق البريطانية المعروفة اختصارا باسم P.R.O حيث شهد ازدحاما كبيرا للباحثين وكتاب التاريخ البريطانيين السبب في ذلك هو انه في ذلك اليوم اطلقت وثائق عام١٩٥٦ العام الذي وقع فيه العدوان الثلاثي على مصر الذي بسببه خسرت بريطانيا الكثير من نفوذها ومصالحها في الوطن العربي فضلا عن النهاية السياسية لرئيس الوزراء البريطاني انتوني ايدن.

في ذلك اليوم تزاحمت مع غيري للوصول الى الوثائق العراقية عن ذلك العام ومثل غيري كنت مهتما في معرفة موقف الحكومة العراقية من قضية تأميم السويس في تموز ١٩٥٦ باعتباره مبحثا مطلوبا لرسالة الدكتوراه التي كنت اعدها عن العلاقات العراقية البريطانية ١٩٤٥- ١٩٥٨. لقد كان عدد الملفات الخاصة بازمة السويس اكثر من مائتي ملف وهو عدد ليس من السهل مراجعته، ولكن حين مراجعتي لملفات العراق لم اجد فيها سوى تلك الوثائق التي تتعلق بالاوضاع الداخلية العراقية قبل الازمة وخلالها. لقد اسعفتني التجربة في مراجعة الوثائق لان اتوصل الى وثائق بالغة الخطورة عن موقف العراق الرسمي من الحدث حيث عثرت عليها مودعة في القسم الخاص بالوثائق السعودية وبهذا تحقق لي شيء كان غيري من الباحثين البريطانيين يسعون للوصول اليه حيث وردتني رسائل فيما بعد وبعد ان علموا بما توصلت اليه بتزويدهم برقم الملف الذي عثرت فيه على هذه الوثائق.

لقد كانت مفاجأة لي عند مراجعة هذه الوثائق اذ بينت الصورة الواضحة لموقف القادة من قرار التأميم في الاسبوع الاول منه حيث

كان الملك فيصل الثاني والامير عبد الاله ولي العهد ونـــوري الســعيد رئيس الوزراء في زيارة رسمية الى لندن عند قيام عبد الناصر الرئيس المصري بتأميم قناة الســويس. لقــد تضمنــت المجموعــة الوثائقيــة المحادثات التي اجريت في وزارة الخارجية مع نوري الســعيد وكذلــك المراسلات التي تمت بين بغداد ولندن خلال المرحلة التي امتدت لغايـــة وقوع العدوان وما بعده.

مما زاد الموضوع اهمية هو ان المسح الذي اجري لمـــا كتـب بالعربية ولما كتب في بغداد سواء من قبل السياسيين فـــي مذكراتـــهم والباحثين وطلبة الدراسات العليا قد اظهر لي انه بعيدا عما جـرى وراء الكواليس السياسية ومما زاد الموضوع تعقيدا هو ان السياسيين الذيـــن كتبوا مذكراتهم سواء من كان منهم في دوائر صنع القـــرار السياســي اومن كان يعمل في المعارضة السياسية تحدثوا عن هذا الموضــوع دون ان يقدموا ما يفيد الاطلاع على ما جرى بشكله الواضح والاكيد. ولعــل من الامور التي اخفت الكثير من الغموض عن موقف العراق الرســمي من موضوع السويس هو غياب الوثائق العراقية الرسمية عن متنـــاول الباحثين.

في هذا البحث سأسلط الضوء على كيفية معالجــة خمســة مــن الساسة العراقيين لموضوع ازمة الســـويس والعـدوان الثلاثــي فــي مذكراتهم محاولا كشف جانب من طبيعة وحجم الاطلاع ودقته وحقيقتــه لدى هؤلاء الساسة. كل ذلك يأتي بهدف اعطاء تقييـــم عــام وتحذيـر للباحثين في كيفية التعامل مع هذه المذكرات فضلا عن تقديـــم صــورة حقيقية لما جرى مؤكدا على ان ما اخفي من الحقائق هو اكــثر واكـبر بكثير مما توصل اليه كتاب تاريخ العراق المعاصر مع العرض ان جانبـا مهما من الوثائق البريطانية ذات العلاقة بعنوان هذا البحث قد تم نشرها في مجلة افاق عربية بعد اسابيع قليلة من دخول القوات العراقية الـــى

الكويت عام١٩٩٠ حيث كنت احاول التنبيه علـــى ان قــرار اســتعادة الكويت الى البلد الام لايبتعد كثيرا عن قرار الرئيس المصــــري بتــأميم القناة مع الاخذ بعين الاعتبار توقيتات الحدثين وطبيعتهما اذ كنت اقــارن بين الخطط البريطانية التي اعدت بالاشتراك مع الفرنسيين والصهاينة وحلفائهم في مهاجمة مصر وبين الخطط البريطانية الامريكية وحلفائــها في مهاجمة العراق وكيف كـــانت المواقــف الرســمية العربيــة فــي عام١٩٥٦ وما يمكن ان تكون عليه عام١٩٩٠.

٢- مذكرات الساسة العراقيين تقويم عام

غالبية الساسة العرب ومنهم العراقيين لم يتركوا في حياتـــهم او بعد مماتهم مذكرات الا القليل منهم. هنـــالك اســباب كثــيرة لا مجــال للخوض فيها ولكن المهم ان الساسة العراقييــن تمــيزوا بعــدم كتابــة يومياتهم ومن ترك منهم مذكرات فانها في الواقع قد كتبت بعد ســـنوات من اعتزالهم السياسة سطروا فيها ما يتذكرونه فقط دون بــذل الجــهد لاثبات الحقائق وهي في الواقع جاءت لتبين للقراء نوعا مـــن شــهادة الاثبات عن براءتهم من الاحداث التــي كــانت تؤلــم الامــة والشــعب والاشخاص، ومحاولة لتوجيه اللوم فيما كان يحدث وتحميــل الاخريــن المسؤولية ولكن المهم في هذه المذكرات وعلى ندرتـــها اتفقــت علــى تقسيم مراحل تطور الدولة العراقية والاحداث المهمة التي عاشتها البلاد دون الخوض بادوارهم الاساسية فيها ولاتطرقهم تفصيليا عـــن منــهج صناع القرار والسياسة وسلوكهم. لقد كان نوع من الاتفاق العفــوي او مسيرة حددت الطريق سار عليها جميع اصحاب المذكرات فــي طريقــة العرض والتقديم سحبت ورائها غالبية كتاب تـــاريخ العــراق الحديــث

والباحثين في هذا الموضوع من طلاب الدراسات العليا في اقسام التاريخ والسياسة في الجامعات العراقية.

مما زاد الامر تعقيدا في كتابة الحقائق التاريخية وكما وقعت هو ضعف مؤسسات الدولة العراقية في حفظ وتوثيق وعرض وتسهيل الاطلاع على وثائقها الرسمية. لهذا نجد ان الكتابات ذات العلاقة بتاريخ العراق المعاصر التي دونت ونشرت في اوائل الستينات وحتى الثمانينات استندت في معظمها الى مذكرات الساسة في الحكم وفي المعارضة السياسية الذين رافقوا العهد الملكي المنتهي صباح يوم ١٤ تموز ١٩٥٨.

ولكن يمكن ان نعطي العذر لهؤلاء لعدم تمكنهم من مراجعة المصادر الاجنبية وتدقيقها فضلا عن اهم المصادر واقصد بها وثائق الدول التي كانت تسهم في صناعة تاريخ الشرق الاوسط في المقدمة منها الوثائق البريطانية والامريكية والفرنسية. على اية حال يمكن ان نعطي اطارا لطبيعةالمذكرات التي استند اليها هؤلاء الباحثون في تدوين احداث كان العراق طرفا فيها مابين ١٩٥٠- ١٩٥٨ وبالشكل التالي:

أ- انها لم تكن يوميات مدونة.

ب- قد كتبت بعد ترك كتابها المسؤولية السياسية.

جـ- كتبت بعد سقوط النظام الملكي.

د- سطورها دونت بعد مضي وقت طويل من وقوع الاحداث.

هـ- عرض الاحداث تم بشكل مختصر جدا.

و- لم تكتب بصورة تقييم اداء صاحبها السلبي في صنع السياسة وانما الايجابي والمحايد.

ز- في صياغتها ادانت الخصوم.

ى- لم تعتمد بشكل كبير على الوثائق الرسمية.

ك- قلتها وندرتها.

٣- أزمة السويس بين المذكرات والوثائق

من بين الاحداث المهمة والتي بسبب من الطريقة التـــي تعـامل معها ووقف منها اركان الحكم في العهد الملكي وكــانت السـبب فـي سقوطه بعد قليل من وقوعه هو التواطؤ او العدوان الثلاثي الذي شـنته بريطانيا بالاشتراك مع فرنسا(واسرائيل)على مصر عـــام١٩٥٦. هـذا الحدث البالغ الاهمية لايزال طلاب البحث العلمي مـــن عـرب واجـانب يتناولونه بالبحث والتفصيل لاسيما ان تفـاصيل كثـيرة ذات علاقـة لاتزال تظهر الى السطح تباعا اخرها والمهم منـــها وثـائق الحكومـة البريطانية التي اطلقت للقراء عام١٩٨٧، هذه الوثائق عندمـــا اعلنـت اظهرت مفاجآت كثيرة وعلى قدر تعلق البحث بموضوع المقارنة مـابين ما تناولته مذكرات الساسة العراقيين وما تمكن منه طلاب المعرفة فقـد وجدنا هنالك فجوة كبيرة بين ما طبع ونشر قبل عام١٩٨٧ وما تضمنته الوثائق البريطانية.

لقد كان الكاتب المصري المعروف محمد حسـنين هيكـل محقـا عندما قال بان صنع القرارات الخاصة بالشرق الاوسط والامة العربيـة انما كانت تتم من الخارج. كما أكدت الوثائق البريطانية حقيقـة ان مـا كان يجري خلف الكواليس هو اكبر مما كان يطّلع عليه الاخرون. لقـد كانت الوثائق حقا تظهر بشكل واسع وتفصيلي وجهات النظر ورؤى مـا كان ينبغي والذي عمل من اجله صناع القرار السياسي المتربعون علـى قمة الهرم في حكم العراق وهم بشكل محدد نوري السعيد وولي العـهد الامير عبد الاله اللذان لم يتركا خلفهما شيئا مكتوبا، ليس من اختصـاص البحث تقديم عرض لاسباب الصراع ومجرياته على مركز النفـوذ فـي رسم شكل العلاقات العربية- العربية او العربية- الخارجية وصياغتـه والذي كان محتدما بين العراق بقيادة سياسيّه المخضرم نوري السـعيد

والدولة المصرية بقيادة الضابط الشاب جمال عبد الناصر. كما ليس من اختصاص البحث ان يتطرق الى خلفية عملية التأميم واسبابها التي نفذها المصريون في تموز ١٩٥٦ او تقديم عرض للاحداث الداخلية والاضطرابات واعمال العنف التي عاشها العراق خلال الفترة التي ابتدأت مع تنفيذ العدوان على مصر باعتبار ذلك يقع ضمن الاعمال التي لايمكن اخفاؤها عن الانظار.

ان هدف البحث هو اجراء مقارنة تحدد مدى ما ذكره بعض الساسة في مذكراتهم عن هذا الحدث وبشكل دقيق مدى اطلاعهم على حقيقة ما كان يجري وبين حقيقة ما كشفته الوثائق فيما بعد وصولا الى اعطاء تقييم لمدى الدقة التي وصلت اليها هذه المذكرات من عدمها وهي محاولة لتنبيه الباحثين على ضرورة عدم الركون المستسلم لهذه المذكرات.

لقد وجدت من المفيد ان اتعامل مع خمس مذكرات ثلاث منها لسياسيين في الحكم او قريبين منه وهي:

١- مذكرات ناجي شوكت.

٢- مذكرات توفيق السويدي.

٣- مذكرات علي جودت الايوبي.

مقابل ذلك اخترت مذكرات اثنين من رموز المعارضة السياسية العراقية خلال مرحلة مهمة من تاريخ العراق (١٩٤٦- ١٩٥٨) وهما:

١- مذكرات محمد مهدي كبة (رئيس حزب الاستقلال).

٢- مذكرات كامل الجادرجي (رئيس الحزب الوطني الديمقراطي).

كما وقع اختياري على رسالة الدكتوراه الموسومة (التطورات والاتجاهات السياسية في العراق ١٩٥٣- ١٩٥٨) التي كتبها الزميل والباحث المعروف الدكتور جعفر عباس حميدي باعتبارها الاطروحة

الوحيدة التي استخدمت الوثائق العراقية الرسمية ذات العلاقة في العدوان الثلاثي.

سيشمل الاستعراض عرضا مختصرا لكل ما احتوته المؤلفات اعلاه عن العدوان الثلاثي ثم اقارن ذلك بعرض جانب مما احتوته الوثائق البريطانية كي اصل الى تقديم صورة عن مدى الفجوة بين هذه المصادر التاريخية.

٤- ازمة السويس في مذكرات الساسة في الحكم

٤-١ مذكرات ناجي شوكت

السيد ناجي شوكت رئيس وزراء سابق كتب مذكراته في ٧٥٧صفحة نشرها تحت عنوان سيرة وذكريات ٨٠عاما (١٨٩٤-١٩٧٤) (بيروت ١٩٧٧ مطبعة دار الكتب ط٣).

في هذه المذكرات ذكر المؤلف في الصفحة٥٨٥ وتحت عنوان العدوان الثلاثي على مصر ان العراق كان يبتعد عن الركب العربي ويعقد احلافا تتناقض مع مصالحه ومصالح الامة العربية وينفذ المخططات التي اتفق عليها نوري وعبد الاله مع بريطانيا وينسى واجباته القومية نحو امة مقابل ذلك كانت مصر تشق طريقها بقيادة عبد الناصر لتولي زعامة العالم العربي ويضيف ان تأميم قناة السويس اذهل الاستعمار واذنابه واستولى الذعر على بريطانيا وامريكا وعلى عملائهما في العراق واستكمل حديثه بعد ان اكد نجاح مصر في عملها في ادارة القناة موثقا بالقول (لن انسى ما سمعته من السيد صالح جبر وهو احد مؤيدي السياسة البريطانية في العراق دون شك بعد عودته من لندن عندما سألته عما سمع ورأى هناك، اذ قال لي بفصيح العبارة: ان وزير خارجية بريطانيا اكد له شخصيا: ان نوري السعيد نصح الحكومة

البريطانية ان تعمل كل ما في وسعها للقضاء على عبد الناصر قبل ان يقضي على المصالح البريطانية ونفوذها في البلدان العربية).

واستمر يسند معلوماته عن طريق صالح جبر بان هذا الاخير قد قال له انه متأكد من ان نوري السعيد كان على علم مسبق بالعدوان الثلاثي على مصر وقت وقوعه.

بعد تلك الصفحات من ٥٨٦- ٥٩٩ يتحدث المرحوم ناجي شوكت عن اسباب فشل العدوان وموقف الشعب العراقي منه مبينا (الموقف المخزي والنذالة التي ارتكبتها الحكومة العراقية والتي وصلت الى حد التشويش على الاذاعات السورية والمصرية) مقدما عرضا للقرارات التي اعلنت من قبل الحكومة العراقية لقطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا دون بريطانيا وتمسكها بحلف بغداد ثم استرسل في حديثه موسعا عن موقف رؤساء الاحزاب السياسية وعريضتهم المشهورة حول السياسة العراقية التي انتهجها نوري السعيد والتي قدمت الى الامير عبد الاله، ثم عرض المهمة التي طلب رئيس الحزب الوطني الديمقراطي كامل الجادرجي تنفيذها من قبله مبتغيا مقابلة الامير عبد الاله لغرض تقديم النصح والارشاد له لاتخاذ مواقف ترضي الاحزاب والرأي العام العراقي بدلا من سياسة نوري السعيد القائمة.

مما تقدم يتضح ان ناجي شوكت لم يكن مطلعا ابدا على الاتصالات التي كانت تجري بين بغداد ولندن قبل وقوع العدوان واستند الى صالح جبر لاغراض توثيق معرفة القادة في القمة بان بريطانيا تخطط للعدوان.

٤-٢ مذكرات توفيق السويدي

نشر رئيس الوزراء ولاكثر من مرة المرحوم توفيق بك السويدي مذكراته تحت عنوان نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية وذلك في عام١٩٦٩ (دار الكتاب العربي- ط١) جاءت هذه المذكرات بـ٦٤٤ صفحة تضمن الباب الثاني والسبعون منها موضوع تأميم القناة مبينا ان الدول العربية كانت غير متفقة على الطريقة التي اتبعتها مصر في تأميم قناة السويس موضحا ان مصر كانت بحاجة لمؤازرة الدول العربية وتأييدها في هذه الازمة العاصفة التي اقدمت على افتعالها وحدها وبدون استشارة أي من الدول العربية او الجامعة العربية نفسها، وعن موقف العراق فقد ذكر السيد السويدي ان العراق كان يعتقد ان تأميم مصر للقناة رغم ما فيه عمل مقبول في بعض دوافعه لايخلو من اضرار تزيل النفع الذي تتوخاه منه مصر. وبعد ان نعت الحكومة المصرية بوصف الدكتاتورية اوضح ان الدول العربية اصبحت ضحية لنزوة ارادت مصر ان تثبت فيها قدرتها على تحدي الغرب مهما كانت نتيجة ذلك.

لقد اوضح السويدي انه كان امام العراق اما ان يظهر بمظهر المخالف لما اقدمت عليه مصر وتحمل وزر هذه المخالفة التي لايستسيغها الشعب العراقي او ينساق قسرا لسياسة التأييد لمصر ويتظاهر بها رغم انفه وهو ما اختاره العراق، ثم تحدث عن مشاركته ممثلا للعراق في اجتماع الجامعة العربية الذي عقد لمناقشة ازمة السويس مؤكدا انه خلال وجوده في القاهرة ان المصريين قد اوضحوا له سياسة بلادهم التي كانت ترافقها اندفاعات واستعجال غير محسوب لاتخاذ القرارات.

لقد تناول السويدي في الصفحات ٥٤٥- ٥٤٧ لقاءه مع عبد الناصر مؤكدا ان عبد الناصر لم يكن يعرف شيئا عن حقيقة حلف بغداد ولافائدته منه ومسفها معلوماته، ولكن ما كتبه يمكن ان نختصره بالقول بانه كان يخالف عبد الناصر في السياسة العربية مؤيدا لنوري السعيد في سياسته بالتمسك بحلف بغداد، وفي محاولة منه لتبرير موقف القادة العراقيين فان السويدي ذكر بان المعتدلين وارباب الحكمة من رجال العرب لم يستقبلوا بحماسة هذه العملية الخطرة والتي لاتكتفي بتهديد مصر فقط بل الاقطار العربية الاعضاء في الجامعة العربية اذ اشتدت ازمتها وانتهت بالحرب، ثم ذكر السويدي تفاصيل لقائه الثاني مع عبد الناصر قبل وقوع العدوان والذي خلاله عبر عن مخاوفه من احتمال وقوع الحرب اذ لم يظهر المصريون استعدادا للتفاهم محاولا في هذا اللقاء ادخال مشاعر الخوف في قلب عبد الناصر، هنا اكد السويدي في الصفحة ٥٥٠ قائلا بانه كان عالما مما تبيته بريطانيا لناصر من نيات واجراءات تستهدف ان تأتي بمصيره وتزيله وقد اخبره بايجاز عما اخبره بهذا الشأن وحذره من مغبة سياسته المتطرفة ناصحا اياه بان يلائم الوضع مع قضايا المصالح المصرية، كما اكد انه قد فهم عبر ما وصفه (اتصالات عامة) ان الانكليز يعدون قواتهم لضرب مصر وانه قد اتصل بالسفير البريطاني في بيروت مخبرا اياه استهجانه في ان تتعاون بريطانيا مع فرنسا ضد مصر ناصحا ان تتصرف بريطانيا وحدها في الدفاع عن مصالحها. طالبا نقل وجهة نظره الى الحكومة البريطانية. عاد السويدي ليؤكد في بغداد ومن دار نوري السعيد حيث التقى السفير البريطاني ليبلغه رأيه في ضرورة عدم اشراك فرنسا في اية حركة تزمعها بريطانيا ضد مصر موضحا انه كان مفهوما صراحة ان ثمة حركة مسلحة ستقوم بها بريطانيا.

ولقد استطرد السويدي لاحقا ليشرح ما حصل على ارض الواقع من عدوان محملا مصر ونظامها مسؤولية المخاطر باحتمال عودة الاوضاع في البلاد العربية الى ما كانت عليه قبل خمسين عاما مبينا بان القصر الملكي في العراق وبعد اندلاع المعارك جمع مجلسا استشاريا له وكان المجلس يعتقد ان نظام مصر قد ان الاوان لزواله وينتظر الاخبار باستسلام مصر. من خلال ما تم يظهر لنا جليا ان السويدي كان معارضا لقرار التأميم محاولا ثني المصريين عن قرارهم ومحرضا البريطانيين للدفاع عن مصالحهم وانه كان يعلم بعزم بريطانيا على مهاجمة مصر دون ان يذكر مصدر معلوماته. لقد كانت المذكرات الوحيدة التي كتبت بهذه الصراحة والموضوعية رغم جهده الذي برره في الدفاع عن اسباب وجهة نظره. وكما سنلاحظ ذلك ان هذا الموقف قد اتخذه السويدي في وقت مبكر ومباشرة بعد قرار التأميم. ولعله كان الوحيد قد خصص صفحات غير قليلة موثقا وجهة نظره.

٤-٣ مذكرات علي جودت الايوبي

اما المرحوم علي جودت الايوبي وهو من الساسة البارزين وممن تولوا رئاسة الوزارة لاكثر من مرة وكان يكلف بهذه المهمة في الاوقات التي تشهد البلاد احداثا مهمة. لقد عنون السيد علي جودت كتابه باسم (ذكريات علي جودت ١٩٠٠ - ١٩٥٨) وجاءت بـ ٣٦٦ صفحة (ط١/ مطابع الوفاء- بيروت/ ١٩٦٧). وقد عالج ازمة السويس مبينا انه بعد أن قام جمال عبد الناصر واخوانه بحركتهم عام١٩٥٢ انهم بذلوا جهودا جبارة لتأمين الاستقرار في داخل القطر المصري. ثم بين أن مصر عمدت إلى تأميم القناة بعد أن تقرر عدم تقديم القروض لانشاء السد العالي. ثم اخذ السيد علي جودت يشرح بشكل عام دون أن

يقدم شيئا خاصا عن مسار تطور الاحداث مدافعا عن حقوق مصر وقرارها على خلاف ما قدم زميله توفيق السويدي واصفا العدوان بانه مناورة سخيفة جدا. ثم تحدث عن دعوة رؤساء الوزراء السابقين إلى الاجتماع في قصر الرحاب مع اعضاء الوزارة القائمة وهو الاجتماع الذي تحدث عنه السويدي. وقد اكد علي جودت انه اول من لام نوري السعيد ووزير خارجيته عن موقفهما البارد من الهجوم الجائر على الشقيقة مصر مستنكرا سكوت الحكومة العراقية على هذه الاعمال العدوانية التي قامت بها بريطانيا بمشاركة(اسرائيل)وفرنسا عدوة العرب. وقد بين ان الحكومة العراقية مع الاسف لم تحرك ساكنا. وعندما انتهى السيد جودت من كلامه اضاف هنا ان نوري قد قال له ماذا تفكر ان نعمل الان وقد وقع هذا الحادث. لم يحدد علي جودت ما ينبغي ولكنه اجاب نوري (هذا شأنك وعليك انت ان تفكر فيما وقع وتقوم بما يمليه عليك الواجب من اجراءات) وختم مذكراته بالاسف على عدم قيام الحكومة باي عمل يبرئ ساحتها من التقصير او يطمئن الرأي العام.

مما تقدم يظهر لنا ان علي جودت اما انه كان بظلام دامس فيما كان يجري من تحضيرات لمهاجمة مصر والتي توصل اليها السويدي واما انه حاول بشكل هادئ جدا فقط توجيه اللوم الى نوري السعيد وسياسته وتعمده عدم مساندة مصر. وباختصار ان جودت لم يقدم مادة مفيدة في مذكراته في شرح اسباب موقف نوري وتفصيله عند وقوع العدوان.

٤-٤ مذكرات محمد مهدي كبة

في كتابه (مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨- ١٩٥٨) (منشورات دار الطليعة- بيروت- ١٩٦٥ ط١) تناول في الصفحة٣٦٦ وتحت عنوان الاعتداء الثلاثي على مصر موضوع الازمة. ان كبة هو واحد من رموز المعارضة السياسية خلال الفترة ١٩٤٥- ١٩٥٨ ورئيس حزب الاستقلال القومي الاتجاه وسبق ان تم استيزاره في حكومة السيد محمد الصدر التي جاءت بعد سقوط معاهدة بورتسموث في كانون الثاني ١٩٤٨.

بعد ان تحدث عن مخاوف الحكومات العربية ذوات النظم الملكية من ثورة مصر عام١٩٥٢ مقارنا ترحيب الشعب العربي بها بدأ يتحدث عن اعمال الحكومة المصرية الجديدة في التخلص من الهيمنة والنفوذ الغربي عليها وتشجيع ابناء الدول العربية للتخلص من الاستعمار، ثم اخذ يتحدث عن طبيعة الصراع وعداء نوري لناصر. لينتقل بدون أي مقدمة للحديث عن وقوع العدوان مشيرا الى ان حكام العراق لم يخفوا واتباعهم ارتياحهم وتشفيهم بهذا العدوان. وتوقع احتمال سقوط النظام المصري الجديد وعودة الملك فاروق. ثم عرض كبة جانبا من مذكرات انتوني ايدن وبالذات ما ذكره عن عشاء دوانغ ستريت مع القادة العراقيين الضيوف مساء يوم التأميم.

تناول زعيم حزب الاستقلال الاحداث الداخلية التي شهدها العراق بعد مهاجمة مصر ودوره في الوفد الذي شكله عدد من زعماء المعارضة لتقديم مذكرة تعبر عن مشاعرهم ومطالبهم الى الملك. ثم تحدث عن الشائعات التي راجت حينها عن استخدام الانكليز مطار الحبانية للاعتداء على مصر وتموين الطائرات المعتدية بالعتاد والوقود

وهو مالم يؤكده احد حتى الان. وهكذا انصب عرض كبة على مجريـات الاحداث الداخلية التي وقعت في العراق وليس غير ذلك.

٤-٥ مذكرات كامل الجادرجي

يعتبر الجادرجي احد رموز المعارضة السياسية للنظـام الملكـي وكان قد شغل منصب وزير لمرة واحدة في حياته في حكومـة حكمـت سليمان اثر انقلاب الجيش الذي نفذه الجنرال بكر صدقي عام١٩٣٦.

جاءت مذكراته بـ٦٨٧ صفحة (دار الطليعة للطباعة والنشـر- بيروت- ١٩٧٠ ط١) لقد تضمنت في الفصـل السـابع عشـر منـها صفحة٦٤٧ وتحت عنوان العدوان الثلاثي موضوع مشاركة الجـادرجي في الاجتماعات والمؤتمرات التي عقدت فـي البلـدان العربيـة ضمـن الحركة العربية العامة لمكافحة الاستعمار مثل المؤتمر العربي في دمشق في ايلول ١٩٥٦ واشارة الى انه كان في القاهرة عند وقـوع العـدوان الثلاثي ثم تطرق الى قضية محاكمته امام المجلس العرفـي العسـكري والحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات وقد تضمنت المذكرات وثـائق هذه المحاكمة.

٥- الوثائق العراقية في اطروحة دكتوراه

في رسالة الدكتوراه الموسومة (التطورات والاتجاهات السياسـية الداخلية في العراق ١٩٥٣- ١٩٥٨) وثق جيدا دون غـيره الدكتـور جعفر عباس حميدي جانبا مهما من الموقف العراقي ازاء ازمة السويس وما رافقتها من عدوان على مصر بالاستناد الى الوثائق العراقية. فقـد ذكر في الصفحة١٢٥ مقتبسات وما ذكره دي كاريه فـي كتابـه ثلاثـة

ملوك حكموا العراق ان الامير عبد الاله كان يلح على القيام بعمل سريع ضد مصر اثر تأميم القناة ودعوته لعدم اعادة فاروق لحكم مصر مرشحا الامير عبد المنعم بدلا عنه، لقد كشفت الوثائق البريطانية صحة ذلك ولدينا الان في المكتبة الخاصة نسخة من تقريره وبتوقيعه يؤكد ذلك.

وفي الصفحة١٢٦ قدم د. جعفر جانبا من برقية سفارة العراق في بيروت ذات الرقم٩٩ بتاريخ ١٩٥٦/٨/٢ التي تظهر وجهة نظر توفيق السويدي، حيث ابرق من بيروت الى لندن نوري السعيد مبينا له أي نوري بانه لو وجد القضية ستكون لصالح مصر فانه يمكن ان يتقدم للاتصال بالسفير المصري ليعرب عن استعداده للتدخل لمساعدة مصر وبخلاف ذلك فان عليه ان يترك رأس عبد الناصر ينكسر ويحصل على حصاد جهله وغطرسته. وفي الواقع ان نوري كان قد تسلم اشارة من السفير المصري في لندن للتوسط غير انه في اجتماعه بتاريخ ٨/٢٩ قد ابلغ من الجانب البريطاني بان لايتدخل في الموضوع على هذا النحو. فضلا عن ان نوري الذي اشعر السويدي بان الجو مكهرب في لندن اخبر الجمالي في ٨/٣ برقيا بنفس المضمون ولكن في الواقع انه خلال محادثات نوري في وزارة الخارجية البريطانية قد ابلغ برغبة بريطانيا في ان يغادر الجمالي الى ليبيا لاقتناع المسؤولين هناك بالسماح باستخدام القواعد الجوية ضد مصر.

كان نوري على اطلاع ودراية بعزم بريطانيا على اسقاط قرار التأميم ولم تترك امكانية استخدام القوة العسكرية لهذا الغرض غير انه كان يخطط لان يظهر امام الرأي العام العربي والعراقي بانه حاول مخلصا حل المشكلة سلميا غير انه لم يتوفق بسبب من موقف مصر. ويظهر ذلك من محاولته اقناع الجمالي بالسفر الى مصر واقناع ناصر بحل المشكلة بالحسنى (مذكرات الجمالي ص٧٧) لقد اعتذر الجمالي وكلف السويدي بالمهمة والذي مثل العراق في اجتماعات اللجنة

السياسية لجامعة الدول العربية الذي انعقد في ١٩٥٦/٩/١٨ وقد تطرقنا الى ذلك في ما تقدم.

ان السويدي الذي انتقد القرارات التي اصدرتها الجامعة تمكن من مقابلة ناصر ويبدو في تقريره الذي رفعه بعد عودته بانه حاول اقناع عبد الناصر بالحل الوسط للازمة منتقدا موقف ناصر المتشدد والنابع من اقتناعه بان الغرب هو الذي لايريد الحل السلمي للمشكلة.

لقد عرض د. جعفر عباس حميدي خلفية ارسال القوات العراقية الى الاردن وكان موفقا عندما وصل الى ان العراق قدم ضمانات انها لن تشترك في هجوم ضد(اسرائيل)وهي ضمانات شجعت(اسرائيل)بالهجوم على مصر بعد ان اطمأنت للجبهة الشرقية ولكن اشير هنا الى ان الصورة لهذا الموضوع جاءت ناقصة بسبب عدم وجود الوثائق الانكليزية التي قدمت صورة افضل حيث ان موضوع ارسال القوات جاء لغرض ابعاد الاردن عن مصر اولا واعادة توثيق علاقتها مع بريطانيا وهنالك اتفاق سري كان قد عقد بين بريطانيا والاردن هو الذي منع أي احتمال لشن هجوم عربي ضد(اسرائيل)من الشرق. وهو اتفاق لم تتناوله المؤلفات العربية والاجنبية وحتى ان الكاتب المعروف محمد حسنين هيكل قد فاتته الاشارة اليه برغم اهميته عند صياغة كتابه القيم الموسوم ملفات السويس وهو كتاب استند كثيرا الى الوثائق الامريكية والبريطانية والمصرية.

٦- موقف العراق في الوثائق البريطانية

منذ الوهلة الاولى فان نوري السعيد لم يرحب بالتغير الذي نفذه الجيش المصري في تموز عام١٩٥٢ بخلع فاروق وتسفيره السبب في ذلك هو مخاوف نوري من انتقال عدوى مثل هذا الفعل السياسي الى

الجيش العراقي وبعد قليل ظهر وجود فجوة عميقة بين نوري وناصر بخصوص ما يتعلق بالسياسة العربية من زاوية علاقتها بالغرب والشرق. ففي الوقت الذي تمسك فيه ناصر بجلاء القوات البريطانية واتباع سياسة الحياد كان نوري يرتب لقيام حلف بغداد وتوثيق ارتباط العراق بالغرب وانحيازه اليه وعندما اعلنت مصر تأميم قناة السويس في ٢٦تموز مساء كان نوري يرافق الملك فيصل والامير عبد الاله في زيارتهم الرسمية لبريطانيا حيث لم يعلن الجيش المصري الجمهورية عام١٩٥٢ بعد الثورة مباشرة، بل ابقى الملكية نظاماً للحكم بتولية احمد فؤاد نجل فاروق وكان طفلا وناب عنه اوصياء، علي ماهر، وفي تموز١٩٥٤ بادر الى اعلان الجمهورية حيث عين محمد نجيب وجرى بعد ذلك تطور في الاحداث الى ان خلصت رئاسة الجمهورية الى الراحل عبد الناصر.

وصل خبر التأميم بينما كان الضيوف على مأدبة عشاء ورئيس الوزراء البريطاني (انتو ادين).

لقد استندت معظم الكتابات عن موقف العراق وبالذات موقف نوري السعيد لحظة وصول الخبر الا انه بدأ القول ايدين (الان يجب ان يضرب ناصر بل ويضرب بقوة) هذا ما ذكره مجيد خدوري في كتابه العراق المستقل اليه استند بقية الكتاب ولكن من جانبي لم اجد تقرير بريطانيا عما دار على مأدبة العشاء ويبدو ان السبب يعود الى ان الخبر قد انهى العشاء على جناح السرعة حيث كان ايدين قد دعى لعقد اجتماع لوزارته حضره العسكريون لمناقشة تطورات الموقف ولكن في المقابل كشفت الوثائق البريطانية تفاصيل خطيرة حول المحادثات التي جرت مع الجانب العراقي موضوعاتها لم نجدها في أي كتاب او مذكرات دونت بعد عام١٩٥٦. لقد كان ايدين حريصا على عودة الوفد العراقي الى بغداد بسرعة لاحتمال تدهور الاوضاع في البلاد لاسيما ان العراق

اصبح حجر الزاوية الاساس في السياسة البريطانية ازاء الشرق الاوسط.

لقد عقدت عدة اجتماعات بين موظفي وزارة الخارجية البريطانية والامير عبد الاله ونوري السعيد في حين لم يشارك الملك في اي اجتماع من هذه الاجتماعات. اول هذه الاجتماعات تم في ٣٠تموز أي بعد اربعة ايام من قرار التأميم قاد الجانب البريطاني فيها السفير في بغداد السيد مايكل رايت حيث اجتمع مع نوري بشكل منفرد ومن ثم مع نوري وعبد الاله في هذا الاجتماع. ثم تدارس تأثير القرار المصري على الوضع الداخلي في العراق وكذلك كيفية التعامل مع القرار ومواجهة ناصر.

لقد اثبت السير مايكل في تقريره الى وزير الخارجية ان نوري السعيد اعرب عن امكانية السيطرة على الاوضاع في العراق حيث شهدت البلاد موسما زراعيا جيدا والطلبة في اجازتهم الصيفية والجيش مسيطر عليه، لقد ظهر نوري خلال الاجتماع متشددا في موقفه وطالب ان تقف المملكة المتحدة والاخرون موقفا جادا وبشكل يؤدي الى اسقاط ناصر مبينا بان سقوط ناصر من شأنه ان يؤدي الى تحسين الوضع في المنطقة خلال ايام مقابل ذلك، اذا ما نجح ناصر فان الوضع سيصبح قائما وخطرا بشكل متزايد. لقد طالب نوري ان تكون الخطوة الاولى باتجاه تدويل القناة ما دام ناصر لايلتزم بالمواثيق والعهود وعلى اساس ان العالم لايستطيع ان يشاهد نهرا مائيا دوليا مثل القناة تحت رحمة ناصرمضيفا وجوب ان تكون هناك سيطرة مستمرة على عموم منطقة القناة كما حبذ استخدام القوة المسلحة بما في ذلك اشراك فرنسا ويشجع ان تنظم للعمل استراليا ونيوزيلا وهولندا والباكستان وايطاليا وحتى تركيا اذا كان ذلك ممكنا واعرب عن امله في اشتراك الولايات المتحدة ولكنه اشترط ابقاء(اسرائيل) هادئة.

من جانب عبد الاله ايّد نوري وبدا مقتنعا بـــان الحـــرب قادمـــة واعرب لصديقه العقيد جيرالد ديكاري عن رغبته في منح عرش مصـــر الى الامير عبد المنعم بعد سقوط عبد الناصر جاء ذلك في اللقاء الخاص الذي تم بينهما في يوم ٣١ تموز والذي خلاله اعرب عن رغبته فـــي ان تتم عملية اسقاط ناصر بسرعة وتجد في مرفـــق هـــذا البحـــث تقريـــر ديكـــاري الاصلـــي والمحفـــوظ فـــي ملفـــات الخارجيـــة البريطانيـــة F037 14662 كما اشارت وثيقة اخرى كتبت في ٣آب عن لقاء اخر مـــع نوري حيث بينت مدى التحريض الذي استخدمه نوري لتشجيع بريطانيا للتصدي للخطوة المصرية حيث طالب بان ترسل بريطانيا الـــى العـــراق عبر القناة سفينة محملة بالاسلحة الى الجيش العراقي واذا منعت مصـــر مرورها عبر القناة فيمكن عند ذلك ان يستغل الحدث داخليا ضـــد عبـــد الناصر. حيث بامكانه ان يعتبر الموقف المصري اعتـــداء علـــى قطـــر عربي. كما اعرب عن استعداده للمساعدة بان تقف الباكستان وايـــران الى جانب بريطانيا مبينا بان ناصر سوف يتراجع عن التأميم وسيستقيل حالما يدرك ضخامة القوات التي تواجهه وحجمها، فضلا عن ان نـــوري موافق على المطلب البريطاني بان يتدخل مع ليبيا لاقناعها بقبول تواجد القوات البريطانية على اراضيها وعدم اثارة المشاكل باعتبار ان النصـــر سيكون للغرب في هذه المعركة كما وعد بارسال الجمالي لهذا الغرض.

في هذا الاجتماع وافق نوري علـــى مطـــالب وزيـــر الخارجيـــة البريطاني بان يبادر لاتخاذ مايلزم للحد من الصحافة العراقيـــة لان ردود فعلها كانت مؤيدة لخطوة مصر. رغم تأكد لندن من ان نوري هو مـــع الحل العسكري الا انها كانت ترغب في المزيد مـــن الاطمئنـــان علـــى الوضع الداخلي في العراق واحتمالات تطوره في حالة وقوع حرب. فقـــد تم تدارس الحالة الداخلية بين السفارة ووزير الداخلية سعيد قزاز الـــذي اوضح ان نجاح التأميم هو ليس في صالح مستقبل النظام السياسي فـــي

العراق وحلفائه. لذلك كان قد بدأ يدعو الى ضرورة توجيه ضربة عسكرية واعدا امكانية السيطرة على الاضطرابات المتوقعة في العراق.

في ٢٠ آب اوضح نوري للبريطانيين امكانية مباشرتهم بالعمل العسكري ضد مصر بالتنسيق مع بعض شركائها وحتى من دون الامريكان واظهر حرصه على ضرورة ان يبدأ ناصر باطلاق الرصاصة الاولى لما لذلك من نتائج يمكن ان تستغل ضد مصر موضحا ان بامكان بريطانيا ان تدفع ناصر باتجاه هذه الخطوة. وقد قدم مقترحات لتحقيق هذا الغرض ناصحا واستنادا الى (المادة ٧ في معاهدة ١٨٨٨اتفاقية القناة) التي اعطت الحق لبريطانيا بان يتم وضع قطعتين بحريتين حربيتين الاولى في ميناء بورسعيد والاخرى في السويس مبينا ان وضع هذه القطع البحرية قد يدفع ناصر الى التراجع او اعلان الحرب كما طلب ان تكون محطات الاذاعة المصرية من الاهداف التي يجب ان تقصف بشكل مبكر في بداية العمليات العسكرية ضد مصر لانه لم يكن يرغب ان يستمع الشعب العربي والعراقي الى تعليقات المذيع المصري المشهور احمد سعيد.

لقد بدأ نوري يرغب في التنسيق مع البريطانيين لتأسيس معسكر الملوك العرب المعادي لناصر وهو مشروع سارع في تنفيذ وتائره بعد قرار التأميم. لقد كان الملك سعود غاضبا على ناصر لعدم اخباره مسبقا بقرار التأميم خصوصا وعبر القناة تمر معظم الصادرات النفطية ونتيجة للتثقيف الامريكي له اصبح مستعدا للتعاون مع العراق. وضمن هذا الاطار تم تهيئة زيارات عدة لمسؤولين عراقيين انتهت في ايلول ١٩٥٦ بالتقاء فيصل الثاني مع ابن سعود في منطقة دمر.

عندما تم تنفيذ العدوان واندلاع المعارك فان ملك الاردن سارع للاتصال في ١ تشرين الثاني بالقادة العراقيين من اجل ارسال فرقة عراقية متكاملة بسرعة لتدعيم الجبهة الاردنية الذي حصل ان القادة

العراقيين وبعد التشاور مع السفير البريطاني اتفقوا على الاستجابة لطلب الملك ولكن تقرر استخدام التباطؤ المتعمد في ارسال هذه القطعات وبان ترسل القدمات الادارية والوحدات العسكرية الدفاعية وليس الهجومية وعلى ان لاتتجاوز منطقة الحدود الاردنية العراقية. وبان تتكامل القطعات العراقية في الوقت الذي يستكمل البريطانيون والفرنسيون احتلال القناة. كما ابرق ايدين رسالة سرية الى الوصي يطمئنه فيها ان القوات البريطانية والفرنسية التي في طريقها لاحتلال قناة السويس فهي هدفها هومنع الصهاينة من التقدم الى القاهرة. وبذلك فان هدفها خدمة مصر وليس الاعتداء عليها.

ان مثل هذه الوثائق هي كثيرة وتغطي تفاصيل المراسلات التي تضمنت وجهات نظر واراء وملاحظات وتوجيهات وتنسيق سياسات ليس فقط بين الجانبين وانما ايضا بين الحلفاء في حلف بغداد والدول العربية هي مراسلات ووثائق تغطي المرحلة مابين قرار التأميم ولشهور بعد وقف اطلاق النار. انها وثائق قدمت تفاصيل لم نجد اشارة اليها لا من قريب ولا من بعيد في مذكرات الساسة العراقيين.

الخلاصة التي خرج بها البحث

بعد ان استخدم البحث خمس مذكرات لخمسة من الساسة العراقيين من رموز السياسة في الحكم وكذلك في المعارضة في عرض ما تناولته تحديدا عن العدوان الثلاثي ومقارنة ذلك بما توصل اليه باحث اكاديمي عراقي واحد تمكن من الوصول الى جانب من الوثائق العراقية مع تلك الوثائق العديدة الخاصة بالحكومة البريطانية يمكن ان نخلص الى ما يلي:-

١- باستثناء مذكرات توفيق السويدي فقد اخفقت بقية المذكرات من الاشارة الى معرفة اصحابها الدقيقة بما كان يجري من حوار

وتنسيق بين البلاط ورئيس الوزراء نوري السعيد مـــع الحكومـــة البريطانية.

٢- رغم اعتراف توفيق السويدي بانه كان معارضا لموضوع التـــأميم وكذلك اعترافه بعلمه بحقيقة عزم بريطانيا على مهاجمة مصـــر الا انه اصر على ان هذه المعرفة جاءت عبر ما اطلع عليه من خـــلال ما سماه بالاتصالات العامة وتجنب ذكر الاسماء كما دافع مـــن دون ان يصرح علنا عن سياسة نوري والبلاط تجاه هذه الازمة ولكـــن لم يتحدث عما علمه من خلال نوري.

٣- عجزت الوثائق الخاصة بالحكومة العراقية عن تقديم نفسها بسهولة للكتاب والباحثين ولهذا لم يكن ممكنا لهم تقديم صـــورة واضحـــة لحقيقة المواقف الرسمية.

٤- عرضت الوثائق البريطانية ونظرا لسعة حجمـــها صـــورة شـــاملة لمواقف القادة العراقيين الثلاثة الكبار الملك فيصل ولـــي عـــهده الامير عبد الاله ورئيس الوزراء نوري السعيد من موضوع الازمة منذ حدوثها ووقوع العدوان وما تلاه سواء مـــن زاويـــة تنسـيق السياسات مع بريطانيا للاطاحة بناصر وكذلك استعدادهم لتســـهيل مهمة الانكليز مع الملك حسين وبقية الدول العربيـــة فضـــلا عـــن استعدادهم للسيطرة على الاوضاع الداخليـــة العراقيـــة واظـــهرت تعجلهم بضرورة قيام بريطانيا بالاسراع بالاجهاز على مصـــر بـــل وحددوا بعض ما ينبغي على بريطانيا القيـــام بـــه ثـــم اشـــتراكهم وتبنيهم لمهمة تأسيس جبهة عربية تضم الممالك العربية الثـــلاث العراق والاردن والسعودية مع دول عربية اخرى لمواجهة مصـــر وزعيمها.

٥- أكدت الوثائق البريطانية عدم اطلاع غير الثلاثة الكبار وباستثناء وزير الداخلية سعيد قزاز من الساسة العراقيين على ما كان يجري حيث لم يظهر اسم أي منهم في هذه الوثائق والواقع ان مثل هذا الوضع هو سمة اساسية تتسم بها الوثائق البريطانية اذ ان غالبيتها اظهرت ان الامور السياسية المهمة انما كانت تتم مع عبد الاله ونوري السعيد بشكل كبير دون غيرهما

٦- اظهرت المذكرات وجود تقارب كبير في عرض المعلومات ذات العلاقة بازمة السويس وان كتابها لم يجهدوا انفسهم بالتوصل الى حقائق الامور سواء عند وقوع الازمة او بعدها بسنوات رغم ان عددا منهم تولى مسؤوليات كبيرة بعد الحدث اذ اصبح علي جودت الايوبي رئيسا للوزراء بعد استقالة نوري السعيد واصبح محمد مهدي كبة عضو مجلس السيادة في اليوم الاول بعد سقوط النظام الملكي في ١٤تموز ١٩٥٨.

٧- ان المذكرات تظهر لنا (وبعد عرض الوثائق البريطانية) بانها لم تحتوِ على معلومات مهمة وتفصيلية تساعد الباحث المختص ولهذا فهؤلاء الاخيرين مدعوون الى تجنب استخدام هذه المذكرات بشكل بعيد عن التدقيق والتوثيق او في تحديد الادوار وحجومها فيما يخص دور اصحاب المذكرات.

٨- يمكن لهذا البحث ان يكون مفتاحا لبحوث اخرى تناقش امورا مماثلة لغرض تكوين صور افضل لاسيما وان عددا مهما جدا من الوثائق البريطانية باتت متوفرة في العراق اهمها المجموعة المحفوظة في دار الكتب والوثائق التي قدمتها وزارة الدفاع بعد ان جمعها مختصون من دار الوثائق البريطانية لاسيما التي تتعلق بالثلاثينات وسنوات الحرب الثانية. اما المجموعة الثانية فهي المجموعة المتوفرة في المكتبة الخاصة لكاتب هذا البحث والتي

يزيد عددها على اثني عشرة الف وثيقة تخص مرحلـــــة ١٩٤٥-١٩٥٩.

إن هذه الوثائق من شأنها اذا ما استخدمت جيدا بامكانها ان تقدم صورة جديدة عن تاريخ الدولة العراقية الحديثة وتطورها وعلى مختلف الصور صورة تختلف عما كتب سابقا ومن الخطأ الاعتقاد ان ما كتبـــــه السابقون يكفي ولاداعي للتكرار فالتاريخ بحاجة دومـــا الـــى التـــأصيل والتثبيت عند تدوينه.

وحدة سورية ومصر عام ١٩٥٨
في مذكرات خالد العظم

د . إبراهيم سعيد البيضـــاني

جامعة تكريت – كلية التربية

نشأته :

ولد خالد سليم بن محمد فوزي باشا في ٦/ تشرين الثاني/ ١٩٠٣ في سوق ساروجة بدمشق من عائلة لها مكانة اجتماعية كبيرة. اذ تولى والده (محمد فوزي باشا) امارة الحج في دمشق لعدد من السنين، واصبح نائبا في مجلس المبعوثان، وتقلد منصب ناظر للاوقاف في وزارة احمد مختار باشا التي تشكلت في عام١٩١٢، وسقطت على اثر الهزائم التي لحقت بالدولة العثمانية في الحروب البلقانية.

انتبه خالد العظم وهو في سنوات عمره المبكرة على اصوات المدافع في دمشق يوم الانقلاب العثماني عام١٩٠٨. ثم توالت الاحداث التي تزامنت مع ايام صباه وشبابه، وشهد خلع السلطان عبد الحميد وتولي الاتحاديين الحكم، واستيلاء ايطاليا على طرابلس عام١٩١١، وحرب البلقان عام١٩١٢- ١٩١٣، واندلاع الحرب العالمية الاولى عام١٩١٤ وتطور الاحداث خلال سنوات الحرب، ثم الحرب التي خاضها الوطنيون في سورية مع الجيش الفرنسي في موقعة ميسلون عام١٩٢٠.

وبذلك كان للمكانة الاجتماعية والسياسية التي يحظى بها والده والاحداث المحلية والعالمية التي رافقت صباه وشبابه اثر في توجيه حياته، وجعلته مرتبطا بشكل وثيق بالعمل السياسي وفي مذكراته لايخفي حقيقة ان عائلته كانت مقربة من السلطات العثمانية، وعلى الرغم من ذلك فان والده ايد الامير فيصل، ويصف خالد الامر من الاحداث المهمة في حياته التي تزامنت مع احداث وتطورات مهمة اخرى في حياته في الفترة نفسها اذ تزوج في عام١٩٢٠، وتوفي والده بعد اشهر قليلة، وهذا الامر ترك اثرا كبيرا في حياته، فقد كان يعيش حياة مترفة في ظل حب والده وحنانه وتتمتع عائلته بنفوذ كبير.

مناصبه

عهد إلى خالد العظم تولي منصب وزارتي العدلية والخارجية في وزارة نصوح التجاري في رئاسة الاتاسي وفي ٢/ نيسان/ ١٩٤١ تولى رئاسة الوزارة ، وشارك في انتخابات عام١٩٤٣ متضامنا مع شكري القوتلي والكتلة الوطنية، ثم تولى منصب وزير المالية في وزارة سعد الله الجابري. بعد أن تولى شكري القوتلي رئاسة الجمهورية عام١٩٤٣، وفي ايلول من عام١٩٤٤ تولى منصب وزير المالية والاعاشة في وزارة فارس الخوري نفسها، وتولى رئاسة الوزراء ثانية في ١٦/ كانون الأول عام١٩٤٨[1]، واصبح وزيرا للخارجية ووزيرا للدولة ومرشحا لرئاسة الجمهورية في السنوات٥٥- ١٩٥٨، وهي السنوات التي رسمت فيها خطوط وحدة سورية ومصر عام١٩٥٨، وبهذا الوصف نقول أن خالد العظم رجل سياسة ورجل دولة في صميم احداث سورية خلال تلك الفترة وتاريخها .

وعلى الرغم من انه رجل سياسة وهو عنصر فاعل فيها مما يفرض عليه أن يكون تواقا لها وراغبا في تولي المناصب السياسية العليا، إلا اننا نلمس حقيقة انه كان لا يقبل بأي عرض لتولي الوزارة إلا على وفق قناعات محددة تنسجم مع وجهة نظره، لذلك رفض عرض (الداماد نامي احمد) بتوليه رئاسة الوزارة عام١٩٤١، لأن الداماد شخص غير مرغوب فيه، إذ ارتكب اعمالا مؤلمة في اثناء ثورة عام١٩٢٥ فضلا عن إنه ماسوني، فاعتذر عن تأليف الوزارة، ثم عرضت عليه في العام نفسه فوافق بعد تردد وبعد أن ضمن تأييد هاشم الاتاسي وتشجيعه وحاول كسب موقف الكتلة الوطنية، وقد استقال عن الوزارة من ١٤/ ايلول عام١٩٤١ نتيجة لعدم تلبية الحكومة الفرنسية لوعودها في تحقيق استقلال سورية واقامة نظام حكم يستند إلى ارادة الامة، ثم وافق على المشاركة في انتخابات عام١٩٤٣ بعد أن تشاور مع شكري

القوتلي زعيم الكتلة الوطنية واتفق معه على مبادئ تخدم قضايا سورية، وبعد ان اقتنع ان القوتلي هو افضل من يمكن العمل تحت لوائه[٢].

ميوله واتجاهه وآراؤه :

يرى العظم انه لابد من التطور الاجتماعي وان لا غنى للشعب عنه، ولكنه كان يكره الثورات التي تأتي بنتائج مخربة، ويبدو انه يكره المتغيرات الكبيرة التي تخلف نتائج سلبية على حياة الناس واستقرارهم وهو يدعو الى اشتراكية معتدلة ذات قواعد منسجمة مع طبيعة المجتمع، لذلك فهو ينتقد الشيوعية ويرى انها لم تعط الثمرة المرجوة[٣].

لايقيم خالد العظم وزنا للتظاهرات الشعبية، ويبدو ان مرد هذا الموقف السلبي من التظاهرات متأت من مشاهدته الجماهير في سورية تستقبل جمال السفاح الذي اضطهد العرب واعدم نحو ثلاثين زعيما وطنيا، اذ استقبل بزغاريد النسوة وهتافات الناس، ويقول ان هذه الجماهير نفسها تستقبل الثوار والمناضلين والقادة بنفس المنوال، وهي الجماهير نفسها التي استقبلت جمال عبد الناصر بمشهد لم يحظ بمثله احد في الماضي كما يقول[٤].

وكان العظم يقف موقفا رافضا من السياسيين الذين ايدوا الفرنسيين ووقفوا ضد ارادة شعبهم، مثلما هو حال موقفه من تاج الدين الحسيني الذي تولى رئاسة الجمهورية خلال الاعوام ٤١- ١٩٤٣، وموقفه من التعامل مع الداماد نامي احمد بيك[٥].

وفي مناقشته لاسباب فشل او اخفاق الجامعة العربية وعدم تحقيقها الاهداف المنشودة، يرى ان ذلك يعود الى ان ميثاق الجامعة العربية اكتفى بمبادئ ونظريات حلوة دون ان تحدد الوسائل المؤدية الى

تحقيقها، فضلا عن ذلك عدم تحمس الملوك والوزراء لهذه الخطوة الوحدوية لاعتقادهم انها تهز عروشهم او تفقدهم امتيازاتهم، في وقت لم يكن فيه أي زعيم عربي قادر على ان يجلب انظار الاخرين، ويفرض نفسه على الاحداث، وكان يرى ان الجامعة العربية لكي تحقق اهدافها يجب ان تنال مصر والعراق وشرق الاردن الاستقلال الناجز، ولذلك عارض خالد العظم مشروع سورية الكبرى، اذ انه كان يخشى ان تفقد سورية استقلالها في حالة الوحدة مع العراق والاردن اللتين لاتزالان مرتبطتين بمعاهدة مع بريطانيا[٥].

وفي حديثه عن القضية الفلسطينية حدد اسباب خسارة العرب في حربهم مع الصهاينة بتفرق الكلمة بين العرب انفسهم وبين ملوكهم ورؤسائهم وبسبب تسلط النفوذ البريطاني على ملوك العرب ورؤسائهم، وفقدان السلاح والذخيرة من جميع الجيوش العربية، وفقدان الاتصال والانسجام والتنسيق بين الجيوش العربية، ومن الاسباب الاخرى دعوة الحكومات العربية اهالي فلسطين بالجلاء عنها الى الاقطار العربية المجاورة[٧].

حلف بغداد

يرى خالد العظم في حلف بغداد من خلال ما ترويه مذكراته حلقة من حلقات النطاق الكبير الذي اعدته السياسة الامريكية لاحاطة الاتحاد السوفياتي بحزام يطوق البلاد ويحصر داخلها النشاط الشيوعي، ويهدف الى هدم تلك القوة الجديدة التي اخذت تنافسها في السياسة الدولية لتحتفظ لنفسها بالتبوؤ على عرش السياسة العالمية، وانها دعمت قيام الكيان الصهيوني في فلسطين من اجل اقامة رأس جسر في المنطقة، وهذا الهدف لوحده لايكفي لضمان القوة والتفوق، بل ترى لابد من اقامة تحالفات عسكرية تزج بها الاقطار العربية، والولايات المتحدة ترى

في الوطن العربي يحتل اهمية بوصفه جزء حيويا يؤمن احكام السيطرة على الحدود السوفيتية، فضلا عن انه يطل على سواحل البحر المتوسط التي تهدف الى جعله بحيرة امريكية(٨).

كان خالد العظم يستنكر ارتماء سورية في احضان الغرب من خلال سياسة الاحلاف والتكتلات، لذلك فهو يشير بوضوح الى قادة حزب الشعب وعلى رأسهم زعيم الحزب رشدي الكيخيا المندفعين الى الانضمام الى تلك السياسة، ولخالد موقف رافض للحلف العراقي - التركي المنتظر عقده.

وموقف خالد العظم ووجهة نظره من اهداف ونيات حلف بغداد متطابقة مع موقف حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوري من الحلف، اذ نشط الحزبان ولاسيما حزب البعث العربي الاشتراكي ونزل الى الشارع وقاد التظاهرات وعارض الحكومة التي كان موقفها متذبذبا انذاك، ولاسيما موقف حكومة فارس الخوري التي تولت الحكم في تشرين الاول عام ١٩٥٤، وانقسم الموقف الداخلي في سورية من حلف بغداد الى فريقين، الفريق الاول الرافض للسياسة الغربية وسياسة الاحلاف، هذا الفريق مثله حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوري وبعض الشخصيات الوطنية ومنهم خالد العظم موضوع بحثنا، والفريق الثاني وهم المؤيدون لسياسة الاحلاف يمثلهم حزب الشعب وفريق من الحزب الوطني وقد اتسم موقفهم بالضعف، وقد جابهت جبهة الرفض المناوئة لسياسة الاحلاف زيارة عدنان مندريس الى دمشق في ١٢/ ١/ ١٩٥٥ بمعارضة شعبية وتظاهرات وموقف معارض داخل المجلس النيابي(٩).

وفيما يتعلق بدور مصر في تشجيع سورية ودفعها الى اتخاذ موقف الحياد وعدم الانضمام الى الحلف العراقي- التركي الذي تناوله خالد العظم في مذكراته، فقد ادركت ان انجرار سورية الى سياسة

الاحلاف يجعل منها في عزلة عن الساحة العربية، لذلك دعت رؤساء الوزراء العرب الى عقد مؤتمر في القاهرة بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٩٥٤ لافشال محاولة العراق بعقد اتفاقية وحلف دفاعي مع تركيا(١٠).

وبعد ان اتضح موقف الحكومة السورية المتذبذب خلال مشاركة كل من فارس الخوري وفيضي الاتاسي في مؤتمر القاهرة، ودفاعهما عن مبررات عقد حلف بين العراق وتركيا، نشطت الحركة الوطنية في سورية لمواجهة هذه السياسة، وقدم نواب حزب البعث العربي الاشتراكي في المجلس النيابي السوري استجوابا الى الحكومة حول موقفها من الحلف العراقي- التركي المزمع عقده، وقد ادى افتضاح امر الحكومة في موقفها من الحلف الى اضطرارها الى تقديم استقالتها في ٧/ ٢/ ١٩٥٥(١١). ويعد هذا انتصارا للاتجاه الذي يتبنى سياسة الحياد ويرفض سياسة الاحلاف والتكتلات، وهذا الاتجاه ينضم اليه خالد العظم.

ومقابل الموقف الرافض لسياسة الاحلاف والتكتلات الدولية، نشط الاتجاه الاخر الذي يمثله حزب الشعب وفريق من نواب الحزب الوطني باتجاه السعي لضم سورية الى الحلف العراقي- التركي الذي ينتظر عقده بين البلدين، وقد زار عدنان مندريس بغداد ووقع على الحلف العراقي- التركي في ٢٥/ شباط/ ١٩٥٥، وعلى اثر اعلان عقد الحلف قامت تظاهرات في المدن السورية ونشطت الصحافة الحزبية في مناوأة الحلف، ودعا القوتلي قبيل انتخابه رئيسا للجمهورية الى تأليف حكومة قومية يكون شعارها رفض الاتفاق ورفض المشاريع العسكرية الاجنبية، والتعاون مع مصر والعمل على اقامة منظمة عربية اقليمية تأخذ على عاتقها الدفاع عن المصالح العربية، وعلى الصعيد الاخر ان الموقف من الحلف العراقي- التركي ادى الى تقوية اواصر العلاقة بين سوريةومصر(١٢)، اذ وصل الى دمشق في الوقت الحرج والدقيق الذي تعيشه سورية وفد مصري برئاسة صلاح سالم في اليوم نفسه الذي وقع

فيه الحلف العراقي- التركي في ٢٥/ ٢/ ١٩٥٥، وبذلك انفتحت صفحة جديدة في العلاقات السورية المصرية اسهمت في تعزيز الروابط بينهما باتجاه الوحدة.

وفي اليوم التالي لتوقيع الحلف التركي- العراقي أي في يوم ٢٦/ شباط/ ١٩٥٥ حضر خالد العظم وزير الخارجية السوري لقاء جميس موس السفير الامريكي في دمشق مع السيد صبري العسلي رئيس الوزراء وتقديمه مذكرة تبين موقف الولايات المتحدة المؤيد للحلف العراقي- التركي بوصفه من وجهة نظر حكومته خطوة على طريق انشاء واقامة مخططات الدفاع الفعال عن المنطقة ضد التوسع الشيوعي، وحث السفير الامريكي سورية والاقطار العربية ان ترحب بهذا الاتفاق، ودعا الى نمو الترتيبات الدفاعية وتحسين العلاقات العربية- الاسرائيلية لتمكين الولايات المتحدة من المساهمة الفعالة في الدفاع عن المنطقة، وبينت الحكومة الامريكية من خلال وجهة نظر سفيرها والمذكرة التي يحملها انها ترى في ميثاق الضمان الجماعي العربي بانه لايفي بحاجة المنطقة الى انظمة دفاع فعال، وانها لاتقدم الدعم والتأييد لهذا الميثاق، وحث سورية بان لاتشترك باي عمل من شأنه ان يجعل موقف العراق اكثر صعوبة(١٣).

الاتفاق المصري السوري

كما اشرنا في حديثنا عن الموقف من الحلف التركي- العراقي، فقد خلق موقف العراق ونيته بعقد اتفاق اوتحالف مع تركيا اوضاعا تطغى فيها الانشقاقات والخلافات داخل سورية، وفي خضم هذا الوضع احتفظ خالد العظم بثقله المؤثر مع كتلته المستقلة في تقرير الحياة السياسية في سورية، وقد ادرك النواب السوريون الموالون للغرب بانهم لايمكن ان يحتفظوا باية قوة سياسية تعزز نهجهم الموالي للغرب

بدون تأييد خالد العظم، واسهم النواب البعثيون وخالد العظم بتشكيل حكومة جديدة برئاسة صبري العسلي على اثر سقوط وزارة فارس الخوري، ويعد هذا التغيير الوزاري الجديد مؤشرا على افول نجم القوى المحافظة والموالية للغرب في سورية، وصعود عناصر الحياد والقوى المعادية للغرب، ومع ذلك فان فعل البعث وتأثيره وخالد العظم يعزز ويقوي مع النفوذ السعودي والمصري، فضلا عن دور الجيش الذي يضم عناصر معادية للغرب وموالية لمصر، كل ذلك دفع الامور نحو تشكيل حكومة جديدة تنفذ سياسية معادية للغرب وموالية لمصر(١٤).

وفي خضم هذا الموقف المتأزم وعلى اثر توقيع الحلف العراقي- التركي، دعا خالد العظم وزير الخارجية السوري صلاح سالم الذي كان يقوم بزيارة الى بيروت لزيارة دمشق يوم ٢٦/ شباط/ ١٩٥٥ برفقة محمود رياض، ودار بينهما حديث مطول عن سبل مواجهة الحلف التركي- العراقي بوصفه صيغة جديدة لمعاهدة الدفاع المشترك التي كانت تهدف لها الولايات المتحدة، وجعل تركيا همزة وصل بين حلف الاطلسي وحلف شرقي اسيا، وذلك لخدمة الاهداف الغربية ومواجهة الاتحاد السوفياتي، واتفق المتحاوران (السوري والمصري) بان العدو الرئيسي الوحيد للعرب هو(اسرائيل) ومن الضروري ضم الصفوف وتقوية الجيوش وعقد حلف بنصوص اقوى وتضامن اصدق من ميثاق الضمان الجماعي لمواجهة الحلف التركي- العراقي. وان تبدأ هذه الخطوة بتوقيع اتفاق ثنائي سوري مصري، واستمرت المناقشات والحوارات حتى يوم ٢/ اذار/ ١٩٥٥ بتوقيع اتفاق ثنائي(١٥) وقد عرض مشروع الاتفاق على المملكة العربية السعودية في ٥/ اذار فوافق عليه الملك سعود واقره وسمي بالميثاق الثلاثي.

تضمن الاتفاق عدم الانضمام الى الحلف التركي- العراقي او أي حلف اخر، واقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادي عربي مشترك ترتكز

على العمل المشترك في مواجهة أي عـدوان يقـع علـى احـدى دول المنظمة وانشاء قيادة مشتركة دائمة ودعم الاقتصاد تمـهيدا لتحقيـق الوحدة الاقتصادية وفق اسس حددها الاتفاق واشارت الفقرة الثالثة مـن الاتفاق الى دعوة الاقطار العربية الاخرى للانضمام الى هذا الاتفاق(١٦).

وفي حديثه عن الاتفاق المصري- السوري بيـن خـالد العظـم الموقف المعارض الذي كان يقوده ميخائيل اليان من اعضـاء الحـزب الوطني البارزين ومحاولته ثني الحكومة عن التفاهم مع مصـر، الـذي اخذ يحوك الدسائس والمنـاورات لافشـال خطـط التقـارب السـوري المصري، الا ان حزبي الشعب والوطني كانـا يعيشـان فـي خلافـات ويحملان وجهات نظر مختلفة فالحزب الوطني منقسم، وبعض اعضائـه يؤيدون سياسة العسلي الموالية لمصر، وحزب الشـعب يعيـش حالـة الانقسام حول الموقف ذاته(١٧).

وفي زيارته للعراق يوم ١٤/ اذار/ ١٩٥٥ ولقائه مـع نـوري السعيد اوضح خالد العظم مبادئ اساسية تقوم عليها سياسة بلاده التـي تعمل على ان تعود العلاقات العربية ولاسيما بين العراق ومصـر الـى احسن صورة، وانه يعد الخطر الصهيوني هو الخطر الاكـبر المحيـط بالاقطار العربية، ويقول علينا ان لانلهي انفسنا بخطر شيوعي لانشـعر به، وان بلاده تلتزم بسياسة الحياد، وترفض عقـد أي حلـف او ايـة معاهدة مع اية دولة اجنبية، واثناء بيان خالد العظم موقفه المعـارض لفكرة الاتحاد السوري- العراقي خاطبه ميخائيل اليـان عضـو الوفـد السوري بانه ليس متفقا مع موقف خالد العظم، وهذا امر مسـتغرب ان يعارض عضو الوفد رأي رئيسه امام الوفد المفاوض، مما يؤيد رفـض ميخائيل اليان للاتفاق السوري- المصري وتـأييده للاتحـاد العراقـي السوري(١٨) وكان الاخفاق هو نتيجة هذا المسعى السوري لجر العـراق

الى الحضيرة العربية، ومحاولة ايجاد مصالحة بين نوري السعيد وجمال عبد الناصر[١٩].

ويعد عام١٩٥٥ منعطفا مهما في تكوين اللبنة الاولى التي ادت فيما بعد الى قيام وحدة سورية ومصر عام١٩٥٨، اذ تكون فيها موقف عربي رافض لسياسة الاحلاف والتكتلات التي كانت ترعاها وتدفع اليها الولايات المتحدة، ومنه ايضا انبثقت صيغة جديدة نظمت العلاقة بين سورية ومصر وبموجب الاتفاق اصبحت العلاقات بينهما واضحة محددة بما ادى الى توحيد الجهود وتظافرها لمواجهة الاحلاف والتكتلات العربية والضغوط التي كانت تواجهها الامة العربية في ذلك الوقت، وهذه الحقائق اشرها خالد العظم في مذكراته بشكل واضح، فضلا عن انه اشر الموقف الامريكي الرافض لاي تقارب عربي، وكذلك الموقف الداخلي في سورية الذي كان يمثله ميخائيل اليان، وهو المعارض لاي اتجاه وحدوي مع مصر.

الموقف السوري من العدوان الثلاثي على مصر

نتناول موضوع العدوان الثلاثي على مصر عام١٩٥٦ بقدر تعلقه بموضوع تقوية الروابط بين سورية ومصر باتجاه الوحدة بينهما، وفي الفصل الخاص بالعدوان الثلاثي تناول خالد العظم الموقف الامريكي من هذا الحدث، اذ يقول ان الولايات المتحدة كانت حائرة بين اغضاب حليفتيها في حلف شمال الاطلسي (فرنسا وبريطانيا) من جهة، والسعي للحصول على صداقة مصروالاتفاق معها بما يؤمن ارضية للنفوذ الامريكي في هذه المنطقة المهمة التي تسيطر على الممرات البحرية الستراتيجية المهمة من جهة ثانية، وتهدف السياسة الامريكية للسيطرة على الممر البحري الذي ينقل النفط من الخليج العربي الى اوربا، وكذلك الاحتفاظ بآبار النفط التي تمتلكها في المنطقة، ويخلص خالد العظم في

وصفه للموقف الامريكي الى القول ان جمال عبد الناصر حظي بتأييد الرئيس ايزنهاور في خطوة تأميم قناة السويس باسلوب وعمل سياسي تجنب فيه اثارة غضب كل من فرنسا وبريطانيا اللتين لاتستطيع بدونهما متابعة تنفيذ سياستها المناوئة للاتحاد السوفياتي[٢٠].

وعلى صعيد الموقف السوري من تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر وعلى اثر المشاورة بين اكرم الحوراني احد قادة حزب البعث العربي الاشتراكي انذاك وخالد العظم تم الاتفاق على تشكيل لجنة من النواب لتنظيم مؤتمر شعبي اطلق عليه (يوم مصر) تأييدا لمصر وتضامنا معها، وعقد هذا المؤتمر في يوم ١٦/ آب/ ١٩٥٦ وهو اليوم الذي انعقد فيه مؤتمر لندن لمناقشة مشكلة قناة السويس، وقررت اللجنة الاتصال بالعراق وتشجيعه على الوقوف مع مصر[٢١]، واعطى خالد العظم وصفا للصورة التي انعقد فيها المؤتمر والخطب الحماسية التي القيت واشار بوضوح الى ان الهتافات التي سادت وطغت في هذا المهرجان الخطابي كان يرددها البعثيون وهي "علم واحد لشعب واحد، وطن عربي واحد" بحيث تصور خالد العظم ان هناك اتفاقا بين البعثيين ومحمود رياض السفير المصري في سورية[٢٢]، وبذلك فان هذا احد اوجه التأييد السوري لمصر قبل قيام العدوان الثلاثي.

وفي جلسات مجلس النواب كان رأي خالد العظم بشأن الموقف من العدوان الثلاثي الذي شنته فرنسا وبريطانيا(واسرائيل)ضد مصر، بضرورة وقوف سورية حكومة وشعبا الى جانب شقيقتها مصر في محنتها، وايد مشروع الحكومة باضافة عشرة ملايين ليرة على ميزانية وزارة الدفاع، وطالب بتضامن الجميع في سورية والاقطار العربية، لانه كان يرى بانه اذا هلكت مصرهلكت سورية وجميع الاقطار العربية[٢٣].

يكشف العظم في مذكراته موقف عدد من النواب الرافض لاي موقف من شأنه ان يدعم ويساند مصر، وذلك من خلال ارائهم

وطروحاتهم في مجلس النواب، بل انهم تمادوا اكثر من ذلك وحـــاولوا ثني الرئيس السوري شكري القوتلي عن تنفيذ زيارته الى موسكو، ومن هؤلاء النواب ميخائيل اليان وفرزت مملوك ومجد الدين الجابري ومنـير العجلوني، ثم كشف النقاب عن وجود مؤامرة في سورية تـهدف الـى اسقاط الحكومة السورية اشترك فيها هؤلاء النواب الذين يقفون موقفـا معارضا لاي موقف مؤيد لمصر ويحاولون عرقلة أي مسعى للتقـارب معها، وعلى اثر ذلك تشكلت وزارة جديدة وقامت جبهة قومية اصبـح فيها خالد العظم وزيرا للدولة، وفي زيارة الرئيس القوتلي لموسكو حث الحكومة السوفيتية على مساعدة مصر(٢٤).

والموقف السوري في حقيقة الامر اخذ طابع الجديـة واعتماد الوسائل والسبل العملية لمساندة مصر في هذه المحنة، اذ بادرت رئاسة الاركان السورية يوم ٣٠/ ١٠/ ١٩٥٦ الى تشكيل قوات عسكرية مـن المشاة والمدرعات والمدفعية ودخلت هذه القوات الى الاردن، وان عبـد الحكيم عامر اصدر اوامره بهذا الخصوص بوصفه قائدا لقوات الاقطـار العربية المتعاقدة (سورية، السعودية ، الاردن، اليمـن، مصـر) ولكـن الحكومة المصرية اتخذت قرارا بان لاتزج احدا من الاقطار العربية فـي هذا الوقت، لان الامر قد يتطلب كفاحا شعبيا طويلا، كمـا يـروي ذلـك محمود رياض السفير المصري في دمشق(٢٥).

كان الموقف السوري من العدوان الثلاثي على مصـر ذا تـأثير ايجابي كبير في دفع الامور باتجاه الوحدة بين البلدين، واعطى صـورة ايجابية عن موقف التأييد لمصر من جهة وموقف المعارض والرافـض للتأييد من جهة اخرى، وبين دوافع الموقف الامريكي ومع ذلـك فقـد كانت الاجراءات السورية عملية وجادة واخذت اشكالا تعبوية وعسكرية ومواقف فردية وجماعية تعزز الرأي الذي يدعم الموقف الكبير المسـاند لمصر الذي اتخذته سورية حكومة وشعبا(٢٦).

مواجهة التهديد التركي

على اثر صدور البيان الثلاثي بين سورية ومصر والسعودية وتواصل الجهود لعقد ميثاق بينها والسعي لتكوين موقف قومي ناضج، اخذت الجبهة المضادة المنضوية تحت لواء الحلف العراقي- التركي بالعمل على افشال هذه المساعي القومية بالتهديد والتحذير والتآمر وعرقلتها، من خلال اجتذاب بعض رجال السياسة السوريين بمختلف وسائل الاغراء وشراء ضمائر رجال السياسة والصحافة والنواب واقلامهم فضلا عن ذلك ادت تركيا دورا كبيرا في الضغط على سورية وتهديدها، ويفصح خالد العظم في مذكراته عن اللهجة المتعالية المتكبرة التي تدل على سوء نية تركيا تجاه سورية من خلال المذكرات التي تقدمها للحكومة السورية والتي تشير بوضوح الى خشية تركيا من الميثاق السوري- المصري الذي ترى فيه انه يهدف الى عزل تركيا عن العالم العربي، وان تركيا لايمكن ان تغض النظر عن هذا التحالف، وان الحكومة التركية تقول بوقاحة على انه لايمكن اقامة علاقة صداقة وتعايش مع سورية بظل قيام الميثاق السوري- المصري،- السعودي[٢٧].

وتناول خالد العظم في مذكراته بالتفصيل الموقف التركي من التقارب بين سورية ومصر والسعوية، والمذكرات المتبادلة بين المسؤولين الاتراك والسوريين، وكان العظم طرفا فيها بوصفه وزيرا للخارجية، اذ اطلق عدنان مندريس عند مقابلته للسفير السوري في انقرة تهديده الذي ذكر فيه ان تركيا نفد صبرها، واذا كنتم تثيرون موضوع الاسكندرونة فاننا نثير موضوع حلب ونحن على استعداد لقطع العلاقات واقفال الحدود[٢٨]. واعتمدت تركيا اسلوب التهديد العسكري مع التعامل الذي اتسم بالوقاحة والعنجهية، اذ ابلغت الحكومة السورية من خلال دبلوماسيها، انها لايمكن ان تقف مكتوفة الايدي امام هذه السياسة

وبالفعل فقد حشدت تركيا في عام١٩٥٧ مايقرب من خمسين الف جندي وخمسمائة دبابة ومدافع سريعة وطائرات على الحدود السورية، وكـــل ذلك كان نتيجة اعتماد سورية سياسة قومية وتبنيها لمواقـــف عربيــة جادة اثمرت عن توقيع الاتفاق الثلاثي وتبني سياسة الحيـــاد وتعميــق اواصر العلاقة مع مصر(٢٩).

ومع استمرار فشل السياسة التركية نتيجـــة للموقــف القومــي المتجانس بين سورية ومصر فقد اصبحت تركيـــا اداة بيــد الولايــات المتحدة وبريطانيا لممارسة الضغط على سورية لثنيها عن تلك السياسة القومية، وبفضل الموقف السوري المرن من الناحية الدبلوماسية الــذي اتسم بالهدوء والعقلانية في مخاطبة الحكومة التركية من جهة والموقف التعبوي المتصاعد الذي اصبحت فيه سورية كتلــــة واحــدة لمواجهــة العدوان من جهة اخرى كل ذلك اسهم في افشال التهديدات التركيــة(٣٠)، وبالمقابل ادى ذلك الى زيادة أو تصاعدا المواقف القومية، ووقفت مصر الى جانب سورية في مواجهة التهديد التركي مثلما وقفت سورية تــأييدا لمصر وهي تواجه العدوان الثلاثي، اذ ان وصول قوات مصريـــــة الـــى سورية واستقبالها بحماسة كبيرة من قبل الجماهير العربية في ســورية ادى الى تصاعد الشعور القومي الوحدوي بين القطرين(٣١)، لذلك يعـــد الموقف السوري المصري في مواجهة التهديد التركي احد العوامل التـــي اسهمت في تصعيد السياسة القومية التي ادت الى قيام وحدة سورية في مصر عام١٩٥٨.

خالد العظم والوحدة

في الصفحات السابقة من البحث تتبعنا تطـــور الاحـــداث التـــي اسهمت في توثيق العلاقات بين سورية ومصر من خلال وجهـــة نظـــر خالد العظم في مذكراته، وهي لاتعني باي شكل من الاشـــكال ان خـــالد

العظم كان وحدويا او رافع لواء الوحدة، بل انه كان احد الفاعلين في السياسة السورية، ولخالد العظم وجهة نظر في الوحدة العربية وفي قيام الجمهورية العربية المتحدة عام١٩٥٨ (وحدة سورية ومصر) تناولها في الجزء الثالث من مذكراته في الصفحات ٧٧- ١٨٨، عالج فيها نشوء فكرة العروبة، وقد وردت فيها اراء وافكار قد توحي بان خالد العظم في حقيقته غير متحمس جدا للوحدة العربية، وهو يتحدث عن اطوار نشوء فكرة العروبة يشير بالقول الى ان مصلحة بريطانيا ومصلحة فرنسا كانتا في جانب المطالب القومية العربية، وفي رده على اصحاب الرأي الذي ينظر للوحدة سلاحا لمحاربة الاجنبي، بان هؤلاء حسب ما يروي خالد العظم قد نسوا ان السيطرة الاجنبية خلقت في كل بقعة من الوطن العربي شخصية خاصة بها وطراز تفكير ومصالح خاصة به، ويقول بان جمع هذه المتناقضات والاختلافات ينطبق عليها وصف قيادة جيش اوصت لافراده بلباس ذي قياس واحد[٣٢]، وهو بهذا يقر صراحة بالفوارق بين اجزاء الوطن العربي، وبعد ان استعرض الاراء ووجهات النظر في الوحدة العربية يخلص الى بيان رأيه في اسلوب تحقيقها فيقول يجب ان تزال الفوارق ويقرب التباعد، حتى تصل المجموعة العربية في اسرع ما يمكن الى الوحدة الصحيحة الكاملة، وفي موضوع شكل الدولة العربية الموحدة فيقول ان نترك لكل قطر عربي اختيار الاسلوب المناسب للوحدة او الاتحاد، الى ان يكفل الزمن تطور العلاقات بين اقطار الامة العربية على النحو الذي ينسجم اكثر من سواه مع مصلحتها[٣٣].

وفي حديثه عن المشاريع الوحدوية ولاسيما الاتحاد بين العراق وسورية اشار الى مسؤولية الدول الاجنبية الاستعمارية في عرقلة قيامها وحمل ايضا الحكام العرب مسؤولية ذلك، وتناول دور حزب البعث في سورية في العمل لتحقيق الاتحاد بين العراق وسورية الذي

قبرت مساعيه بشكل نهائي عام١٩٥٧ على اثر اكتشاف المؤامرة في سورية، وخالد العظم يعلن صراحة رأيه الرافض والمعارض لقيام الاتحاد بين سورية والعراق[٣٤].

وتناول العظم موضوعا مهما يتصل بوحدة سورية ومصر، فاشار الى ان مصر وجمال عبد الناصر حتى عام١٩٥٧ ما يزالان بعيدين عن تقبل الاتحاد او الوحدة ويرى عبد الناصر ان من المناسب التمهيد للوحدة باتفاقيات عسكرية وثقافية وقضائية واقتصادية، وهذا الامر اكده صبري العسلي بعد عودته من مصر على اثر مشاركته في اجتماع الرؤساء الثلاثة في القاهرة (الملك وعبد الناصر والقوتلي)، وهذه النظرة يحملها العظم عن عبد الناصر منذ عام١٩٥٥[٣٥] هذا الوصف الذي يقول ان حالة الحماسة والتعبئة في سورية كانت كبيرة وجامحة تقابلها حالة الفتور وعدم التحمس في مصر هو في الحقيقة اقرب الى الواقع، ولكن هذا لايعني ان تغيير موقفها وقبولها الوحدة مع سورية كان مفاجئا، بل ان الخطوات السابقة التي تحدثنا عنها منذ عام١٩٥٥ وتعميق العلاقات وتعزيزها بين القطرين وتصاعد حالة التعبئة والحماسة في الشارع السوري، والمواقف المشتركة بين البلدين في مواجهة السياسة الغربية المعادية هي التي تعد مهادا لانجاز الخطوة العملية في قيام الوحدة عام١٩٥٨.

وفي حديثه عن الاسباب والعوامل التي دفعت مصر لتغيير موقفها وقبول الوحدة مع سورية هو عامل في غاية الخطورة وهوان الولايات المتحدة رحبت بقيام الوحدة ولم تنظر اليها نظرة تخوف وعدم رضى[٣٦] وهذا القول في حقيقته مناقض للواقع، اذ ان الولايات المتحدة وبريطانيا مارستا الضغط والتآمر ضد سورية من اجل ثنيها عن التوجه الى مصر، ومن اجل جرها الى سياستها ومخططاتها والترتيبات الامنية التي تعمل لتحقيقها في المنطقة، وان الخطوات المتتابعة التي تعزز العلاقات بين

سورية ومصر هي اكثر خطورة في نظر الامريكان من النفوذ الشيوعي المزعوم في سورية، وقد تناولت الصحف الامريكية كما نقلته لنا تقارير الدبلوماسيين العراقيين في واشنطن بان ما يجري في سورية يشكل خطرا على الغرب وعلى جيرانها، وبعض الصحف وصفت الوحدة بانها تضر بمصالح الغرب وحلف شمال الاطلسي، وقد اعلن وزير الخارجية الامريكية (دالاس) بان الوحدة المتوقعة بين سورية ومصر تشكل خطوا على مصالح الولايات المتحدة، وقال ان بلاده ستدعم أي مسلك بوجه هذه الوحدة[٣٧]، وهذا يؤكد ان الرأي الذي طرحه العظم بخصوص ترحيب الولايات المتحدة بقيام وحدة سورية ومصر عام١٩٥٨ لم يكن بالرأي المقنع.

وفي الحقيقة ان خالد العظم اراد ان يذهب ابعد من ذلك بالقول ان الامريكيين هم الذين حملوا عبد الناصر على تحقيق الوحدة، وهذا يوحي بشكل ان عبد الناصر هو رجل الامريكان او صاحبهم كما يسميه، ويقول انه لم يبق من الساسة العرب سوى عبد الناصر امام الامريكان لدفعه الى دفة الحكم وزعامة العالم العربي وتحقيق النجاح في خدمة الاهداف الامريكية[٣٨].

ورأي خالد العظم بشأن الشكوك بارتباط جمال عبد الناصر بالمخططات الامريكية ينطبق تماما مع رأي معروف الدواليبي الذي يرى فيه ذلك ايضا[٣٩].

وعلى الرغم من ان خالد العظم كان ضمن الائتلاف الذي كان يعمل للتقارب والوحدة مع مصر فانه لم يكن وحدويا، اذ انه يصف وحدة عام١٩٥٨ بانها ازالت دولة سورية بجرة قلم. وان ذلك تم باسم الوحدة العربية وتحت ستار القومية العربية، ويصف البعثيين وهم حلفاؤه للعمل على تحقيق الوحدة مع مصر بانهم وقعوا في احضان مصر وفي احضان محمود رياض، ويصف ايضا الضباط السوريين الذين

عملوا بجد لتحقيق الوحدة مع مصر بانهم ارتموا على اقدام عبد الناصر ليقبل الوحدة.

ويقول: ولكن ليس جازما بان الامريكيين هم الذين حملوا عبد الناصر على تحقيق الوحدة. هذه الاوصاف تشير الى عدم تحمس العظم لفكرة الوحدة العربية، فضلا عن ذلك فان نظرته للوحدة ومن خلال وجهة نظره بها لايبدو انه مؤمن بها ومتحمس لها على الرغم من انه لايعارضها.

مضامين

في دراستنا لوحدة مصر وسورية عام١٩٥٨ من خلال مذكرات خالد العظم نتبين اهمية المذكرات في دراسة التاريخ لما لها من دور في كشف الحقائق وبيان وجهات النظر، ومهما كانت قيمة الوثائق والمصادر الاخرى التي تحتل اهمية كبيرة في البحث التاريخي فان كتب المذكرات تحتفظ بالصدارة في الاهمية التاريخية للبحث، وفي دراستنا لمذكرات خالد العظم لا نبالغ اذا قلنا انها وثيقة مهمة في دراسة تاريخ سورية، وعلى الرغم من انها تمثل وجهة نظر صاحبها، فانها تمثل وجهة نظر لرجل سياسة يحمل قناعات واراء ويعمل وفق رؤية وشخصية محددة.

تتفق مذكرات خالد العظم في الجانب المتعلق بوحدة سورية ومصر عام١٩٥٨ مع وقائع الاحداث التي تشير اليها المصادر الاخرى، عن ان اللبنة الاولى في بناء هذه الوحدة وضع في اذار عام١٩٥٥ في الاتفاق الثنائي السوري- المصري، الذي ولد في مناخ قومي وفي موقف يتطلب مواجهة عربية للسياسة الغربية والاهداف والمخططات الامريكية بوضع ترتيبات امنية واقامة شبكة من الاحلاف والتكتلات، وفي خضم هذه المواجهة تواصلت وتعززت المواقف القومية المشتركة

بين سورية ومصر بخطوات متوالية متصاعدة اسهمت في قيام الوحدة بينهما وهذا ما يؤكد حقيقة ان وحدة سورية ومصر عام١٩٥٨ لم تكن مفاجئة وهي ليس خطوة متعجلة، بل بنيت لبنة لبنة وفي مواقف نضالية مشتركة.

ويبدو من خلال دراسة مذكرات خالد العظم ودراسة المرحلة التاريخية المهمة في تاريخ سورية بين الاعوام ١٩٥٤- ١٩٥٨ من وجهات نظر مختلفة، ان حزب البعث العربي الاشتراكي كان المحرك الرئيسي للشارع السوري وقد عمل هذا الحزب بجدية لتحقيق الوحدة العربية، ثم ان تحالف البعث مع كتلة خالد العظم المستقلة اعطى تأثيرا اكبر وفاعلية اقوى لها في الحياة السياسية وفي البرلمان السوري، وهذا التحالف حظى بدعم وتأييد كتلة الجيش القوية في سورية وتطابقت وجهات نظرهما في اهمية وجدوى تحقيق الوحدة مع مصر.

وفي معالجته ودراسته لوحدة سورية ومصر عام١٩٥٨ لايخفي خالد العظم ان الساحة العربية كانت تخلو من قيادة تاريخية قومية، اذ انه لايرى في جمال عبد الناصر القائد المناسب لهذه الوحدة، بوصفه غير مؤمن بها ولم يكن متحمس لها، ولم يكن جادا في تحقيق التقارب الحقيقي الذي يؤدي الى تحقيق الوحدة، الا بقدر ابعاد سورية عن العراق، ومنع سورية من الانضمام الى الحلف العراقي- التركي، ولكنه في الاخير وافق على قيامها بعد ان قدمها السوريون جاهزة دون قيد او شرط وبحماس كبير، لذلك تمت بالطريقة التي يريدها عبد الناصر ولم يختر لها الاسلوب والشكل المناسب الذي يعطيها البقاء والديمومة.

على الرغم من عدم استمرارها فان وحدة سورية ومصر عام١٩٥٨ هي تجربة قومية تعد ثمرة نضال ومواقف وامال الشعب العربي، وانها جاءت في وقت كانت فيه الامة تواجه تحديات ومخططات

عربية تستهدف امنها ومصيرها، وتحققت هــذه الوحــدة بفعــل وارادة الجماهير العربية وحركتها الثورية المناضلة.

الملخص

تعد كتب المذكرات سجلا مهما وضروريا للدارسين والبـاحثين، اذ انها تكشف عن معلومات وحقائق مهمة، وتأخذ اهميتها عندما تــدرس مع بقية المصادر والمعلومات والوثائق وليس منفردة، اذ انها تؤكــد او تنفي او تضعف من هذا الرأي او ذاك.

وتعد مذكرات خالد العظم واحدة من كتب المذكرات التــي تحتــل حيزا من الاهتمام، بوصفها تسجل حقبة تاريخية مهمــــة مــن تــاريخ سورية والوطن العربي، وذلك بوصف خالد العظـــم مــن الشــخصيات السياسية السورية، وقريب من الاحداث والتطورات ولفـــترة تاريخيــة طويلة، فضلا عن انه يمثل وجهة نظر مستقلة، يرى الامور من خلالها، وعلى الرغم من كونها تمثل وجهة نظر شخصية، فان ذلك لايضعف من شأنها واهميتها، اذ ان وجهة نظر احد صانعي الحدث او المشاركين فيه تعد مسألة مهمة وضرورية لفهم الحدث.

اخترت موضوع وحدة سورية ومصر عام١٩٥٨ فــي مذكــرات خالد العظم التي تتكون من ثلاثة اجزاء سجل فيها رؤيته ووجهة نظــره من مواقف واحداث تغطي فترة تاريخية طويلــة مــن تــاريخ ســورية والوطن العربي، وهذا الموضوع اراه في غاية الاهميـــة لانــه يتعلــق بتجربة قومية وحدوية فريدة تحققت في الوطن العربي، لو قــدر لــها النجاح والاستمرار لغيرت مسار التطورات في الوطن العربي وانعكســت بشكل مؤثر وفاعل على مجرى الصراع العربي- الصهيوني.

وآراء خالد العظم في الوحدة العربية يمكن ان نوجزها بما يلي:-

١- انه مقتنع بان هناك خصوصيات وطرز تفكير ومصالح قطرية قد تكونت بفعل القوى الاجنبية لايمكن تجاهلها.

٢- يقول ان الزمن كفيل بان يحدث تطورا يؤدي الى انسجام وتقارب اكثر بين الاقطار العربية يسهل عملية قيام الوحدة.

٣- يرى ان يترك لكل قطر عربي اختيار الاسلوب المناسب (الاندماجي- الاتحادي) للوحدة.

٤- يعد خالد العظم من ابرز المعارضين لقيام الاتحاد بين سورية والعراق، ويقول بان هذا الاتحاد يهدف الى الحاق سورية والقضاء على استقلالها.

وبذلك يمكن القول ان خالد العظم لم يكن وحدويا او متحمسا للوحدة، بل له رؤيا ووجهة نظر عنها، فضلا عن انه يقر بوجود التجزئة ويؤمن بالتطور التدريجي، ووقف موقفا معارضا لاتحاد سورية والعراق، ومع ذلك فقد كان خالد العظم احد ثلاث كتل رئيسية وقفت الى جانب قيام وحدة سورية ومصر عام١٩٥٨ (البعث، الجيش، كتلة خالد العظم المستقلة).

ولكي نزيل هذا التناقض في القول ان خالد العظم لم يكن وحدويا وفي الوقت نفسه ايد قيام وحدة سورية ومصر عام١٩٥٨ نقول:-

١- انه ركب موجة الوحدة التي ظهر تيارها قويا جارفا.

٢- موقفه المعارض لاتحاد سورية والعراق وخلافه الجوهري مع انصار هذا الاتحاد جعله يندفع او يقف مع التيار القوي الذي ظهر في سورية للتوجه نحو مصر.

٣- ان القول بان خالد العظم لم يكن وحدويا لايعني انه يقف ضد الوحدة، بل كانت له وجهة نظر محددة بالأفكار التي اشرنا اليها.

تؤكد مذكرات خالد العظم حقيقة تقـول ان التوحـد المصـري- السوري كان بفعل الموقف المشترك من سياسة الاحـلاف والتكتـلات، والموقف المشترك تجاه قيام الحلف العراقـي- الـتركي عـام ١٩٥٥، وبذلك يعد الحلف المصري السوري في اذار ١٩٥٥ نواة لقيـام وحـدة سورية ومصر عام١٩٥٨، اذ تواصلت المواقف والسياسـات وتعمقـت العلاقات بينهما بالشكل الذي جعل من الصعب الوقـوف بوجـه التيـار القومي العربي المتمثل بضرورة قيام وحدة سورية ومصر، وهذا التوجه المشترك بينهما نلمسه من خلال:-

١- اقرار البرلمان السوري في منهاجه العمل على تحقيق الوحدة بيـن سورية ومصر.
٢- اعقب قيام الحلف الثنائي المصري- السوري خطوات جديدة مكملـة اذ وقعت بين البلديـن خـلال السـنوات ٥٥- ١٩٥٨ اتفاقيـات عسكرية واقتصادية وثقافية.
٣- السنوات الممتدة بين عامي ١٩٥٥- ١٩٥٨ شهدت مواقف نضالية مشتركة بين سورية ومصر، اذ وقفت سورية الى جانب مصر فـي العدوان الثلاثي، ووقفت مصر الى جانب سـورية فـي مواجهـة التهديدات التركية.

أدت مصر دورا كبيرا في تشجيع سورية وحثها على رفض الحلف العراقي- التركي ومعارضته وهذه حقيقة لايمكن تجاهلها او انكارهـا، لانها كانت تخشى العزلة في حالة انجرار سورية نحو العراق، اما فـي موضوع الوحدة والايمان بها فلم يكن واضحا او جديا في ذهـن مصـر قيادة وشعبا، انما ينحصر هذا الاهتمام بسورية بعملية الصـراع بيـن الزعامات الثلاث (العراقية، المصرية، السعودية) والتنافس بينها لزعامة العالم العربي، وهذه النظرة قد الحقت الضرر بـالعرب وسـاهمت فـي ترسيخ تجزئة الامة وتفرقتها، فالجدية والحماسة لدى كل مـن مصـر

والسعودية لم ترق الى مستوى الايمان والجدية والحماسة لدى سورية ولدى الشارع السوري الذي كان يتحرك بقيادة البعث والجيش وتأثيرهما، وقد اشار خالد العظم بوضوح الى ان مصر وعبد الناصر كانا بعيدين عن الاتحاد او الوحدة وكان موقفهما يتسم بحالة من الفتور وعدم الحماسة.

يذكر خالد العظم ان الولايات المتحدة رحبت بقيام الوحدة ولم تقف منها موقف معارض، بل ان الامريكان حملوا عبد الناصر على تحقيق الوحدة، وفي الواقع ان هذا الوصف لاينطبق مع الحقيقة، اذ ان كل المؤشرات تؤكد ان الولايات المتحدة وقفت بوجه أي تقارب بين سورية ومصر منذ عام١٩٥٥ عند قيام الحلف الثنائي بينهما، وكلما خطت الدولتان خطوة جديدة نحو التوحد تواجه بمعارضة شديدة من قبل الامريكان الذين ساهموا في الضغط على سورية باشكال مختلفة لثنيها عن التوجه نحو مصر، وان تصريحات المسؤولين الامريكيين عن وحدة سورية ومصر عام١٩٥٨ تؤكد خشية الامريكان وقلقهم من هذه الوحدة.

بل ان خالد العظم يذهب بعيدا ليصف عبد الناصر بانه رجل الامريكان وصديقهم، وفي هذا القول يتطابق مع وجهة نظر لشخصية سورية اخرى كان لها حضور في السياسة السورية خلال الفترة التاريخية التي نتحدث عنها وهومعروف الدواليبي، لذلك فان العظم لايرى في عبد الناصر الزعيم القومي الذي يصلح لقيادة الامة.

هذه هي الحقائق والاراء التي اراها مناسبة في الحديث عن موضوع وحدة سورية ومصر عام ١٩٥٨ في مذكرات خالد العظم.

الهوامش

١- العظم ، ج١، ص١٩٣-٢٧٠.

٢- العظم ، ج١، ص٢٠٢-٢١٥.

٣- المصدر نفسه ، ص١٣٦.

٤- المصدر السابق ، ص١٥٨.

٥- المصدر نفسه ، ص٢٤٥.

٦- المصدر نفسه ، ج١، ص٢٥٦.

٧- المصدر نفسه ، ص٣٨٢-٣٨٩.

٨- العظم ، ج٢ ، ص٣٢٥-٣٣٧.

٩- دار الكتب والوثائق ، الملف ٢٦٥٨ تقرير بتاريخ ١/ ٤/ ١٩٥٤. والملف ٢٧٧ تقرير بتاريخ ١٩/ ١/ ١٩٥٥.

١٠- باتريك سيل ، الصراع على سورية، ص٢٨٣.

١١- ناصر الدين النشاشيبي ، ماذا جرى في الشرق الاوسط، بيروت ١٩٦٢، ص٣٩٤.

١٢- دار الكتب والوثائق ، الملف كتاب وزارة الخارجية العراقية الى الديوان الملكي في ٢٧/ ٢/ ١٩٥٥ الذي نقل نص حديث القوتلي لجريدة الجمهورية القاهرية.

١٣- العظم ، جـ/٢، ص٣٣٨.

١٤- جوردن ، هـ. توري ، السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥-١٩٥٨. ترجمة محمود فلاحة ، دار الجماهير ، ص٢٩٢.

١٥- العظم ، جـ/٢، ص٣٨٨.

١٦- العظم ، ج٢، ص٣٩٠.

١٧- توري ، المصدر السابق ، ص

١٨- العظم ، ج٢ ، ص٣٩٦.

١٩- توري ، المصدر السابق ، ص٢٩٦.

٢٠- العظم ، ج٢ ، ص٤٧٨.

٢١- دار الكتب والوثائق ، الملف ١٧٢، صورة كتاب الهيئة العربية لنصرة مصر الى وزير العراق المفوض ، وكتاب المفوضية العراقية ٧/ ٧/ ٢٦٩ في ١٩/ ٨/ ١٩٥٦.

٢٢- العظم ، ج٢، ص ٤٧٩.

٢٣- العظم ، ج٢، ص ٤٨٢.

٢٤- العظم ، ج٢، ص ٤٨٦.

٢٥- احمد عبد الكريم ، اضواء على تجربة الوحدة، ص٥٤، دار الكتب والوثائق الملف ١٧٥. بيان القائد العام للقوات المسلحة المصرية، محمود رياض حديث له مع مجلة الدستور في ١٥/ ٢/ ١٩٩٠.

٢٦- المزيد من التفاصيل راجع ابراهيم سعيد البيضاني التطورات السياسية في سورية ٥٤- ١٩٥٨، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ١٩٨٨، ص١٨٣-١٩١.

٢٧- العظم ، ج٢، ص ٤٦٧- ٤٧٠.

٢٨- المصدر نفسه ، ص٤٧٥.

٢٩- اسرا عيلان واخرون ، سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية، موسكو، ص١٨٢.

٣٠- بيير روندو ، مستقبل الشرق الاوسط، تعريب: نجدة طاهر. سعيد انقو، بيروت ١٩٥٩.

٣١- ك . م . ووهاس، السياسة الخارجية لبريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة حسين القباني ، ص٩٧.

٣٢- العظم ، جـ/٣، ص ٨٠-٨١.

٣٣- العظم ، جـ/٣، ص ٨٢.

٣٤- العظم ، جـ/٣، ص ٩٠.

٣٥- العظم ، جـ/٣، ص ١٠٧.

٣٦- العظم ، جـ/٣، ص ١١٠.

٣٧- لمزيد من التفاصيل راجع د. ابراهيم سعيد البيضاني، الموقف الامريكي من وحدة مصر وسورية . المجلة العلمية لجامعة تكريت، العدد ١١ لسنة ١٩٩٤، ص٥٩-٧٠، وليد محمد الاعظمي ، الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨ في الوثائق البريطانية بغداد ١٩٩٠.

٣٨- العظم ، جـ/٣، ص ١١٠.

٣٩- مقابلة شخصية مع معروف الدواليبي عام ١٩٨٨. (بغداد).

القضية العربية في بداية القرن العشرين

عن كتاب

أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية

د. عبد المجيد كامل التكريتي

جامعة تكريت / كلية التربية

٢٨/ ١٠/ ١٩٩٨

القضية العربية في بداية القرن العشرين

المصدر
اسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية

تعريف بالكاتب والكتاب

ولد اسعد داغر في العقد الاخير من القرن التاسع عشر، وفارق الحياة في النصف الاول من العقد الخامس من هذا القرن. نشأ وترعوع في احضان عائلة غلب عليها الجو الثقافي والعلمي- فقد بدأ دراسته في مدرسة ((عينطورا)) للابناء العازوريين في لبنان، واكمل دراسته في اسطنبول وحصل على شهادة الليسانس في القانون.

مارس مهنة الصحافة وهو في سن مبكرة، فقد مكنته ملكته في الترجمة من تبوأ هذا المكان، وقد تعرف على اغلب قادة القضية العربية في الرعيل الاول، والتقى ملوك وحكام العرب ابتداء من فيصل الاول، وانتهاء بجمال عبد الناصر.

سجل مذكراته على هامش القضية العربية في ٢٤٦صفحة من الحجم الكبير، وبالحرف الصغير، فقسمها الى ٨٣موضوعا ابتدأ منذ طفولته حتى وفاته، ولايعول على بعض الاخطاء المطبعية لقلتها، وقد نفذت تلك الطباعة في دار القاهرة للطباعة، من دون ذكر تاريخ الطبع.

الاطار العام للمذكرات

المذكرات صورة رائعة معبرة ((للعروبة)) رسمها لنا أسعد داغر خلال العقود الثلاثة الاولى في القرن العشرين- صورة- زخرفها بعطر العروبة، ومزج الوانها بانسانيتها وشغل حيزها بتاريخها وتراثها،

وزينها باصالتها، وزيها بتسامحها، وعول عليها بالثقة التي اولتها لغيرها.

اهمية مرحلة المذكرات، واهداف القضية العربية

يذكر الكاتب- وهو احد اعضاء الجمعيات العربية[١]- ان المرحلة التي مرت بها الامة العربية، خلال الربع الاول من القرن العشرين- وهي الفترة التي تناولتها هذه المذكرات- وما صاحبها من احداث جسام، ونقض للمواثيق ونكران للعهود، بين العرب من جهة والاتراك ودول الغرب الاستعمارية من جهة اخرى، والتي لاتزال الامة العربية تئن من وطأتها[٢]، كانت اكبر حجما من وقتها، هكذا وصفها الكاتب بـ[ان الفترة التي تناولتها هذه المذكرات في تاريخ الامة العربية، فاقت بخطورة وقائعها، وكثرة مفاجآتها كل ما رواه تاريخ البشرية منذ الخليقة، وان المكانة التي يحتلها العرب اليوم في المجال العالمي هي ثمرة اعظم قصة من قصص الكفاح سطرها شعب في فترة وجيزة من الزمن][٣].

اما اهداف القضية العربية[٤]، التي آمن بها رجال المنتدى الادبي وباقي الاحزاب القومية التي تشكلت بعد الانقلاب الدستوري سنة١٩٠٨ فهي:

١- اتخاذ القضية العربية اساسا لكل عمل ولكل فكرة.
٢- توحيد الشعور العربي وتعزيزه برعاية قوية منظمة.
٣- نبذ سياسة الخوف والتذرع بالشجاعة في كل ماهو حق.
٤- التسلح بكل ما يمكن من اسباب القوة المادية والادبية.
٥- خلق صداقات قوية للامة العربية مهما كلف ذلك من ثمن.
٦- بذل كل التضحيات لجعل اقامة المستعمر مستحيلة في البلاد.

٧- تربية الروح العسكرية في النشئ الجديد واعداده اعدادا سليما لمعركة الحرية.

وسارت الامة في طريق هذه الاهداف خطوات واسعة بفضل الجهود التي بذلها مجاهدوها الاحرار، فلم يمضِ وقت طويل حتى اصبحت القومية العربية امنية العرب جميعا، واصبح العرب في مختلف اقطارهم كتلة واحدة تفكر بعقلية واحدة وتعمل بقلب واحد، كما انهم نبذوا سياسة الخوف وقاموا باعمال رائعة في اعمال البطولة في مختلف ميادين الكفاح][٥].

واذا كان- العرب- قد عجزوا عن تدارك السلاح الذي كان ينقصهم، وعن خلق الصداقات اللازمة لهم، فما ذلك الا لان العالم كله كان ضدهم، يكيد لهم، ويبث الالغام في طريقهم، ومع ذلك لم يقنطوا بل قاموا بثورات متوالية، كان كل منها يضطر المستعمر الى التراجع قليلا او كثيرا، حتى جاء وقت انسحابه نهائيا من البلاد[٦].

مفهوم السياسة عند قادة القضية العربية

حدد الكاتب مفهوم السياسة التي آمن بها رجال القضية العربية من خلال التجربة التي خاضوها في طريق النضال بقوله [لقد علمتنا التجارب، انه ليس في السياسة صديق او عدو، بل هناك مصالح توضع موضع المساومة، وقوة تفرض ارادتها، وقد دفعنا ثروات بلادنا وكثيرا من كرامتنا ثمنا لصداقات كنا نسعى اليها، ولكنها افلتت من يدنا، وضاع الثمن علينا][٧]، واضاف قائلا [كانت الثورة العربية الاولى مثالا صادقا لذلك، فالظروف القاهرة التي فرضتها علينا سنة١٩١٦ كانت تتطلب امورا كثيرة لم تكن متوفرة لنا اهمها الاصدقاء الذين يؤيدون اهدافنا، ويشدون ازرنا، فلما اضطررنا الى الدفاع عن انفسنا ضد الترك، لم نجد امامنا غير السير مع الحلفاء، ونحن عالمون بما لهم من مطامع في

بلادنا، ولكن الخطر العظيم الذي كان يهددنا به الترك، وهو خطر الابادة، والفناء لم يترك لنا مجالا للتفكير او الاختيار، فلم يكن هناك شران، بل كان موت محقق من جهة اذا لم نثر على الترك، وجهاد شاق طويل في سبيل حياة كريمة من جهة اخرى، لذلك لم تكد تنتهي الثورة العربية ضد الترك بتقسيم البلاد بين الانكليز والفرنسيين حتى استؤنفت ضد المستعمرين الجدد في سوريا وفلسطين والعراق[٨]].

كانت تلك الثورات المتوالية موضع فخر الامة العربية لما ابدته فيها من بسالة واقدام، وبعد عن كل ما يثنيها، بينما كان المستعمرون يسيرون في اعمالهم من عار الى عار.

صفات قادة القضية العربية ووسائلهم الكفاحية

ان من الكياسة وبعد النظر ان يتحلى قادة القضية العربية الاصيلة التي امتازت بها قوميتهم [فكانوا يعرفون انفسهم معرفة تامة، ويبحثون دائما عن افضلهم، واشجعهم ليسيروا وراءه، كانوا افرادا متفاهمين متجانسين، اندمج بعضهم ببعض. فعملوا كشخص واحد، وكانت العلاقات بينهم علاقات روحية قائمة على اساس الثقة والحب المتبادل والاشتراك العقلي في الفكر والرأي، فما كان يفعله احدهم في القاهرة مثلا، يقره اخوانه في دمشق وبغداد والرياض والمهجر[٩]].

وقد لجأ هؤلاء القادة الى وسائل متنوعة للكفاح لبلوغ هدفهم والوصول الى غاياتهم [لجأوا الى التظاهرات والاغتيالات والاضطرابات، والثورات، كما لجأوا الى الدعاية، والمقاوضات وكانوا احيانا كثيرة يتوسلون بهذه الوسائل جميعا في آن واحد، فيتقدمون خطوة ثم يتوقفون، حتى ادركوا بالتجربة ان الطريقة الوحيدة التي تؤدي رأسا الى الحرية الكاملة هي القوة وحدها، لا طريق غيرها، قوة السلاح، وقوة

السياسة، وكلتاهما يحتاج الى صداقة دولة قوية تؤيدنا وتشد ازرنا[١٠]].
لاسيما ان اعداء العروبة قد ازدادوا شراسة من داخل السلطة وخارجها.
اعداء القضية العربية.

أ- الطائفية

من الضروري ان نسجل هنا حقيقة لها اهميتها ومغزاها في القاء ضوء اضافي على ماتعرضت له القضية العربية من عدو شـرس كـان لبنان العزيز بؤرته، فينقل لنا الكاتب صورة واضحة لالبس فيها في قلب الحدث ذاته فيقول [يأتي المتصرف الى لبنان ليتولى ادارته باسم الدولـة العثمانية، وهو غير مرتبط بها الا بتلك الروابط الاسمية الواهية التـي لاتلبث ان تتلاشى امام نفوذ ممثلي الدول ووسائلهم المكشوفة، وتدخلهم المستمر في مختلف الشؤون اللبنانية....فكان المسلمون بطبيعة الحـال من نصيب الدولة العثمانية، في هذا التقسيم، والموارنـة مـن نصيـب فرنسا والدروز والبروتستان، من نصيب انكلـترا، والارثوذكـس مـن نصيب روسيا، وكانت لكل من النمسا والمانيا وايطاليا شـأن فـي ادارة البلاد ولكنه شأن ثانوي بالنسبة الى الدول التي تقدم ذكرها[١١]].

وتتجسد صورة المهزلة اكثر من خلال مناهج مدارس الطوائـف التي تقوم بتدريسها لطلابها، قاذفة بركان سمومها على ديانـة البـلاد الاصلية[١٢].

وعلى الرغم من تلك السموم التي كـانت تقـذف بـها مـدارس الطوائف ضد القضية العربية[١٣]، الا ان الاصل العربي كان اقوى مـن كيد الاعداء ووسائلهم المغرضة، والتي اثبت التاريخ فشلها واندحارهـا [فلم اكن اجد أي فخر في الانتساب الى العرب، بل العكس هو الصحيـح عندي، كنت ارى حطة لي، وهذا ما تعلمته في المدرسة، ومع ذلك دست

غروري واعترفت بالحقيقة التي كانت مرة لي، بدافع من كبريائي واعتزازي بنفسي(١٤)].

ب- التعصب الديني

يعد التعصب الديني احدى العقبات الاساسية في طريق القضية العربية، والتي عولجت في هذه المذكرات بعلمية رصينة، وادلة اكاديمية دامغة، لاتقبل الشك واستنتجت ان العرب بعيدون كل البعد عن التعصب الديني، الا ان اعدائهم، ودخلائهم هم الذين ينعتون العرب بذلك [ان التعصب الديني لم يعرفه العرب في وقت ما وانه كان دخيلا عليهم بدليل ما عرف عنهم من التسامح وسعة الصدر، وحرية الفكر، والقول في جميع ادوار حياتهم، وان وقوف ثمانين شاعرا وخطيبا على قبر المعري الذي اتهم بالكفر والزندقة في عصره لدليل على بعد المسلمين من التعصب، ولولا ذلك لما رأينا النصارى العرب يحاربون ابناء دينهم الروم الى جانب اخوانهم المسلمين ويساعدونهم على فتح سوريا والعراق، ويشاطرونهم فخر انتصاراتهم(١٥)].

فالقول بان التعصب الديني اصيل عند العرب هو في الحقيقة اعظم خرافة في التاريخ، ورسخت في بعض العقول بتأثير الدعاية المنظمة التي قام بها اعداء الامة العربية بلا انقطاع في مختلف العصور.

اما الجذور التاريخية- لادعاء تعصب العرب الديني الباطل والدخيل- فالحقيقة التي يعترف بها كل منصف ولالبس فيها هي ان هذا التعصب الذميم ادخل على الامة العربية، وعلى الاسلام، بايدي الاجانب لاغراض خاصة [فقد بدأ الفرس باثارته منذ عهد الدولة الاموية انتقاما لامبراطوريتهم التي ازالها العرب من خريطة العالم، ثم جاءت بعض الشعوب التي اعتنقت الاسلام كالترك والجركس وغيرهم، فشجعت

النعرات الدينية والطائفية على اختلافها، كما شجعت الغـــش والرشـوة الكذب والرياء بغية اضعاف العرب، للحلول محلهم في الحكم، بافســاد اخلاقهم، واخراجهم من عاداتهم، وتقاليدهم في التسامح، وسعة الصدر، واحترام الحرية على انواعها، والكرم، والشجاعة، واغاثــة الملـهوف، واكرام الضعيف، والجار] ثم [جاءت الحروب الصليبية، فحفــرت هـوة سحيقة بين الشرق والغرب انتهزها المغرضون من الكتاب والمؤرخين الافرنج فرصة سانحة لتشويه سمعة العرب والاسلام باكاذيب ومفتريات صادقت هوى بعض النفوس، واخذت تنتشر، وتترسخ حتـــى اصبحت عقيدة العالم الغربي كله[١٦]].

وبعد هذه الفترة من الاكاذيب والاباطيل التي افــتري بــها علـى العروبة، كان لابد للحقيقة ان تظهر [فقد ظهر خلال القرنين المــاضيين عدد من المؤرخين تحرروا من قيود التعصب وكشفوا النقاب عن تـاريخ العرب واظهروا للعالم ما فيه من عظمة وجلال، وجمال، فكان لهم اثــر عظيم في تنوير الرأي العام[١٧]].

ادى ضعف الدولة العثمانية دورا اساسيا في استئناف الطـامعين- من الدول الغربية- نشاطهم في الدعاية ضد العرب عن طريق التعصـب الديني [فجعلوا يرسلون البعثات باسماء مختلفة الـــى البـلاد العربيــة، وينشؤون فيها المدارس، ومعاهد العلم، لاثارة الاحقاد الطائفية، وتمزيق وحدة الامة. الى طوائف عديدة متباغضة يريد كل منها القضـــاء علـى الاخر ويتمنى لو استطاع ان يمتص دمه او يدفنه حيا....[١٨]].

كان الوقت كفيلا بمعالجة تلك الحالات وطنيا فبــدأت الحكومــات العربية اخيرا تفرض اشرافها على المدارس الاجنبيــة وتضـع برامـج معقولة للمدارس الوطنية والحكومية، ويرى الكاتب بان هـــذه التدابـير لاتكفي وحدها لازالة السموم المتراكمة في جسم الامة العربية منذ قرون عديدة ويرى بان هناك حقائق وثوابت [ان الاديان وجدت جميعا للتوفيق

لا للتفريق ولخير الوطن لا لشره، فالدين لله والوطن للجميع...ودين الاكثرية من سكان البلاد العربية هو اشد الاديان تسامحا واكثرها عناية بخير المجتمع...(١٩)].

مفهوم الوطن العربي، واخلاق رجاله، ومميزات فتوحاتهم

من اجل تكريس حب الوطن، والوفاء له، واثارة روح الحماسة عند شبابه للدفاع عنه يرى أسعد داغر [اننا مدينون للوطن بكل شيء، بوجودنا، وحياتنا، واسباب معيشتنا، وسعادتنا، وفكرنا، وكل ما ننعم به من لذة، ونتمتع به من هناء، بالهوى الذي ينعشنا، والماء الذي يروينا، والطعام الذي يغذينا(٢٠)]. ويستشهد ببيتين من شعر شوقي حول الوطن فيقول ....

ادير اليك قبل البيت وجهي اذا فهت الشهادة والمنابا

ولواني دعيت لكنت ديني عليه اقابل الحتم المجابا

وهنا يبرز التحديد الواضح الدقيق للمواطنين العرب بانهم [جميع الذين يقيمون فيه معنا، ويتكلمون لغة امتنا ويعتزون بعزتها، ويتأدبون بادبها، ويفكرون بتفكيرها، ويشاطرونها امالها والامها، ولايحجمون عن التضحية في سبيلها(٢١)].

واستنادا الى ماتقدم، لابد من وقفة امعان وتفحص امام صفحات التاريخ البارزة، لنقتبس منها شذرات شاخصة تدلنا على عظمة رجال العرب، وسمو اخلاقهم، وشدة بأسهم والتي من حق الامة العربية ان تفاخر الامم الاخرى بهم [فهل في العالم مثل عمر في عدله، ومعاوية في دهائه، والرشيد في جلالته وعظمته، والمأمون في حبه للعلم، وابن رشد في فلسفته، وخالد في قيادته، والمتنبي في شعره.... واين يمكن

ان نجد ما نجده في العرب من كرم وشجاعة، واباء وحماية للضعيف والجار وصراحة في القول، وجرأة في الحق، ونفرة من الكذب والرياء[٢٢]].

كانت الفتوحات الاسلامية خير رسالة قدمها العرب الى العالم- وما تزال- على نقيض ما قامت به الامبراطوريات الاخرى على طول حقبات التاريخ. والتي اصبحت اعمالهم في خبر كان فقد [وفقت بعض الامم الى بعض ما وفق اليه العرب من نجاح في الفتوحات سواء في عهد الاسكندر او في عهد قيصر وتيمورلنك. ولكن تلك الفتوحات زالت بزوال الفاتحين، اما العرب فقد فتحوا القلوب مع الممالك، وسيطروا على العقول قبل الاجسام، وكانوا اعدل الفاتحين واشدهم تسامحا، وابعدهم نظرا، اوجدوا نظاما خالدا للحكم، واقاموا عليه بناء امبراطوريتهم الواسعة، ... وكانت ابحاثهم واكتشافاتهم اساسا لنهضة العلوم الطبيعية في هذا العصر...[٢٣]].

القضية العربية عشية اشتعال الحرب العالمية الاولى

أ- سياسة التتريك (الحركة الطورانية)

كان لسياسة التتريك التي انتهجتها جمعية الاتحاد والترقي التأثير البارز والواضح في دفع العرب، بخطى سريعة نحو المطالبة باللامركزية، ثم الاستقلال الناجز عن جسم الدولة العثمانية[٢٤]. [فمنذ ان وصل الى اسطنبول بعض زعماء تركستان ((كاحمد اغاييف)) و((يوسف اقشورا))، لبث الدعوة التركية، واقناع جمعية الاتحاد والترقي، بان الدول لاتقوم في هذا العصر الا على اساس القومية، وان تركيا يجب عليها تتريك العناصر غير التركية، والاتجاه بنظرها نحو تركستان لتؤلف دولة تركية عظيمة تعيد اليها مجد جنكيزخان[٢٥]].

سجل هذا الحدث نقطة البداية بالنسبة للستراتيجية العربية وموقفها من الانقلابيين، فبدأ التنظيم السري يغزو جمعيات العرب الثقافية، واحزابهم السياسية، وتحول مطلب اللامركزية الى المطالبة بالاستقلال الناجز عن جسم الدولة العثمانية، وبدا هدف المنتدى الادبي- الثقافي الادبي- يتحول الى مركز سياسي، بلغ حدا انه ضم اغلب الذين قامت على جماجمهم النهضة العربية واكتافهم(٢٦).

ب- التنظيم السري

لم يكن سهلا على المواطن العربي، ذي السمات الحميدة الموروثة التي سبق الحديث عنها، ان يتحمل وطأة العبودية تحت الحكم العثماني المتخلف والمتعجرف، فبدأ يضع خططه للخلاص من تبعية السلطة العثمانية(٢٧) ورجعيتها. لهذا لابد من وقفة جادة امام احدى وسائل التنظيم السري الذي كان يمارسه الشباب العربي في قلب الدولة- اسطنبول- [صرنا نجتمع كل يوم في قهوة- النـ..ـل- فيستهل ((الشيخ)) حديثه معنا بدرس في الكيمياء- ايهامالناس- ثم يخفض صوته ويدعونا الى الاقتراب منه، ليحدثنا عن العرب ومكانتهم في التاريخ، وكيف فتحوا العالم بعدلهم... ثم عن الحالة المؤسفة التي بلغوا فيها في العصور الاخيرة، وعن الاخطار التي تهدد كيانهم، الان، لضعفهم، وجهلهم، وتخاذلهم(٢٨)].

شهد منتصف العام ١٩١٣ انعقاد المؤتمر العربي الاول في باريس(٢٩)، فاسمع ذلك المؤتمر العالم لاول مرة صوت القضية العربية، محطما الطوق الفولاذي الذي طوقته بها حركة التتريك، مما اعطى زخما قويا للعرب نحو التحرر والانعتاق، فصدر ميثاق دمشق الذي خول بموجبه الشريف حسين بن علي قيادة العرب نحو الثورة.

جـ- الصهيونية

مع تنامي سياسة التتريك، ضد العنصر العربي في اطار الدولـة العثمانية، كانت الحركة الصهيونية تزداد نشاطا وسيطرة على الاوضاع التركية[٣٠]، ويأتي ذلك عن طريق اطار المثقفين بواسطة الاغـراءات المالية، وتوظيفهم لخدمة اغراضهم الخاصة، واساليبهم السياسية الملتوية[٣١].

لم يقتصر الامر عند هذا الحد، فاقدم الصهاينة على شراء الذمم لتنفيذ مخططاتهم الشريرة في احتواء انقلاب عام١٩٠٨. والذي كانت ايادي الماسونية والصهيونية شاخصة للعيان في قيامه والاعداد له[٣٢].

د- الجامعة الاسلامية والقومية[٣٣]

شهدت المرحلة التي نحن بصدد الحديث عنها خلافا بين فكرة ((الجامعة الاسلامية)) والفكرة ((القومية)) حول الاكثر اهلية لادارة الامة العربية وخلاصها من السيطرة التركية، فطرحت مجموعة اراء في حينها[٣٤] منها....

١- اذا كنا نريد الجامعة الاسلامية فلماذا نحاول بث الفكرة العربية؟
٢- ان فكرة الجامعة الاسلامية تؤدي الى الوهن اكثر منها الى القوة لانها تنفر الغرب، بينما لانستطيع ان نمد الشرق بالقوة.
٣- كيف يمكننا ان نوفق بين اعتناقنا للفكرة الاسلامية، وقيامنا ضد دولة الخلافة؟

والواقع ان هذا القول قد تحقق في اثناء الحرب العالمية الاولى، حينما رأينا معظم المسلمين يهبون لمحاربة دولة الخلافة رغم اعلانها الجهاد الذي خيب املها.

هـ- غرب شرق القناة وغربها[٣٥]

كثيرة هي الخلافات التي تنشأ بين الاخوة اثناء المحن، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، اختلاف وجهات النظر بين عرب شرق القناة واخوانهم في غربها[٣٦]. عندما ايد عرب شرق القناة صداقة الانكليز واعتبروهم المنقذين لهم من السيطرة التركية، اما عرب غرب القناة فكانوا يأملون من الاتراك خيرا، وانهم سينتشلونهم من سيطرة الكفار.

انعكس ذلك الخلاف سلبا داخل اروقة المنتدى الادبي، فاثر في مسيرة القضية العربية، اضافة الى ما خلقته حملة الاعتقالات والاغتيالات في صفوف رجال القضية العربية من السلطة العثمانية لارهاب العرب واخضاعهم الا ان تلك المعوقات لم تثن القضية العربية عن السير بخطوات سريعة، مهدت لاعلان ثورتها في العاشر من حزيران ١٩١٦.

الثورة العربية

بوصف دقيق معبر، خال من الخيال والعاطفة عبر أسعد داغر عن حالة العرب تحت الحكم العثماني بقوله [ساد بلادهم الجهل والفقر، والظلم، واهدرت كرامتهم، وانتهكت حرماتهم، وديست حريتهم، واحلت اعناقهم، وافسدت لغتهم، وبارت ارضهم، واصبحوا هدفا لكل قوى مستعمرة، ومطمعا لكل طامع جشع[٣٧]].

لقد شاطر هذا القول الشاعر الرصافي عندما وصف بغداد في تلك المرحلة بقوله:

أيا سائلا عنا ببغداد أننا بهائم في بيداء أعوزها النبت

هكذا كان العرب يعيشون في كنف الدولة العثمانيــة، وحمايتــها، وقد مزجت تلك المساوئ بدماء الشهداء الذين قدمهم جمال باشا السفاح قربانا للوطن، فما كان من العرب الا ان حملوا تربة شهدائهم، واوقدوها نارا بوجه الاتراك(٣٨). استمرت تلاحقهم حتى طردوا من الدار العربيــة عام١٩١٨.

كان لموقفي وهيب باشا وغالب باشـــا(٣٩)، المعــاديين للعــرب وللحسين بن علي السبب المباشر في اشعال نار الثورة العربيــة بعــد الانتهاء من مراسلات حسين مكماهون في اذار١٩١٦، والاتفاق علـــى استقلال المنطقة العربية، كما أدت المجازر التي ارتكبها جمـــال باشـــا السفاح في كل من سوريا ولبنان دورا كبيرا في دفع العرب نحو الثورة، اضافة الى ما تقدم فان الانكليز لعبوا دورا مهما في قيامها عندما اعلنوا الحصار على الحجاز ومنع كل اتصال به من البحر لاماتته جوعا.

لقد ارتكبت كل من بريطانيا وفرنسا اكبر جريمة بحـــق القضيــة العربية بتوقيعهم معاهدة سايكس بيكو التي قسمت المنطقة العربية الـــى مناطق نفوذ غربية، ومنحهما وعدا لليهود باقامة دولة فـــي فلســطين عام١٩١٧، ووقوفهما بوجه الثورة التي طالبوا بقيامها وهذا ما ينقلـــه الينا الكاتب بكل امانة من داخلها. [من اهم العقبات التـــي كـــانت تجابـــه الثورة هو عدم صلاحية الاسلحة البريطانية المقدمة للثوار، ثم محاولـــة الانكليز منع العرب من انشاء جيش منظم قوي، وكثيرا ما كانوا يبعثون بقنابل لا تصلح للمدافع التي امدوا بها الجيش العربي] وكانت بريطانيـــا تهدف من وراء ذلك العمل [تحديد القوة التي يجب ان يصل اليـــها هـــذا الجيش- جيش الثورة العربية- وحرصوا على ان لايتعداها كي لايكـــون خطرا على مشاريعهم الاستعمارية(٤٠)].

لم يقتصر دور بريطانيا على عرقلة نمو الجيش العربي فحســـب، بل وتعداه الى تشكيلات الجيش نفسه، فبذلت كل ما في وسعها لاخـــراج

القائد عزيز علي المصري من قيادة جيش الثورة بسبب بذور الخلاف التي زرعتها بينه وبين الشريف الحسين بن علي[٤١].

مؤتمر الصلح في باريس سنة١٩١٩[٤٢].

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، ظهرت امام القضية العربية عقبة جديدة، وضعتها دول الحلفاء في مؤتمر الصلح عام١٩١٩، عندما تنكروا لوعودهم التي وعدوا بها العرب اثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها[٤٣]. فبان بذلك معدنهم الرديء على حقيقته، واتضح زيف اقوالهم، وسوء نياتهم تجاه العرب.

فما ان اتجه العرب صوب باريس حتى اتضحت امامهم ابعاد اللعبة الغربية بكل قذارتها، والمنسكبة في بودقة الانتداب، فشخصها الكاتب بدقة وقال عنها [واذا كان ما دفعناه ثمنا لصداقات كنا ننشدها، قد ضاع، كما ضاعت تلك الصداقات نفسها، فما ذلك الا لاننا كنا ضعفاء في عالم لايحترم غير القوة، وقد حاولنا معالجة هذا الضعف بجمع كلمتنا وتوحيد صفوفنا[٤٤]].

هكذا بدأ العمل من جديد، بدأ التفتيش عن مكان يلتجيء اليه الرجال، وقائد يثقون به، ويعتمدون عليه، وهل افضل من سوريا مكانا حينها، وهل افضل من فيصل قائدا انها بداية القضية فاصبحت بلا نهاية.

الهوامش

١- احد اعضاء الجمعيات العربية ، ثورة العرب ، مطبعة المقطم ، القـاهرة، ١٩١٦، وفي مقابلة مع المرحـوم عبـد الـرزاق الحسـني بتـاريخ ١٩٨٢/٩/١٩، اخبرني بان المؤلف هو أسعد داغر واكد القول المرحوم سليم طه التكريتي.

٢- يقصد بالمرحلة ما بين سقوط السلطان عبد الحميـد ، مـرورا بسياسـة التتريك ومعاهدة سايكس بيكو ، ومراسلات حسين مكماهون ، والثـورة العربية ثم وعد بلفور، ومؤتمر الصلح في باريس.

٣- أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية، مطبعة دار القـاهرة، القاهرة، ص١١.

٤- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٤.

٥- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٥.

٦- يقصد الباحث فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

٧- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٤.

٨- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٥.

٩- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٦.

١٠- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٦.

١١- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص١٨.

١٢- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص١٩.

١٣- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٢.

١٤- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٣.

١٥- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٧.

١٦- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٨.

١٧- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٨.

١٨- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٨.

١٩- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٨.

٢٠- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٤.

٢١- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٤.

٢٢- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٦.

٢٣- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٧.

٢٤- محمد علي العجلوني ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، مكتب الحرية، عمان، ١٩٥٦، ص٦.

٢٥- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٣٥.

٢٦- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٣٥.

٢٧- نيقولا زيادة واخرين ، دراسات في الثورة العربية ، الشركة الاردنية العالمية للنشر والتوزيع، عمان، ص٣٤.

٢٨- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٢٥.

٢٩- اسعد داغر ، ثورة العرب ، المصدر نفسه ، ص٦٩-٧٩.

٣٠- د. رانست أ. رامزدر ، تركيا القناة وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة صالح احمد العلي، مكتبة الحياة ببيروت ، ١٩٦٠، ص١٢٦-١٢٨.

٣١- لجوارد رفعت الطحان ، الماسونية، تحقيق وتقديم ، ابو صادق، منشورات دار البصري، بغداد ، ١٩٦٦، ص٢٢٦-٢٣٠.

٣٢- عبد المجيد كامل ، الماسونية والصهيونية في انقلاب ١٩٠٨، وموقف يهود العراق.

٣٣- جلال يحيى ، الثورة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص٥٣-٥٨.

٣٤- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٤٦.

٣٥- هكذا ورد في المذكرات ويعني العرب في المشرق العربي، والعرب في المغرب العربي.

٣٦- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٤٧.

٣٧- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٤٧.

٣٨- فائز المعين ، المظالم في ســــوريا ، والعـــراق ، والحجـــاز ، ١٩١٨، ص٥-١١٧.

٣٩- مشهوران بعداوتهم للعرب وللشريف حسين عينا تباعا ولاة الحجاز قبل قيام الثورة العربية، راجع مدير شعبة فيلق قـــوات المرتبـــة الادنـــى ، الثورة العربية على الدولة العثمانية، تعريب محيـــي الديـــن معمدانـــي، بيروت ١٩٣٣، ص٩-١١.

٤٠- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٨٨.

٤١- محمد صبيح، بطل لاننساه عزيز المصري ، بيروت ، صبرا ، ص٩٣-٩٧.

٤٢- احمد قدوري ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، دمشـــق، ١٩٥٦، ص١٠٠-١٠٥.

٤٣- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص١٠٢-١٠٤.

٤٤- أسعد داغر ، المصدر نفسه ، ص٧.

التاريخ الاردني من خلال
الصورة التاريخية وادب السيرة والمذكرات

تعليق وتقديم:
الاستاذ الدكتور سعد أبو دية
الاستاذ ناصر ميرزا

شكر وتقدير

نشكر جميع من ساهم في اخراج هذا البحث الى حيز الوجـود. اذ ان فكرة البحث جاءت بعد ان لاحظنا توفـر مـا يقـارب ٤٥٠ صـورة لصاحب السيرة. وقد تلطفت مديرية المكتبات والوثائق الوطنية وقدمـت الينا كل مساعدة نحتاجها في هذا السبيل. ولذلك لايسـعنا الا ان نشـكر مدير المكتبات الاستاذ اسامة مقدادي والانسة مجد المعايطة على كل مـا وفروه لنا من تسهيلات ساهمت في اخراج هذا الموضـوع الـى حـيز الوجود.

١- نبذة عن صاحب الصور

(عرض صورته وحده على سلايد)

ولد وصفي ميرزا في عمان عام١٩١٤. انهى دراسته في صيدا الثانوية عام١٩٣٢، والتحق بالجيش العربي قبل ان تستقطبه الحياة المدنية عام١٩٥٤، اذ اصبح وزيرا في حكومة توفيق ابو الهدى. وظل وزيرا طوال النصف الثاني من الخمسينات والنصف الاول من الستينات.

لم تقتصر حياته السياسية على عمله في السلطة التنفيذية، فقد اصبح نائبا عن عمان مرتين (١٩٦١ و ١٩٦٣). كما اصبح عينا ست مرات خلال الاعوام ١٩٦٧ و ١٩٨٤، واختير عضوا في المجلس الوطني الاستشاري عام١٩٧٨.

يحمل ميرزا من الاوسمة الاردنية وسامين من الدرجة الاولى: وسام الكوكب ووسام النهضة، كما يحمل الوسام العلوي المغربي.

توفي الى رحمة الله تعالى في عام١٩٨٩.

٢- الحقبة التاريخية التي غطتها الصور

غطت مجموعة الصور التي وجدناها في مديرية المكتبات والوثائق الوطنية الفترة من ٤آيار ١٩٥٤ حتى عام١٩٧١، أي ما يقارب ثمانية عشر عاما، مع العلم ان القسم الاكبر من الصور اخذ في فترة الخمسينات وجزء من الستينات حينما تقلد صاحب السيرة المناصب الوزارية على النحو التالي:

١- وزير زراعة في حكومة توفيق ابو الهدى الحادية عشرة، ٤ آيار ١٩٥٤.

٢- وزير زراعة في حكومة توفيق ابو الهدى الثانية عشرة، ٢١ كانون الاول ١٩٥٤.

٣- وزير داخلية في وزارة هزاع المجـالي (٦ ايـار ١٩٥٩- ٢٨ اب ١٩٦٠).

٤- وزير شؤون اجتماعيـة فـي وزارة بـهجت التلـهوني (٢٩ اب ١٩٦٠- ٢٨ حزيران ١٩٦١). واصبح وزير مواصلات فـي ٢٧ كانون الاول ١٩٦٠، ووزير دفاع بالوكالة في ٢٧ اذار ١٩٦١.

٥- وزير دفاع فـي وزارة بـهجت التلـهوني الثانيـة (٢٨ حزيـران ١٩٦١- ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٢).

استقال في ٦ ايلول ١٩٦١. ثم عيـن فـي ٣١ تشـرين الاول ١٩٦١ وزير اشغال عامة.

٦- وزير داخلية في وزارة وصفي التل (٢٢ كـانون الاول ١٩٦٦- ٤ اذار ١٩٦٧).

٧- وزير داخلية وشؤون بلدية وقروية في وزارة الشريف حسين بـن ناصر الثالثة (٤ اذار ١٩٦٧- ٢٣ نيسان ١٩٦٧).

شهدت هذه السنوات الثلاثة عشرة زخما هـائلا فـي نشـاط صـاحب السيرة، وتمثل ذلك في كثرة الصور التي اخذت في هـذه الفـترة عـن سيرته الوظيفية.

٣- الدراسات السابقة

لفت انتباه الباحثين ان هذا النمط من التوثيق قد ظهر في بدايـه القرن العشرين بشكل غير لافت للنظر، اذلم يكن معروفا بعد.

ويمكن ملاحظة ان بعض المتخصصين في الولايات المتحدة قـد انتبه لهذه الناحية من التوثيق وللاغراء في العرض بنشر كتـاب عـن تاريخ امريكا بالصور، فقدم الينا (آلان كولنز) في كتـاب مـهم قصـة الولايات المتحدة في صور. لقد استعان الباحث باكثر من ٤٥٠صـورة غطت فترات تاريخية مهمة من تاريخ الولايات المتحدة. وكان قد قسـم

تاريخ الولايات المتحدة الى مراحل، وعرض في كـــل مرحلـــة الصـــور وخلفياتها التاريخية.

اضف الى ذلك ان الباحث الامريكي قطع شوطا بعيدا في عمليـــة التوثيق، فقد اشتمل كتابه ايضا على لوحات فنية قديمة.

انظر:

ALAN COLLINS, the story of America in pictures (N.Y. Garden City, Doubleday, INC, 1953)

وسوف نشير لهذا المصدر بـ Collins

وفي العالم العربي ظهر مؤخرا كتاب للمصـــور الفنـــان فـــاروق ابراهيم:

(انور السادات حياته بالصور).

لقد ظهرت هذه الصور اول مرة في عام١٩٨١ في صحيفة اخبار اليوم لان الرئيس المصري اراد يومها ان يكسر القاعدة، وان يجعل من نفسه حديث الناس، ولكن الصور شكلت صدمة مذهلة للرأي العـــام لان السادات نشر صورا من داخل حياته اليومية بما لا يليق ان ينشر للـــرأي العام.

وقام المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاســـلامية (مؤسســـة آل البيت) بنشر كتاب:

(صور من حياة جلالة المغفور له الملك عبد الله بن الحســـين، ١٨٨٢-١٩٥١).

تم تقسيم الكتاب الى اربعة اقسام تصور مراحل من حياة المغفور له جلالة الملك عبد الله بن الحسين، وخـــلا القســـم الاول مـــن صـــور شخصية لجلالته.

واصدر السيد ارسلان رمضان بكبح كتابه الشهير:

(عمان بين الامس واليوم)، ضمنه (٨٠) صورة عن عمان، صور معظمها بنفسه خلال عامين قبل ان يصدر الكتاب عام١٩٨٣.

واصدرت الدكتورة خيرية قاسمية كتابها الموسوم:

(الصراع العربي الاسرائيلي في خرائط)، عام ١٩٧٩، ونشره معهد البحوث والدراسات العربية، مشيرا في مقدمته الى ما يلي:

إن هذا الاسلوب يعطي الملامح الاساسية لتطور الصراع العربي الاسرائيلي دون الاغراق في التفاصيل. واشارت المقدمة الى ان هذه الطريقة تجمع بين التشويق والفائدة العلمية، وان الباحث المؤرخ هارتن جلبرت من كلية بيرتون، جامعة اكسفورد، ساهم في ستة مؤلفات عرضت احداث العالم التاريخية من خلال خرائط جمعت بين الفائدة العلمية والتشويق.

وتساهم الصور في ابراز الناحية الجمالية على نحو ما حصل في الكتابين الصادرين عن جامعة اليرموك والخاصين بالطيور والازهار:

١- درويش مصطفى الشافعي وسهيل محمود اسماعيل

الطيور البرية في الاردن، (اربد: ١٩٨٨).

٢- فوزي محمد كريم، صالح احمد القرعان

ازهار الاردن البرية، (اربد: ١٩٨٨).

وأخيرا نشير ان والد صاحب السيرة ترك صورا ووثائق ظهرت في كتاب:

ميرزا باشا وصفي: كتاب وثائقي، مرحلة من تاريخ بلاد الشام من خلال وثائق ميرزا باشا. حرر الكتاب وجمع وثائقه محمد خير حفندوقة، ونشرته الجمعية العلمية الملكية.

٤- اهمية هذا النمط من التوثيق

هناك انماط عديدة من التوثيق كما هو الحال في:

١- كتابة المذكرات.

٢- كتابة يوميات.

ولكن هناك نمط نادر حين يقوم صاحب السيرة بالتعبير عن سيرة حياته بالصور الفوتوغرافية، وفي هذا النمط من التوثيق فوائد جمة يمكن تلخيصها بما يلي:

١- هذا النمط من التوثيق اكثر وضوحا لانه ينقل المشاهد الى جو الحدث، فعلى سبيل المثال، فان الرئيس الامريكي ودرو ولسون ترك مجموعة من الصور لانه آمن بالصور. وقد جمع احد اصدقائه هذه الصور وعرضها حسب تسلسلها الزمني، فاسترعت انتباه المؤرخين كنموذج اكثر حيوية، ومن جهة ثانية اعتبرت سجلا انسانيا لايمكن مضاهاته بالكلمات ابدا.

٢- تعد الصورة اكثر دقة في رواية الحدث من أي وصف اخر. فقد اتاحت الصور عند استخدامها لاول مرة في الحرب الاهلية الامريكية المجال لمن يطلع عليها ان يحدد بدقة اكثر مجريات القتال من أي وصف بالكلمات.

ولذلك فاذا تم استخدام الصور مع بعض الشروحات، فانه يصبح لدى القارئ وضوح اكبر، او تتاح له فرصة ان يكون صورة اكثر وضوحا عن موضوع البحث.

٥- شرح الصور

صورة في مجلس الامة رقم (١)

تظهر فيها صورة (وصفي التل) رئيس وزراء الاردن متشحة بالسواد. استشهد وصفي يوم ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧١. وفي الصورة يبدو لنا

مجلس الامة من الداخل. وصاحب الترجمة (وصفي ميرزا) كان عضوا في هذا المجلس الذي تشكل في ١ تشرين ١٩٧١.

(اغتيل وصفي يوم ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧١ اثناء انعقاد مجلس الدفاع العربي وكانت وزارة وصفي تلك هي الخامسة والاخيرة، ولقد سبق له ان شكل الوزارة لاول مرة في ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٢).

زيارة من زيارات الملك فيصل الثاني للاردن

صورة (١١)

هذه الصورة في المطار. جلالة الملك يستقبل او يودع الملك فيصل الثاني.

(فيصل الثاني بن غازي، ملك العراق، نودي به ملكا عام١٩٥٣. اغتيل في ثورة ١٤تموز ١٩٥٨، وانتهى بذلك عهد الملكية في العراق).

زيارة الحبيب بورقيبة للاردن عام ١٩٦٥

صورة (١٢)

قبل عقد مؤتمر القمة العربي الثالث في المغرب بكثير، طاف الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، في مطلع عام١٩٦٥، في البلاد العربية، وزار الاردن، واقترح حل قضية فلسطين على اساس قرار الجمعية العامة رقم ١٨١، ولكن دعوته قوبلت بردود فعل سلبية شديدة على المستويين الشعبي والرسمي في الدول العربية.

فقد طالب الشقيري الجامعة العربية باقصاء تونس عنها، وعلى المستوى الشعبي، قامت تظاهرات في المدن الاردنية ضد تصريحاته التي اعتبرت اعترافا(باسرائيل).

الصورتان (٢١) + (١٤)

ساحة ملعب الكلية العلمية الاسلامية كانت مسرحا للاحتفالات واللقاءات الرياضية ايضا، قبل تأسيس ملعب الكلية العلمية الاسلامية كانت المباريات تقام في ملعب المحطة، وهو اقدم ملاعب الاردن، وظلت تقام فيه المهرجانات حتى اقيم في بداية الخمسينات ملعب الكلية العلمية الاسلامية، وفي وقت لاحق اقيم ستاد مدينة الحسين للشباب الدولي.

استقبال جلالة الملك امام مجلس النواب بهذه الطريقة

صورة (١٥)

افتتح الامير عبد الله بن الحسين في عهد وزارة حسن خالد ابو الهدى اول مجلس تشريعي والذي اصبح يطلق عليه مجلس الامة. كان مقر مجلس الامة في وسط البلد محل البنك المركزي ثم انتقل الى الدوار الاول جبل عمان، قبل ان ينتقل الى مكانه الحالي في الشميساني.

محاكمات؟!

صورة (٢٣)

يوم ٣/ ١٢/ ١٩٦٠:

عقدت محكمة امن الدولة الخاصة جلستها الاولى، في نادي الضباط بمعسكر العبدلي للنظر في قضية تفجير الالغام في مبنى رئاسة الوزراء، برئاسة عزت حسن والزعيم حكمت مهيار والزعيم محمد احمد سليم وممثل الادعاء العام محمد رسول الكيلاني.

مثل امام المحكمة تسعة متهمين وفر سبعة.

في ٢٩/ ١٢/ ١٩٦٠ اصدرت المحكمة احكامها باعدام صلاح الصفدي ومحمد الهنداوي، وكريم شقرة، وهشام الدباس حضوريا،

وباعدام زين نمر عبيد، وشاكر دباس، وكمال شموط، وزكريا الطـاهر، وسعيد برغوث، والعقيد برهان ادهم، والرئيس بهجت مسوحي.

صورة رقم (١٣) (٢٠) + (٢١)
(الوحدة ... والطربوش)

اثرت الوحدة بين الاردن وفلسطين على نمط اللباس الذي يظـهر (الطربوش) بكثرة في هذه الصور.

فقد قدم الرئيس ابو الهدى استقالته في ٣ ايار ١٩٤٩، وشـكل الوزارة من جديد وفيها وزراء فلسـطينيون لاتمـام اجـراءات وحـدة الضفتين.

وفي ٢٤ نيسان ١٩٥٠، عقد مجلس الامة الجديد اول جلسـاته، وبحث مشروع وحدة الضفتين، ووافق على صيغته. وهكذا كما يلاحـظ في الصورة (١٣) مثلا فان لبس الطرابيش يلفت الانتباه، وقـد اختفـى هذا النمط من انماط اللباس الان في الاردن.

مستنبت الجبيهة
و (نصوح الطاهر) صورة (١٦)

كان في الضفة الشرقية ثلاثة مستنبات فقط، احدها في الجبيهـه وهو اول من شهد التجارب العلمية الصحيحة عام ١٩٤٨.

واخذ المواطنون ينشطون فظهرت مشاتل خاصـة عددهـا ١٢٥ مشتلا.

في عام ١٩٥٠ بدأ استيراد الابقار الهولندية وبدأت معها العنايـة بهذا النوع من الثروة الحيوانية.

يظهر (علي نصوح الطاهر) في الصورة، وهوابرز مـــن تركــوا بصماتهم الواضحة على الزراعة، ويكفيه فخرا انه ترك كتاب "موسوعة الزيتون".

صالة الوداع في مطار عمان
صورة (١٩)

كان مطار عمان صغيرا لا يســـتوعب التطــورات والاحتياجــات الكبيرة في قطاع النقل، هذه مثلا قاعة كبار الزوار في المطار.
ولكن في ٢٥ ايار ١٩٨٣ تم افتتاح مطار الملكة علياء الدولـــي لتلبية الاحتياجات الحالية.

هزاع المجالي
صورة (١٨)

سطع نجم رئيس الوزراء هزاع المجالي في منتصف الخمســينات اثر تنبيه لفكرة الحلف الذي عرف بحلف بغداد، وبالرغم من ان حكومته سقطت في عام١٩٥٥، وان السياسة الاردنية اعلنت بكل وضــوح ان لا احلاف، وتم تعريب الجيش في ١/ ٣/ ١٩٥٦، فــان هــزاع المجــالي اصبح رئيسا للوزارة في عام١٩٥٩ حتـــى تـم اغتيالــه فــي ٢٩ اب ١٩٦٠، وتولى المسؤولية بالوزراء انفسهم من بعده بهجت التلهوني.

الصور ٢ + ٣ + ٤ + ٥ + ٦ + ٧ + ٨ + ٩ + ١٠
زيارة شاه ايران للاردن ، ١٩٥٩

احتلت زيارة شاه ايران للاردن في شهر تشرين الثـــاني ١٩٥٩ اهتماما خاصا ضمن صور صاحب السيرة، فهناك ٥٧ صورة، في تلـــك الفترة كان صاحب السيرة وزيرا للدفاع، كان يجمع الاردن وايران انئـــذ

محاربة الشيوعية. وجاء في كلمة جلالته في مأدبة العشاء التي اقامها على شرف ضيفه يوم ٢ تشرين الثاني ١٩٥٩ ما يلي:

"ليست وشائج في الدين والتاريخ هي كل ما يجمع بلدينا بل ان ايران العظيم وبقيادة جلالتكم الرشيدة قد اضحى معقلا من معاقل الاسلام والحرية، وقد اثلجت صدورنا واثارت اعجابنا مواقفكم البطولية الخارقة في وجه محاولات الهدم والشيوعية".

العروض العسكرية

شهدت السنوات ١٩٥٩ و ١٩٦٠ و ١٩٦١ عروضا عسكرية مميزة في عيد الاستقلال ويوم الجيش. وفي احتفال ٢٥ ايار ١٩٥٩ قال جلالته:

"... فاذا تخطرون امامي اليوم في ذكرى السيادة والاستقلال، فانما تحظر صور البطولة والمجد نفاحة الشذى لماعة الشرف.

ولتمر امامي في صفوفكم قوافل المجد العربي تجتاز الحقب والاجيال في سير ثابت مطرد...".

وعشية عيد الاستقلال ويوم الجيش، وبمناسبة الزفاف الملكي السعيد، يوم ٢٣ ايار ١٩٦١، قال جلالته:

"من دواعي سعادتي واعتزازي ان يجيء حديثي هذا اليكم في مناسبة تضم باقة يانعة من اعيادنا ومناسباتنا الدينية والقومية والوطنية".

الإعمار في القدس

صورة (١٧)

في ٦ اب ١٩٦٤ القى جلالته خطابا في حفل افتتاح المرحله الاولى من اعمار الصخرة المشرفة في بيت المقدس، جاء فيه:

"نحب ان نذكر اعمار مسجد الصخرة وقبتها المشرفة ان بدأ فوق ارض المسجد وفي حدودها الضيقة فان انقاذ الصخرة والحفاظ على مسجدها وصون قبتها تنتهي كلها هناك في الارض السليبة، في الارض العربية الحبيبة، وفي استرداد حقوقنا فيها كاملة غير منقوصة".

٦- خاتمة

استعرضنا في الصور السابقة نمطا من التوثيق الذي يغني عن كتابة المذكرات، ويعكس شخصية صاحب السيرة والتركيز على هذا النمط من التوثيق الذي سار عليه ايضا ليس صاحب السيرة فقط ولكن والده ايضا، وغني عن البيان ان هذا النمط من التوثيق لامجال فيه لعدم الموضوعية او الامانة العلمية، كما انه يتفادى أي ضوابط على نشر المذكرات، فالصور لغة في التوثيق واضحة، وتعبر اصدق تعبير عما فيها.

الاوراق الشخصية مصدرا لدراسة القضية الفلسطينية

: أ.د. سامي عبد الحافظ القيسي

رئيس قسم التاريخ / كلية التربية للبنات

جامعة بغداد

الاوراق الشخصية مصدرا لدراسة القضية الفلسطينية

الهدف:

يهدف هذا البحث الى دراسة وتحليل لبعض الاوراق الشخصية التي تعود لعدد من الافراد الذين مارسوا مسوؤليات مختلفة في فلسطين خلال الفترة الممتدة من عشرينات هذا القرن وحتى الخمسينات. ان هذه الاوراق الشخصية لها اهمية خاصة لانها تكشف للدارس في حقل البحوث التاريخية امورا لم يجدها في الوثائق الرسمية التي اعتاد الباحثون على مراجعتها في دور الوثائق العامة.

المقدمة:

رغم الكتابات الكثيرة التي تناولت موضوع القضية الفلسطينية في مختلف صفحاتها الحديثة والمعاصرة بقيت هناك مادة خام تناولت تاريخ احداث فلسطين للفترة الواقعة بين الحربين وما اعقب ذلك..... لم تتم استشارتها من قبل الباحثين على نطاق واسع، بدعوى تخمة المكتبات المركزية والمكتبات العامة والمحلية والمكتبات المتخصصة ودور الوثائق العامة بالكتب والدوريات والصحف والوثائق التي تناولت الجوانب المختلفة لموضوع القضية الفلسطينية .

ان هذه المادة الخام فيها من التفاصيل والدقائق ووجهات النظر المختلفة تفيد الباحث أي باحث للاطلاع على مسائل لايجدها في المصادر والمراجع المطبوعة الاخرى التي اعتاد الباحثون على مراجعتها والاعتماد عليها..... واعني بهذه المادة الخام (الاوراق الشخصية : private papers) المحفوظة في مراكز الشرق الاوسط التابع لكلية سانت انتوني .st . antony college في جامعة اكسفورد.

ان هذه الاوراق الشخصية تعود الى اناس شغلوا في يوم من الايام مراكز مهمة ومسؤليات ووظائف مختلفة في فلسطين وفي غيرها من العواصم العربية والاسلامية.

وبدلا من ضياعها وتلفها قام ورثتهم بايداعها في مركز الشرق الاوسط لحفظها وتبويبها وتوثيقها اولا، ولجعلها تحت تصرف الباحثين ثانيا.

لقد كتب هذه الاوراق قادة بريطانيون ودبلوماسيون شغلوا وظيفة مندوب سام او سكرتيرا او مساعدا له ..... واوراق كتبها قناصل وخبراء اراضي وتربية، ورجال شرطة وأمن وكمارك ورؤساء لجان، واصحاب شركات ودعات مبشرين واطباء وصحفيين ومثقفين.

الملامح الاسلوبية والمنهجية لاصحاب الاوراق الشخصية:

القسم الاعظم من هذه الاوراق كتب بخط اليد، بعضها بقلم الرصاص والاخرى بقلم الحبر والقليل منها مطبوع على الالة الطابعة او مستنسخ على اجهزة التصوير. اسلوبها بسيط، لغتها سليمة، جيدة التعبير. اتسمت بدقة المحافظة على منهج البحث التاريخي في سرد الاحداث ومتابعتها وتوثيقها بالاسانيد والاخبار..... ولاسيما تلك الاوراق الخاصة التي احتوت على اليوميات (Diaries)

تعكس تلك الاوراق الشخصية البيئة التي نشأ وترعرع فيها اصحابها مما كان له تأثير كبير على بنائهم الفكري السياسي. ان انتماءاتهم الطبقية وخلفياتهم الفكرية وتكوينهم النفسي وتدرجهم في سلم المسؤولية، فضلا عن تنقلهم واختلاطهم قد أدت جميعها دورا في حركتهم وتفاعلاتهم واحكامهم. وقد ظهر للباحث من خلال تتبعه لما كتبه هؤلاء ممن قدر لهم ان يؤدوا ادوارا مختلفة في تاريخ فلسطين الحديث ان بعضهم كان منفتحا كثير الحركة واسع الصداقة اجتماعيا

يحب الاختلاط ويعرف لغات عديدة... في حين اتسم آخرون بـــالانغلاق والانطواء وقلة الاتصال بالناس والغموض، بينما عكس الاخرون منزلـة الوسط بين الاثنين، فسرعة الغضب والاندفاع في اصدار الاحكام بـدون تروي كانت سمتهم.

انطلاقا مما تقدم، فقد ترجم هؤلاء تلك الملامح فـي سلسـلة من الاراء والانطباعات والتقييمات والاحكام علـى قـدر تعلـق الامـر بموضوع القضية الفلسطينية، فوجدت البعـض منـهم متعاطفـا مـع التطلعات الفلسطينية بشكل يثير العجب، اخرون نـاوىء الفلسـطينيين وعبروا عن موقف عكس جوهر التحـالف الانكلـو - صـهيوني. أي بعبارة اخرى كان بعضهم صهيونيا اكثر من الصهاينـة. امـا الفريـق الثالث فقد ذكر في يومياته تفاصيل واحداث واراء جسدت موقفا وسـطا بين الاثنين.... الا انهم اتفقوا جميعا- وبدون استثناء- علـى وضـع المصالح البريطانية فوق كل المصالح وفوق كل الاعتبارات الاخرى.

لقد عبرت تلك الاوراق الشخصية عن وجهة النظـر البريطانيـة فيما تضمنته من اراء في الناس والاحداث، ومن تفسير للوقائع، وتبرير لاعمال الادارة البريطانية في فلسطين، او انتقاد لها.

في هذه الاوراق الشخصية امور كثـيرة لا نوافـق عليـها ولا نرضى عنها، وهــذا امـر طبيعـي. فـهي اوراق بريطانيـة وليسـت فلسطينية... واصحابها موظفون لدى حكومتهم. ومواطنون بريطـانيون يخدمون مصالح بلادهم ويفكرون من زاويتها، ويفضلونها بطبيعة الحال على مصالح غيرها من البلدان. ولذلك لابد ان يكون فيها الكثـير ممـا لانرضى عنه او قد نستاء منه...

طريقة تصنيف واستعارة هذه الاوراق الشخصية:

ان هذه الاوراق موضوعة في صناديق صغيرة مرقمة.... وكل صندوق يحمل اسم صاحب هذه الاوراق، والاسماء مرتبة حسب تسلسل الحروف. وفي كل صندوق مجموعة من الاضابير. وقد يحتوي الصندوق على اضبارة واحدة... على شرط ان لاتزيد على عشرة. واذا زاد على ذلك فيستخدم صندوق آخر وهكذا.

اما النظم والاساليب المتبعة في استعارة هذه الاوراق فتمتاز بوضوحها وسهولتها باعتماد بطاقة الاستعارة التقليدية المدون عليها اسم المستعير، وصاحب الاوراق الشخصية ورقم الصندوق. وهناك درج (Index) يحتوي على عدد كبير من البطاقات مدون عليها تفاصيل تخص صاحب هذه الاوراق، موضوعها، عددصفحاتها، ورقم الصندوق المودع فيه.

وفيما يلي دراسة نماذج مختارة من هذه المادة الوثائقية علها تفيد الباحث المؤرخ المهتم بدراسة تاريخ القضية الفلسطينية... وكذلك لتسهم في تسليط الضوء على ان الباحث رغم اعتماده على الوثائق الموجودة دار الوثائق العامة (P.R.O.) فأنه لايستغني عن الوثائق الموجودة في المراكز الاخرى اتماما للفائدة واستكمالا لمتطلبات البحث.

١ – آدمسون، ريتشارد: Adamson , Richard

من رجال التحقيقات الجنائية البريطانية اشتغل في مؤسسات الشرطة في مصر خلال ثورة عام ١٩١٩.... ولخبرته في هذا المجال نقلته الحكومة البريطانية الى فلسطين عام ١٩٢٠.... وقد نقل في اوراقه الشخصية، وهي محفوظة في اضبارة واحدة صغيرة، الانطباعات الامنية التي تجمعت لديه عن الانتفاضات الفلسطينية التي اندلعت في

بعض المدن الفلسطينية عام ١٩٢٠. وقد كانت اوراقه الشخصية عبارة عن مجموعة من الرسائل ارسلها الى بعض من اصدقائه في لندن.

٢- اللنبي، السر ارموند: ALLENBY, SIR EDMUND

من رجال بريطانيا البارزين خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها قاد القوات البريطانية في كل من فلسطين وحلب... عين مندوبا ساميا في مصر وكان معاصرا لسعد زغلول. وقد ترك تفاصيل كثيرة عن احوال المنطقة في اوراقه الخاصة عبر المراسلات العديدة مع شخصيات بريطانية كانت لهم ادوارا سياسية وعسكرية بارزة في الشام ومصر في فترة ما بين الحربين. وعلى قدر تعلق الامر بفلسطين فقد ارسل الى زوجته من القدس رسائل متعددة تحمل تواريخ مختلفة تتعلق بتفاصيل الحملة التي قادها الى فلسطين عام ١٩١٧ واندحار القوات العثمانية انذاك. وقد الحقها برسائل اخرى وصفت مجهوداته العسكرية المتعلقة بأحتلال حلب عام ١٩١٨ فضلا عن تفاصيل تتعلق بزيارته الى اسطنبول في شباط ١٩١٩.

لقد نقل اللورد اللنبي في رسائله سلسلة طويلة من خبراته العسكرية والادارية وتجاربه في سوريا او في فلسطين... ومعظمها تعكس جانبا من غروره العسكري ونظرته الفوقية لمواطني هذين البلدين.

٣- مشروع الارشيف الانكلو- فلسطيني:

ANGLO- PALESTIN ARCHIVES PROjECT

ضمن مجموعات هذا الارشيف يتوفر (١٢) مجلدا من الاضابير والسجلات والتقارير والبيانات المنظمة والمرتبة والتي تتضمن مراسلات مع اشخاص (من مختلف الاختصاصات والخبرات) ومؤسسات

متعددة في فلسطين وبريطانيا والولايات المتحدة، فضلا عن متفرقات لرسائل مع دوائر ثقافية ودينية في بعض العواصم العربية والغربية. كذلك احتوت هذه المجموعة على دليل مطبوع وقائمة مفصلة تتعلق بالمؤسسات والهيئات التي ساهمت في اعداد المشروع وتطويره ومقترحات لتأسيس دائرة يطلق عليها اسم: هيئة الوثائق الانكلو- فلسطينية.

ان وثائق هذا المشروع باوراقها المطبوعة والموثقة مفيدة جدا في الوقوف على جوانب مختلفة للقضية الفلسطينية ولاسيما الجوانب الدينية والثقافية.

٤- انطونيوس، جورج: ANTONIUS, GEORGE

من المثقفين العرب من اصل فلسطيني. تولى سكرتارية الوفد العربي في مؤتمر المائدة المستديرة المتعلق بالقضية الفلسطينية عام ١٩٣٩... وفي اعقابه اصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الابيض المتعلق بفلسطين عام ١٩٣٩... من مؤلفات جورج انطونيوس المعروفة كتابه "يقظة العرب" الذي ترجم واعيد طبعه عدة مرات. اما اوراقه الخاصة، واغلبها باللغة الانكليزية وقليل منها باللغة العربية، فاشتملت على تقارير ورسائل وتعليقات ومقترحات وبيانات عن فلسطين ولبنان ومصر وسوريا والعراق. وقد تضمنت اوراقه الفلسطينية المؤتمرات والاحتجاجات والجهود الدبلوماسية لوضع الحلول للقضية الفلسطينية للفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٠- ١٩٣٩.

٥- عارف، العارف: AREF EL- AREF

اوراقه الخاصة دونها باللغة العربية وهي على شكل يوميات سجل فيها انطباعاته عن الاحداث والتطورات التي عاصرها منها

"يوميات عمان ١٩٢٦- ١٩٢٨" وكذلك ملاحظاته ومتابعاته التي جاءت بعنوان "يوميات غزة" للفترة من تموز ١٩٣٩ الى حزيـــران ١٩٤٠... ان اوراق عارف العارف اضافة نوعية للمصادر التي تناولت موضـــوع القضية الفلسطينية لموضوعيتها وعمقها ووضوحها.

٦- بلفور، آرثر. جي: BAIFOUR, ARTHUR J.

آرثر جيمس بلفور السياسي البريطاني الذي تـــرأس الـــوزارة البريطانية ١٩٠٢- ١٩٠٥..... اصبح وزيــرا للخارجيـــة البريطانيـــة ١٩١٦- ١٩١٧.... واشتهر بوعده المشؤوم الذي وعده فيه الصهاينة باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. اوراق بلفور الشخصية مرتبـــة وكثيرة وهي على شكل سجلات احتوت على قصاصات صحفية بريطانية وعربية تناولت القضية العربية ومراسلات حسين- مكمـــاهون، فضـــلا عن تقارير ورسائل بعضها كتب على الآلـــة الطابعـــة وبعضـــها بقلـــم الرصاص والحبر دون فيها ملاحظاته مما لـــــه علاقـــة بوعـــد بلفـــور والظروف التي احاطت صدوره والآثار التي تركها على الاطـــراف ذات العلاقة بموضوع فلسطين.

٧- باربور، نيفل: barbour, nevill

اذاعي وصحفي بريطاني نشر مقالاته فـــي كبريـــات الصحـــف البريطانية ومعظمها يدور حول فلسطين والحركة الوطنية الفلســـطينية خلال الثلاثينات..... وكذلك كتـــب عـــن اطمـــاع الحركـــة الصهيونيـــة واخطارها على المصالح البريطانيـــة... ولـــه كتـــاب مطبـــوع باللغـــة الانكليزية عن تاريخ القضية الفلسطينية عنوانه،

Nisi Dominus, Asurvey of the Palestine controversy, (London, 1946)

اما اوراقه الخاصة فأشتملت على مقالات ونشـــرات اذاعيــة حول الشرق الاوسط عمومـــا واخطـــار الحركـــة الصهيونيـــة بشـــكل خاص.... وقد غطت اوراقه فترة زمنية طويلة امتدت من عـــام ١٩٣٦ الى ١٩٦٣ وامتازت بدقتها وسهوله اســـلوبها ويســـر لغتـــها.... وان نسبة كبيرة من اوراقه مكتوب باللغة العربية وبعضها ترجم من العربيــة الى الانكليزية.

٨- بوير، ي: Bauer. Y.

من موظفي الحكومة البريطانية في فلسطين خلال الثلاثينـــات. اشتغل في دائرة الهجرة. وهي من ابرز الدوائر البريطانية في فلســـطين لانها تتعامل مع اخطر برامج الحركة الصهيونية المتعلقة بتنظيم الهجرة الصهيونية الى فلسطين. احتوت اوراق بوير على رسائل متعـــددة الـــى زوجته "ليني" ابرزها رسالة مؤرخه يوم ٢٢ ايلول ١٩٤٢ وضع فيـــها قائمة مفصلة عن المنظمات والمؤسسات، داخل فلسطين وخارجها، تلـك التي كانت تتعامل مع الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية في فلســـطين لتنظيم عمليات هجرة اليهود للفـــترة الواقعـــة بيـــن عـــامي ١٩٣٣- ١٩٤٨.

٩- بنتوج، نورمان: Bentwich, Norman

يهودي بريطاني مختص في الجوانب القانونية... درس فـــي كامبردج وعمل في مصر. استخدمته حكومة الانتداب البريطـــاني فـــي فلسطين مستشارا قانونيا لها للفترة بين عامي ١٩٢١-١٩٢٩... ثـــم نقلت خدماته الى اثيوبيا خلال الحرب العالمية الثانية. وعلى قدر تعلـــق الامر بفلسطين فان لاوراقه اهمية استثنائية نظـــرا لمكانتـــه الوظيفيـــة المهمة ولقربه من اصحاب القـــرار السياســـي فـــي فلســـطين خـــلال

العشرينات.... لقد اشتملت اوراقه الخاصة، التي امتازت بنظامها وترتيبها، على التفسيرات والبيانات والانظمة واللوائح والتعديلات المتعلقة بجوانب الادارة القانونية في فلسطين. اضافة الى ما تقدم، فانه ترك في اوراقه، معلومات طريفة عن امين الدين الحسيني، واوضح فيها اسباب معارضته لانتخاب الحسيني مفتيا للقدس عام ١٩٢١... كذلك فان فيها الكثير من التفاصيل عن يهود الفلاشا في اثيوبيا.

١٠- بيكرستيث ، ي. م : Bickersteth, E.M

رجل دين مسيحي اشتغل في المؤسسات الدينية في فلسطين للفترة من عام ١٩١٥-١٩٣٢... وكان يشغل وظيفة سكرتارية "بعثة القدس والشرق" وغلب على اوراقه الشخصية البيانات المتعلقة بنشاط بعثة القدس التبشيرية لاسيما ما له علاقة بالمدارس والكنائس وجمع المساعدات المالية وتنظيم زيارات الحجاج المسيحيين للاراضي المقدسة. وقد اتسمت اوراقه بالبساطة والوضوح كما ان اغلبها كتب على الآلة الطابعة.

١١- بلينكنسوب، ف. و. جي: Blenkinsop, F. W. G

عمل في دائرة المندوب السامي البريطاني في فلسطين خلال الاربعينات في قسم العلاقات العامة.... واوراقه الخاصة ليست كثيرة الا ان بينها مذكرة طويلة رفعها الى المندوب السامي تاريخها ١٩٤٤/١١/٢ وصف فيها تفاصيل الاصطدامات التي حصلت في فلسطين اثناء التهيئة التي قامت بها الوكالة اليهودية في فلسطين للاحتفال بوعد بلفور... كما احتوت اوراقه على جرد بتفاصيل العمليات الارهابية التي نفذتها المنظمات خلال عامي ١٩٤٣و ١٩٤٤ سواء ضد المؤسسات البريطانية او ضد المصالح الفلسطينية.

١٢- بليث، المس. ي: Blyth, MissE.

في مجموعة اوراق المس بليث الشخصية الكثير من الاوراق المتنوعة التي تعود الى الاسقف بليث والتي غطت الفترة السابقة للحرب العالمية الاولى ومن بينها كتاب عنوانه:

The All Hiqhest goes to Jerusalem (London 1918)

في هذا الكتاب يوميات موثقة يصف فيها الاسقف بليث زيارة الامبراطور وليم الثاني الى القدس. وفضلا عما تقدم، فقد احتوت هذه الاوراق الشخصية على اضبارة كبيرة جمعت بين دفتيها مقتطفات لمناقشات مجلس اللوردات، بيانات سياسية قصاصات صحفية متنوعة... جميعها تتعلق بفلسطين لسنوات مختلفة تقع بين عامي ١٩٢٠- ١٩٣٩ ابرزها اوراق عام ١٩٢٩ المتعلقة بحائط المبكى وملابسات احداثه والنزاع حوله.

١٣- بومان، هي. سي: Bowman, H.C.

كان بومان واحدا من بين الكثير من موظفي الادارة البريطانية الذين عملوا في العراق في حقل التربية والتعليم. وقد وضع تقارير عديدة لكيفية النهوض بالتعليم في العراق خلال اعوام ١٩١٧- ١٩٢٠. ثم نقلته الحكومة البريطانية الى فلسطين واشتغل في دائرة المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل وعهدت له بعض المسؤوليات في تلك الدائرة مما له علاقة بمؤسسات التعليم في فلسطين. وقد عثرت في اوراقه الخاصة على يومياته المتعددة في عدد من البلدان منها مصرعام ١٩٠٣- ١٩١١، السودان ١٩١١-١٩١٤، العراق ١٩١٨- ١٩٢٠.... اما عن فلسطين فقد غطت يومياته الفترة الممتدة من بين عام ١٩٢١- ١٩٣٧. ومن بينها معلومات عن تطور الادارة التعليمية في فلسطين قدمت الى لجنة التحقيق الملكية (لجنة

اللوردبيل) التي جاءت الى فلسطين لتحقق في الثورة الفلسطينية التي اندلعت عام ١٩٣٦. وعندما غادر بومان فلسطين عام ١٩٣٧ لم تنقطع علاقته بها.... اذ حوت اوراقه لمراسلات وتقارير وبيانات تتعلق بمشاريع الحركة الصهيونية في الاستحواذ على الاراضي وتنظيم عمليات الهجرة والاستيطان وردود الفعل العربية تجاهها.

١٤- برجمان ، جوفري: Bridgeman, Geoffrey

كان برجمان ضمن مجموعة التشكيلة العسكرية التي عملت مع اللورد اللنبي عام ١٩١٧... وقد كلف في حينها بتنفيذ بعض المهام العسكرية التي رافقت السيطرة على القدس عام ١٩١٧. لم تحتوي اوراقه الشخصية على مراسلات ومكاتبات كثيرة الا انها احتوت على بعض المعلومات الموثقة.... على شكل يوميات لشاهد عيان دون خلالها احداث احتلال القدس ١٩١٧.

١٥- برونتون، سي.دي: Brunton, C.D.

من رجال الحملة البريطانية التي دخلت دمشق عام ١٩١٨. والمفيد في اوراقه الشخصية التعريف ببعض الشخصيات البارزة التي كانت في دمشق عام ١٩١٩. وقد وضعها في كراسةتحت عنوان "Who's who in Damuscus, 1919" وهذا التعريف يدخل ضمن ما هو متعارف عليه لدى طلاب المعرفة التاريخية باسم :"Personalities" ثم نقل برونتون عام الى فلسطين.... ووجدت بين اوراقه الخاصة مذكرة منظمة مطبوعة على الالة الطابعة عنوانها "الوضع السياسي في فلسطين ١٩٢٠- ١٩٢١" رفعها الى المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل، والاخير بدوره رفعها الى وزارة المستعمرات. وفي

هذه المذكرة وجهت اصابع الاتهام الى الوكالة اليهودية في فلسطين وتجاوزها على الصلاحيات الممنوحة لها.

ويبدو ان خبرة برونتون العسكرية قد جعلته موضع اهتمام الادارة العسكرية في فلسطين... لذا وقع عليه التكليف بوضع مقترحات لتأسيس قوة عسكرية سميت "القوة الاحتياطية للاردن"... وادرج مقترحاته تلك في مذكرة طويلة كانت بتاريخ ١٩٢٠/٩/١١

١٦- كافيراتا ، ر ، و : Cafferata, R.O

الاضبارة التي تخص الكولونيل كافيراتا عبارة عن دفتر او محفظة حوت القصاصات الصحفية والصور المقتطعة من المجلات التي كانت تصدر في فلسطين وفيها مسح عام عن تطور مؤسسة او دوائر الشرطة في فلسطين ١٩٢٢- ١٩٤٨.... والدور الذي اداه الكولونيل كافيراتا في ادارة هذه المؤسسة.

١٧- جانسيلور، السر جون: Chancellor, Sir John

رغم المهام التي كلف بها السر جون جانسيلور في فلسطين في فترة الانتداب البريطاني ١٩٢٨- ١٩٣١... الا ان اوراقه الشخصية قليلة باستثناء تصريحه المطبوع الذي يعود تاريخه الى الاول من ايلول ١٩٢٩ بمناسبة الاحداث التي رافقت تطورات القضية المتعلقة بحائط المبكى. وكان تصريحه هذا قد صدر باللغات الرسمية الثلاثة آنذاك وهي العربية والانكليزية والعبرية، وفيه دعا اليهود والفلسطينيين الى التزام الهدوء والسكينة والابتعاد عن العنف والانتقام وفسح المجال لادارة الانتداب البريطاني في علاج الوضع المتأزم آنذاك.

١٨ – كلايتون، التايد. ن: Clayton,Brig.Iltyd. N.

هو غير السير كلبرت كلايتون البريطاني البارز في مكتب المخابرات البريطاني في القاهرة (المكتب العربي) في الحرب العالمية الاولى... والذي أدى دورا مهما في احداث القضايا العربية فيما بعد، واصبح مندوبا ساميا في العراق في آذار ١٩٢٩. اما البريكادير كلايتون فانه قد عمل ضمن تشكيلات الادارة العسكرية للانتداب البريطاني في فلسطين، وان في اوراقه الخاصة مواضيع وبيانات ومذكرات لا تمت له بصلة بشكل مباشر الا انه جمعها في اضبارته الشخصية ومن بينها اضبارة مجلدة تجليدا جيدا فيها كمية من الاوراق الرسمية تتعلق بوعد بفلور وصدوره عام ١٩١٧، وما تبع ذلك من مراسلات وتعليقات وتفسيرات له حتى عام ١٩٣٩ عندما انعقد مؤتمر المائدة المستديرة في لندن لبحث الوضع في فلسطين ووضع تسوية للنزاع الناشب هناك في وقت تجمعت فيه غيوم الحرب العالمية الثانية.... كذلك احتوت اوراقه على مقال كتبه الاكاديمي اللبناني البرت حوراني عام ١٩٤٣ عنوانه "بريطانيا العظمى والقومية العربية"... ومقال آخر بدون مؤلف عنوانه "مستقبل فلسطين" مع المراسلات المتعلقة بموضوع فلسطين لعام ١٩٤٤ وما تلاها... ومقالات اخرى عن لبنان بقلم جارلس مالك عام ١٩٤٤، فضلا عن دراسة وضعها موسى العلمي عام ١٩٤٦ تحت عنوان "مشروع اصلاح الاراضي في فلسطين".

١٩ – كلايف، ن.د: Clive,N.D.

في اوراق كلايف الشخصية بعض الاوراق المستنسخة الا انها ممزقة بعض الشيء واستنساخها غير واضح..... الا انها تغطي فترة مهمة من تاريخ فلسطين المعاصر تلك المتعلقة بيومياته عن فترة

انسحاب القطعات البريطانية وانتهاء الانتداب البريطاني في فلسطين وما رافق ذلك من اشتباكات مسلحة بين العرب واليهود خلال اشهر نيسان ومايس ١٩٤٨.

٢٠- كوركيل ، ن. ل: Corkill, Dr.N.L.

ان اضبارة الدكتور كوركيل غنية بتلك التقارير التي تتناول تطور الاوضاع الصحية في ايران والسعودية وعدن وابوظبي وغيرها من الولايات والمدن مما يعطي انطباعا مقنعا عن مؤهلاته واختصاصه في مجال الطب والتغذية وامراض المناطق الحارة..... وعلى قدر تعلق الامر بفلسطين فقد احتوت اوراقه الشخصية على تقرير هو عبارة عن مسح اقتصادي عام عن وضع التغذية في فلسطين عام ١٩٤٢-١٩٤٣، وكذلك عن احوال المعيشة والتغذية في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٥١.

وقد كان كوركيل هذا منصفا في افكاره وآرائه التي وضعها في ملاحظاته عن احوال التغذية في فلسطين... ودعا الى ضرورة وضع الجهد الكافي لمعالجة الامراض المتوطنة وفقر الدم الذي ازدادت وتائره بين اطفال المخيمات.... وربط تدهور الخدمات بانعدام او فقدان الاستقرار في المنطقة.

٢١- كروسمان، ر. هـ. س: Crossman, R.H.S

بريطاني يهودي إعتنق الفكر الصهيوني ودافع عنه بحماسة... شغل وظيفة مهمة في تسلسل الهيكل الاداري القضائي في حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين... وتميزت اوراقه الشخصية بكونها غنية في محتوياتها وكثيرة في احداثها. اذ اشتملت على ملفات ومقتطفات صحفية ورسائل ومسودات وتقارير تتعلق بالملابسات

والمداخلات التي صاحبت تشكيل لجنة التحقيق الانكلو- امريكية، ولجنة Unscop خلال اعوام ١٩٤٦- ١٩٤٧.... والنتائج التي تمخضت عن ذلك بما في ضمنها موضوعة الاعتراف (باسرائيل). كما احتوت مجموعته على ١٣ رسالة بعثها من فلسطين الى زوجته زيتا في لندن غطت السنوات ١٩٤٦- ١٩٤٧... ومن ضمنها رسالة نقل فيها ردود الفعل الصهيونية عندما زار فلسطين حاييم وايزمان عام ١٩٤٧.

٢٢- كنغهام، السر الن: Cunningham, Sir Alan

اصبح مندوبا ساميا لفلسطين خلال اعوام ١٩٤٥- ١٩٤٨.... وقد شهدت فلسطين خلال هذه الاعوام علاقات دولية متشابكة معقدة. وترك السر كنغهام في اوراقه الخاصة التي احتواها الصندوق المرقم IV ودراسات عديدة عن فلسطين خلال الفترة التي شغل بها وظيفته.... وكانت تلك الدراسات مكتوبة على الآلة الطابعة ومرتبة ومنظمة ورفعها الى وزارة المستعمرات البريطانية من بينها دراسة ممتازة عنوانها "تحليل للوضع السياسي والعسكري في فلسطين خلال نيسان ١٩٤٨" ودراسة اخرى عنوانها "المسائل المحتملة التوقع لفترة ما بعد الحرب في الشرق الاوسط". فضلا عن دراسة اخرى تناولت تحليلا عسكريا لامكانيات اليهود في مقاومة الجيوش العربية.... ورغم ما ابداه من ملاحظات وتحفظات في دراساته من الحيطة والحذر باتجاه تأييد إقامة دولة يهودية في فلسطين.... الا انه رغم ذلك لم يبعد عن فكرة ضرورة المحافظة على المصالح البريطانية في فلسطين وحماية أنابيب النفط العراقي الى حيفا وحماية منطقة قناة السويس.

٢٣- ديدس، ونيدهام: Deedes, Wyndham

كان في بداية الامر مسوؤلا عن ادارة الامن العامة في مصـــر ١٩١٩- ١٩٢٠ ثم نقلته الحكومة البريطانية الى فلسطين عـام ١٩٢٠ وبقي فيها حتى عام ١٩٢٣ سكرتيرا عاما لدائــرة المنـدوب السـامي البريطاني. وقد اشتهر بدعمه للحركة الصهيونية وتــأييده لمشـاريعها الاستيطانية. وحوت اوراقه الشخصية على اضبارة كتب علـى غلافـها "الامبراطورية العثمانية وفلسطين" ويبدو انه كان مشروعا لكتــاب لان الاضبارة حوت مسودات لعناوين مختلفة منها "الخدمة فــي الجندرمـة العثمانية" و "حملة غاليبولي" و "حملـــة فلسـطين". كمـا ان اوراقـه الشخصية اشتملت على رسائل استلمها او بعثها لاصدقائــــه واقربائـه خلال خدمته في فلسطين. وقد كشف خلالها عن جـانب مـن علاقاتـه بالحركة الصهيونية ورجالاتها، كما اوضح فيها الانشطة الصهيونية فـي موضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين.

٢٤- ديكسون، جون: Dikson, John

فضلا عن كونه رجلا آثاريا، عين قنصلا عامــا فـي القـدس ١٨٩٢- ١٩٠٦... وقد اتسمت اوراقه الشخصية بكـــثرة المراسـلات ذات الطبيعة (الآثارية) التي كان قد تبادلها مع المـــس بيـل وآخـرون غيرها ممن كانت لهم إهتمامات آثارية. كذلـــك وصـف فـي اوراقـه الشخصية الرحلات المتعددة التي قام بها في المنطقة العربية.

٢٥- داوسن، السر ارنست: Dowson, Sir Ernest

خبير الاراضي المشهور الذي وضع كتابا عن مشكلة الاراضـي في العراق عنوانه: "بحث في كيفيـة التصـرف بـالاراضي والمسـائل المتعلقة بذلك" وقد طبع الكتاب في بغداد عام ١٩٣٢. ويبدو ان خبرتـه

في هذا المجال كانت سببا دفع حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين للاستعانه بآرائه لعلاج مشكلة الاراضي في فلسطين... لذا حوت اوراقه الشخصية على تقرير مطول الى نظيره في فلسطين المدعو إدواردس، ف.م . Edwards, F. M وعنوان التقرير "ضرائب الاراض في فلسطين" وكان مؤرخا في ٢٥ ايلول ١٩٣٧ .... وقد كتب ادواردس الى داوسن شاكرا له ومشيرا الى انه سيستعين بهذا التقرير لمتابعة موضوع الاراضي والضرائب في فلسطين.

٢٦- فيصل، ملك العراق السابق: Feisal (King of Iraq)

ان وجود اوراق او اضبارة شخصية باسم الملك فيصل الاول... لايعني انه ترك اوراقا شخصية قام ورثته بايداعها هنا... ولكن مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة اكسفورد اخذ على عاتقه تجميع الرسائل التي تبادلها الملك فيصل نفسه او التي تبادلها الساسة فيما بينهم عنه... وقد حملت تلك المراسلات تاريخ لاعوام ١٩١٦-١٩١٩، ١٩٣٩، ١٩٤١. وكانت تلك المراسلات باللغة العربية... الانكليزية - وبعضها باللغة العربية ومن بينها مرسلات مع الجنرال غورو، اللورد اللنبي، الكولونيل جويس وآخرون.... كذلك احتوت الاضبارة على نسخ مطبوعة باللغتين العربية والانكليزية لاتفاقية فيصل مع وايزمن في العقبة في حزيران ١٩١٨ وفي لندن في٣ كانون الثاني ١٩١٩.

٢٧- فلتشر- كوك، السر جون: Fletcher- Cooke, Sir,John

اوراقه الشخصية ليست كثيرة باستثناء مقال غير منشور كتبه على الآلة الطابعة عكس فيه افكاره وآرائه وتوقعاته عندما كان يشغل

وظيفة الضابط السياسي في حكومة فلسطين خلال الفترة ١٩٤٦-١٩٤٨.... وهي فترة مهمة وحرجة لما شهدته من احداث ومداخلات.

٢٨- فورستر، الدكتور ي. د: Forster, Dr.E.D.

طبيب بريطاني استخدمته حكومة الانتداب في المؤسسات الصحية في فلسطين خلال الثلاثينات.... نقل في اوراقه الشخصية- وهي ذات طبيعة خاصة- انطباعاته الشخصية عن اوضاع المستشفيات في المدن الفلسطينية الرئيسة... ومن بينها يومياته عن خدمته في مستشفى القديس ليوك St. Luke's Hospital في اريحا للفترة من عام ١٩٣٦- ١٩٤٠.

٢٩- فوستر- ترنر، و: Foster- Turner, W.

خبير في تخطيط المدن استخدمته حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين لمدة تزيد على العشر سنوات وبالتحديد بين عامي ١٩٣٣- ١٩٤٦... واوراقه الشخصية كثيرة نوعا ما لاحتوئها على ملفات حوت الكثير من الخرائط والبيانات والتخطيطات والمقترحات المتعلقة باعادة تخطيط بعض المدن الفلسطينية وكيفية توزيع الخدمات العامة.

٣٠- فرانكفورت، فيلكس: Frankfurter, Felix

اشتهر بكونه مستشارا للوفد الصهيوني في مؤتمر الصلح في باريس الذي عقد عام ١٩١٩. ومن هذه الزاوية يمكن للباحث ان يستنتج الطبيعة الخاصة لاوراقه الشخصية التي تعكس وجهة نظر صهيونية متطرفة.... ان اوراقه الشخصية قد صورت على مايكروفيلم وإحتوت على وثائق ومراسلات وقصاصات صحف ومقابلات واحاديث... من بينها على سبيل المثال المراسلات مع الامير فيصل،

الخطوط العامة لمشروع الانتداب علـــى فلســطين، توصيــات لاعــادة الاستيطان في الامبراطورية العثمانية.... الخ.

٣١- المسز كبس، ب. سي : Gibbs, Mrs.B.C

المسزكبس اما ان تكون زوجة لاحد منتسبي ســـلك الشـــرطة الفلسطينية او انها كانت عنصرا نشطا في البعثات التبشـــيرية التابعـة للكنيسة الانكليزية التي كانت تمارس بعضا من اعمـــال التبشـــير فـي فلسطين. ومن الصعوبة الجزم على طبيعة عملـــها ووظيفتـــها... وقـد امتازت اوراقها الشخصية بقلتها، ودونت بقلم الرصاص. ومـــن بينـــها تقرير حوى تفاصيل بالاجراءات التي اتخذتها الشرطة الفلسطينية اثنـــاء الاحتفالات الدينية التي قام بها المسلمون والمســـيحيون فـــي المدينـة القديمة في القدس خلال عام ١٩٣٠

٣٢- كيرني السر هنري: Gurney, Sir Henry

له في الاوراق الشخصية المحفوظة في إضبارة منظمـــة ملف كتب على غلافه "ملحق فلسطين"... وفي هذا الملحق يوميات وصفـــت الايام الاخيرة للانتداب البريطاني على فلسطين.... وقـــد تحـــددت تلـك اليوميات بالفترة الواقعة بين ١٥/٣/١٩٤٨ ال ١٣/٥/١٩٤٨.... وبين هذين التارخين ارتكب الصهاينة مجازر الابادة للسكان الفلسطينيين فـــي مدن حيفا ودير ياسين وغيرهما. وقد نقل في يومياتـــه تلـــك الفوضـــى والارتباك التي صاحبت انسحاب القطعات البريطانية وما تولد عن ذلـــك من فراغ عمل الصهاينة على ملئه عبر الارهاب المنظم حتـــى يضعـــوا العالم امام الامر الواقع.

٣٣- هيننك، ليوتانت. جنرال ر.هـ : Haining, Lt.Gen.R.H

الفريق هيننك قائد عسكري بريطاني خدم في فلسطين وشرقي الاردن في الفترات الحرجة التي سبقت قيام الحرب العالمية الثانية وبالتحديد خلال عامي ١٩٣٨- ١٩٣٩... وكانت لتقاريره العسكرية تقدير بالغ لدى اصحاب القرار العسكري في وزارة المستعمرات ووزارة الحرب البريطانية. واشتملت اوراقه الشخصية على سلسلة من التقارير والبرقيات فيها الكثير من التفاصيل عن المناورات والعمليات العسكرية التي نفذتها القوات البريطانية في كل من فلسطين وشرقي الاردن للفترة من ١/٤/١٩٣٨ وحتى نهاية ٣٠/٧/١٩٣٩... كذلك نقل لرؤسائه تفصيلا عن اوضاع القدس من الناحية العسكرية عام ١٩٣٩... اما فيما عدا ذلك، فان في اوراقه الشخصية رسائل تبادلها مع الوزير البريطاني مالكولم ماكدونالد وبعضا من قصاصات الصحف البريطانية والفلسطينية للفترة نفسها ١٩٣٨- ١٩٣٩.

٣٤- هينسي، أ.س.ف: Hennessey, A.S.F

خبير بريطاني ساهم مع لجنة التحقيق الانكلو- امريكية اثناء قيامها بزيارة العواصم العربية بهدف التحقيق في الصراع بين العرب واليهود ووضع الحلول للمشكلة الفلسطينية وقد امتدت يد الاهمال الى اوراقه الشخصية ولم يتبق منها الا تفاصيل رحلته الى الرياض مرافقا لجنة التحقيق المشار اليها.

٣٥- هيوتسن، ميجورج: Hutson, Major G.

الاوراق الشخصية التي تركها الميجور هيوتسن تعود لفترة متأخرة... واوراقه قليلة ابرزها تقرير كتبه في مايس ١٩٥٤ ضمنه الجوانب العسكرية لموضوع عنوانه "اسرائيل وجاراتها"

٣٦- القدس والبعثة الشرقية: Jerusalem -and- the Est Mission

وهي بعثة تبشيرية بريطانية حملت هذا الاسم واسست فروعا لها في بلدان الشرق الاوسط... وقد احتفظ مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة اكسفورد بملفاتها وسجلاتها وبياناتها واحصاءاتها تناولت الفترة بين عامي ١٨٤١ و ١٩٧٠ متضمنة معلومات متفرقة دينية واقتصادية وسياسية عن فلسطين وسوريا والعراق والاردن وايران والخليج العربي ومصر والسودان وقبرص. وكانت الاوراق عن فلسطين اغناها إذ اشتملت فيما اشتملت عليه نسخ مطبوعة على الآلة الكاتبة وبلغة انكليزية بسيطة لمراسلات خاصة بين رجال البعثة في القدس ورؤسائهم في لندن تناولت تفصيلات موثقة عن تطور الاوضاع السياسية في فلسطين لفترة طويلة إبتداءا من عام ١٩١٦ وحتى عام ١٩٦٧.

٣٧- كديم، م: Kedem, M.

من العناصر اليهودية البارزة في بريطانيا وكان عضوا في مجلس العموم البريطاني... اوراقه الشخصية فيها بيانات وتقارير ورسائل على شكل اوراق مصورة تضمنت لقاءات عدة منها على سبيل المثال لقاءات عقدت بين جون فيلبي وحاييم وايزمان. وكذلك لقاء فيلبي مع نامير وشيراتوك عام ١٩٣٩. في تلك اللقاءات تم التعرض للمشاريع والافكار والآراء التي طرحت لمناقشة وضع الطائفة اليهودية في فلسطين وفي ضوء صدور الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩- والنتائج المتوقعة لحال يهود العالم ومستقبلهم في وقت تشابكت فيه العلاقات الدولية ادت فيما بعد الى اندلاع الحرب العالمية الثانية.

٣٨- كيرماك، س.ج: Kermack, S.G.

من موظفي حكومة الانتداب البريطـاني فـي فلسـطين.... وكان منسبا للعمل في قسم الادارة القانونية والتشريعية. فـي اوراقـه الخاصة (٢٨) ورقه مصورة تضمنت مذكراته عن خدمته في فلسـطين من عام ١٩٢٠- ١٩٣٠... أوضح فيها معلومات مفصلة عن القوانيـن والتشريعات المتعلقة بالارض والهجرة والضرائب والاسواق والاسـعار. وعلى العموم فأن اوراقه الشخصية ذات صفة اقتصادية وقانونية، وهـي ذات اسلوب معقد بعض الشيء.

٣٩- كسلر، ل و كولدسمد. أ: Kessler, L. and- Goldsmid, A

ترأس هذان الرجلان بعثة بريطانية عام ١٩٠٣ أرسلت الـى فلسـطين ومصر، بهدف دراسة أمكانية توطين اليهود او اسكانهم في سيناء. وقد وضعا سجلا او كتابا حول المهمة التي قاما بها.... وبينا فيه ايجابيـات وسلبيات هذه الامكانية. ولكن الحكومة البريطانية، كما يبدو، لم تؤخـذ بمقترحاتها التي بقيت مدونه في اوراقها الخاصة.

٤٠- السر آرثر، كيري: Kirby, Sir Arthur

احد ابرز الشخصيات العسكرية التي خدمت في فلسطين خلال السنوات الاخيرة من الانتداب البريطاني على فلسطين. وكان قـد كلـف بدراسة اوضاع المواصلات في فلسـطين ومـدى خدمتـها للمصـالح البريطانية في الشرق الاوسط. وتجد في اوراقه الخاصة تفـاصيل عـن خط سكة حديد الحجاز، وادارة السكك الحديـد فـي فلسـطين ١٩٤٥- ١٩٤٨..... ثم دراسة عن النتائج المترتبة في حالة انتـهاء الانتـداب البريطاني في فلسطين على المنطقة وعلى المصالح البريطانية نفسـها.

وقد اتسمت اوراقه بشكل عام بالنظام وبكونها مطبوعة على الآلة الكاتبة، ولغتها واضحة وبسيطة.

٤١ – ليسي، جي، بي: Lacy, J.P.

اوراقه ليست كثيرة وعددها (٥) اوراق فقط تضمنت يوميات عن مسوؤلياته الامنية في القسم الشمالي من حدود فلسطين، ولاسيما عن تشكيلات الشرطة بين عامي ١٩٣٧- ١٩٣٩ وما حققته من انجازات في اطار المحافظة على الامن في فلسطين في القسم الشمالي..... ومدىكفاءتها في حالة اندلاع الحرب العالمية الثانية.

٤٢ – لامبسون، مايلز.و: Lampson, Miles.W.

من رجال وزارة الخارجية البريطانية المشهورين والذي كان مندوبا ساميا في مصر خلال احرج السنوات التي سبقت قيام الحرب العالمية الثانية وفي اثناءها. وقد كانت لتقاريره المستمرة الى وزارة الخارجية البريطانية ابلغ الاثر على توجيه السياسة البريطانية وعلى اصحاب القرار في الخارجية البريطانية ولاسيما في ما يتعلق بموضوع القضية الفلسطينية وصدور الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩... ان اوراق مايلز لامبسون كثيرة ومرتبة وبلغة جميلة، بعضها مصور والبقية مكتوبة على الآلة الطابعة وفي معظمها تقارير ومراسلات رسمية شملت فترة طويلة تقع بين عامي ١٩٣٤- ١٩٥١.

٤٣ – لي، ري، هـ. جي: Leeray, H. G.

اشتغل لدى حكومة فلسطين خلال فترة العشرينات والثلاثينات خبيرا في مشاكل الاراضي والزراعة والمساحة.... وفي اوراقه الخاصة معلومات مهمة عنها. على سبيل المثال تتوفر في اوراقه الخاصة تقارير سنوية

للفترة ١٩٢٠- ١٩٣٩ تضمنت مواضيـــع حـــول توزيـــع الاراضـــي وقوانينها والضرائب. وقد الحق بتلـــك التقـــارير الخرائـــط المتنوعـــة، بعضها كبير وملون.

٤٤- لويد، فيليبس. أ: Lioyd, Phillips,A

شغل وظيفة مساعد المفوض للقسم الجنوبي من فلسطين... وقد عكست اوراقه الشخصية وهي ليست كثيرة مهامه الامنية البحته... ومن بينـــها تقرير مهم عن الوضع الامني العام للقسم الجنوبي من فلسطين لشـــهر ايلول ١٩٣٨.

٤٥- لودر، جي، دي فيري: Loder, J. de Verye

في اوراقه الخاصة معلومات عن فلسطين وعـــن الحركـــة الصهيونيـــة ورجالاتها. كما ان له كتابا مطبوعاعنوانه:

The Truth a bout Mesopotamia, Paliestine. Syria (London, 1923)

إن المعلومات عن فلسطين في كتابة هذا لها بعض الاوليات في اوراقه الخاصة التي كانت على شكل دفتر رسائل ودفاتر صغيرة اخـــرى دون فيها يومياته عن حملة فلسطين ١٩١٧- ١٩١٨... وكذلـــك فـــي اوراقه مذكرة طويلة عبارة عن تعريف ودراسة لشـــخصيات المنظمـــة الصهيونية العالمية لسنة ١٩١٨ تحت عنوان: Personalities.

٤٦- ليوك، السرهاري. سي. Luke, Sir Harry C.

من رجال وزارة المستعمرات البريطانية اشـــتغل فـــي قـــبرص وفلسطين والعراق في فترة ما بين الحربين العالميتين... وقد ترك كتابـــا مطبوعا عن الموصل عنوانه:

Mosul and Its Minorities (London, 1925)

اما في فلسطين فقد شغل وظيفة السكرتير العام لحكومة فلسطين في اواخر العشرينات..... وان اوراقه الخاصة جاءت في ملفات كثيرة مرتبة حسب السنوات وتمتد لنصف قرن بين عامي ١٩٠٣- ١٩٥٩ من بينها معلومات عن نشاطاته العسكرية في فلسطين في الحرب العالمية الاولى، رسائل عن النزاع الذي حصل حول حائط المبكى عام ١٩٢٩ ورأيه في تبريرات الاطراف التي انخرطت فيه، ملاحظات عن الجلسة ١٧ للجنة الانتدابات الدائمة التابعة لعصبة الامم حول المشكلة الفلسطينية كذلك احتوت ملفاته على بيانات ومذكرات ووريقات تتعلق جميعها بفلسطين وبالوكالة اليهودية Jewish Agency . في فلسطين.

٤٧- ماكليفري، السر دونالد Macgillivary, Sir. Donald :

ترك السر دونالد ماكليفري إضبارة كبيرة حوت أوراقه الشخصية- وتتعلق بفترتين مهمتين من تاريخ فلسطين المعاصر وعكست جميعها وجهة النظر البريطانية المحافظة. الفترة الاولى التي تناولتها اوراقه الشخصية تناولت احداث الثورة الفلسطينية التي تجددت عام ١٩٣٨ بعد ردود الفعل المناوئة لقرار تقسيم فلسطين الذي اقترحته لجنة اللورد بيل التي جاءت الى فلسطين تحقق في اسباب الثورة الفلسطينية لعام ١٩٣٦. اما الفترة الثانية التي جاءت تفاصيلها في اوراقه الخاصة فقد كانت عن احوال فلسطين بين عامي ١٩٤٤- ١٩٤٨... وفيها ذكر معلومات كثيرة عن الاعمال الارهابية التي نفذتها العصابات الصهيونية ضد المؤسسات البريطانية. كذلك اوضح في اوراقه جانبا من الترتيبات العسكرية التي قررت حكومة الانتداب البريطاني اتخاذها خلال عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨.

وعلى العموم ان الافكار التي وردت في اوراقه الخاصة جميعها افكار استعمارية وتعبير عن وجهة النظر البريطانية المحافظة .

٤٨- ماك ميشيل، السر هارولد MacMichel, Sir Harold :

كان مندوبا ساميا في فلسطين للفترة من عام ١٩٣٨- ١٩٤٤... وكان عسكريا محافظا يمثل وجهات نظر المدرسة الهندية في ادارة شوؤن البلدان الخاضعة للنفوذ البريطاني. وان اهم ما يميز اوراقه الخاصة كثرتها وانتظامها.. وفيها عدد كبير من الرسائل الخطية والمطبوعة التي تبادلها مع رجال الادارة البريطانية الذين عملوا في العواصم العربية بين الحربين سواء في دمشق وبغداد وبيروت او في الرياض والقاهرة ومعضمها تتناول تطور الاحداث الفلسطينية وردود فعل تلك الاحداث على مجمل التطورات السياسية في تلك العواصم العربية. وقد كانت افكاره وطروحاته موضع تقدير واحترام لدى اصحاب القرار السياسي في وزارتي المستعمرات والخارجية البريطانية، لاسيما تلك الافكار المتعلقة بتقليل النفقات البريطانية في فلسطين والاسراع بوضع تسوية للمشكلة الفلسطينية ترضي جميع الاطراف.

٤٩- مركز تجهيز الشرق الاوسط Middle East Supply Centre :

وهو احد الدوائر المهمة التابعة للحكومة البريطانية... وكانت القاهرة مركز له خلال الاربعينات... وهناك مجموعة فريدة من اضابير هذا المركز احتوت على دراسات كثيرة لمسألة تسوية الاراضي في عدد كبير من بلدان الشرق الاوسط للفترة من ١٩٤٣- ١٩٤٤ تكفل بها عدد من خبراء الارض البريطانيين.... اما بصدد تعلق الامر بفلسطين فان اوراق المركز احتوت معلومات مفصلة مدعمة بالاحصاءات والارقام عن مشكلة الارض في فلسطين لسنتين فقط هما

١٩٤٢و١٩٤٤وعلى العموم فان الاوراق قد اتصفت بانتظامها في اضابير وملفات مرقمة ومرتبة في احسن ترتيب.... وجميع الاوراق مكتوبة على الآلة الطابعة ولغتها الانكليزية صعبة.

٥٠- مونكتون، ر. ف. ب.Monckton, R. F. P :

من ملاك وزارة المستعمرات البريطانية.... وكان من بين موظفي الحكومة البريطانية في الاردن للفترة من ١٩١٧- ١٩٢٥.... وقد نسبته الوزارة الى الخدمة في فلسطين في جهاز الشرطة في بعض السنوات. وفي اوراقه الخاصة معلومات عن الوضع العام في الاردن قبيل تنصيب عبد الله اميراً على شرقي الاردن... كذلك في اوراقه احاديث مدونه في تقارير مصورة اجراها مع شخصيات عربية وبريطانية تخص الاردن وفلسطين. وفضلا عن ذلك، فقد احتوت اوراقه الخاصة على مراسلات مع مركز وثائق (اسرائيل) ومراسلات مع شخصيات يهودية بارزة في (اسرائيل) من بينهم البروفسور يوري دان U. Dannوآخرين غيره. تضمنت آراء وملاحظات وافكار مختلفة لتسوية النزاع العربي- الصهيوني. كما دون مونكتون يومياته عندما زار فلسطين في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧. وكانت زيارته تلك خلال شهري تشرين الثاني وكانون الاول من عام ١٩٦٧. ودون فيها انطباعاته عن التقدم الذي حققته الدولة اليهودية دون اي اشارة الى المعاناة اليومية للفلسطينين وحرمانهم من ابسط حقوقهم المشروعة.

ومن الوثائق المهمة في اوراقه الخاصة قائمة ذكر فيها اسماء ضباط الشرطة من البريطانيين ورتبهم ورواتبهم ومدة عقودهم ممن عملوا في دوائر الشرطة في فلسطين عام ١٩٣٠.

٥١- مونرو، اليزابيث Monroe, Elizabeth :

صحفية بريطانية وكاتبة متخصصة في شوؤن الشـــرق الاوسـط ضمن ملاك جريدة التايمس البريطانية. لها مؤلفات مطبوعة عن الشرق الاوسط..... ابرزها الكتاب الموسوم:

Britains Moment in the Middle Est 1914- 71(london, 1981)

كذلك في اوراقها مذكرات وبيانات وتقارير تخص اقطـــار الوطـــن العربي كسوريا ولبنان ومصر والعراق والمملكـــة العربيـــة السـعودية غطت الفترة الممتدة من العشرينات وحتى الستينات.

واحتوت اوراقها ايضا على رسائل متعددة تبادلتها مع سي. جـــي. ادموندز مستشار وزارة الداخلية في العراق, ومراسلات مع الجاسوســة البريطانية فرياستارك.

اما بصدد تعلق الامر بفلسطين بشكل مباشر فان اوراقها الخاصـــة مجموعة من البيانات والتقارير والمراسلات تخص سياســـة الحكومـــة البريطانية في فلسطين للفترة من ١٩٤٥- ١٩٤٨. اي فترة حكم حزب العمال البريطاني وبشكل خـــاص افكـــار وآراء ارنســـت بيفـــن وزيـــر الخارجية في حكومة كليمنت اتلي العمالية حينذاك.

ومما يجدر ذكره ان اليزابيث مونرو تركت اوراقها الخاصة فـــي مركز الشرق الاوسط- الذي لم يكن ليبعد كثيرا عن دارها- وهـــي لـــم تزل على قيد الحياة.

٥٢- ماير، هنري. دي Myer, Henry D. :

اوراقه الشخصية قليلة جدا وتقتصر على مقتبسات مـــن رســـائله التي كان يبعثها الى زوجته في لندن يصف فيها احـــوال خدمتـــه فـــي الفيلق اليهودي الذي كان تحت آمره اللورد اللنبي خلال عامي ١٩١٨- ١٩١٩

٥٣- نوت، ل.هـ .و.Nott, L.H.W :

كان الحاكم المدني لمنطقة غزة خلال نيسان ١٩٢١. وقد ترك بعض الاضابير اشتملت اوراقها على بيانات وتفاصيل خدمته تلك, ومن بينها رسائل استلمها من السر ل. بولز Sir L. Bols واللورد صموئيل Lorol Samuel، واللورد اللنبي Lord Allenby وكذلك من السوويندهام ديدس Sir Wyndham Deedes ومعظمها تناولت بالمناقشة الموضوع المتعلق بتعيين امين الدين الحسيني مفتيا للقدس. وكانت اكثر الرسائل التي عبر اصحابها عن المعارضة لتعيين الحسيني رسائل ونيدهام ديدس.

٥٤- فلسطين: مؤتمرات حول فلسطين

لم ترد اشارة لاصحاب هذه الاضبارة. ومعظم اوراقها ذات صفة رسمية تتضمن الاجتماعات العربية/ البريطانية خلال شهري شباط وآذار ١٩٣٩.

وهي الاجتماعات التي مهدت فيما بعد لعقد مؤتمر المائدة المستديرة وبالتالي صدور الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩. وتفاصيل الاجتماعات هذه وردت في الدراسات الاكاديمية حول القضية الفلسطينية سواء باللغة العربية او اللغات الاجنبية الاخرى.

٥٥- برون، ستيوارتPerowne, Stewart :

من موظفي حكومة بريطانيا... جل انطباعاته ومذكراته عن حياته الوظيفية على شكل رسائل بعثها الى عائلته. بعضها مطبوع واخرى مصورة غطت فترة حياته العملية بين عامي ١٩١٣- ١٩٤٧. وان الفترة التي تخص خدمته في فلسطين اشتملت على السنوات ١٩٢٥- ١٩٣٤. ولعل ابرز ما فيها تلك التفاصيل المتعلقة بحادثة

حائط المبكى وانتفاضته عـــام ١٩٣٣. ولقــد عكــس صـــاحب الاوراق الشخصية هذا المصالح البريطانية اولا وآخرا.... الا انه كـــان منصفـــا بعض الشيء في تعليقاته على احداث حائط المبكى. وقد نقلت خدماتـــــه الى الطرق فيما بعد... وفي السنوات ١٩٤١- ١٩٤٧

٥٦- فيلبي، هـــ. سنت. جي.Philby, H. ST. J :

من الشخصيات البريطانية البارزة الذي تـــرك اوراقـــا شـــخصية متنوعة توزعت على عدد كبير من الاضابير. معظمها مصور ومطبـوع. تناولت هذه الاوراق مذكراته عن خدمته في العراق خلال العشرينات ثـم انتقاله الى المملكة العربية السعودية حيث بقي ملازما للملك عبد العزيز ابن سعود سنوات طويلة. واوراقه الخاصة مهمة جدا لمـــا حوتـــه مـــن معلومات تتعلق بالاردن والعراق وفلسطين. والســـعودية غطـــت فـــترة طويلة امتدت بين عامي ١٩١٥ الى ١٩٥٧. وان له بعـــض المؤلفـــات المطبوعة من بينها:

Arabia of the Wahhabis (London, 1928)

امافيما يتعلق بفلسطين فان في اوراقه الخاصة بعض المراســـلات واللقاءات التي قام بها مع بعض العناصر الصهيونية كحاييم وايزمــــان ونامير وبعض رجال الحكومة البريطانية مثل هوكسن وكوردك غرضـــها تنظيم لقاء مع الملك عبد العزيز بن سعود لوضع بعض الحلول للقضيـــة الفلسطينية في وقت تأزمت فيه العلاقات الدولية بقيام الحـــرب العلميـــة الثانية. وابرز تلك الحلول المقترحة إقناع الفلسطينيين بقبـــول الكتـــاب الابيض عبر القناة السعودية. ان النسخ الاصلية لتلك المراسلات توجـــد في مركز وثائق وايزمان في (اسرائيل). اما اوراقه الخاصـــة فتحتـــوي على نسخ مصورة منها.

٥٧- بولوك، جي. هـ. هـ Pollock, J. H.H. :

من رجال الكنيسة الانكليكانية الذين عملوا في المؤسسات الدينية في فلسطين... ان اوراقه الخاصة ذات صفة دينية تناولت بعض الصلوات والمراسيم الدينية لفترات مختلفة من بين عامي ١٩٢١- ١٩٤٧. كذلك احتوت اوراقه على دراسة قدمها لحكومة الانتداب البريطاني في فلسطين تناولت بعض المقترحات المتعلقة بوضع قانون جديد لرقابة الشرائط والافلام السينمائية والنشرات الدعائية. ومن بين اوراقه الشخصية هناك مجموعة من الرسائل الخطية بعثها الى اصدقائه والمقربين اليه في بريطانيا وصف فيها حالة الاماكن المقدسة والقضايا المالية المتعلقة بموضوع اعادة بناء وتجديد بعض الكنائس والمدارس الدينية.

٥٨- راثبون، بريكادير. ر. ب Rathbone, Brig. R. B :

اوراقه الشخصية قليلة احتوتها اضبارة واحدة فيها ٧ صفحات فقط تناولت الاجراءات البريطانية والاستعدادات المتعلقة بمشروع بريطانيا للانسحاب من فلسطين..... وفيها ايضا جانبا من ذكرياته لاعوام ١٩٤٦- ١٩٤٨.

٥٩- راندل، السر جورج Rendel, Sir George :

من رجال وزارة الخارجية البريطانية البارزين. وقد شغر مسؤولية الدائرة الشرقية في الوزارة المذكورة خلال فترة الثلاثينات والاربعينات. وكانت علاقته مع السر انطوني ايدن (وزير الخارجية البريطانية) والسر مايلز لامبسون (السفير البريطاني في القاهرة) قد امتازت بالتفاهم والانسجام والاحترام. وتعتبر اوراقه الخاصة المرتبة والمنظمة والمطبوعة في مركز الشرق الاوسط من الوثائق المهمة

التي يعول عليها كثيرا في الكتابة عن فلسطين واهميتها وكذلك في البحث عن مصر وقناة السويس والحرب العالمية الثانية. ولعل البحث في ملابسات صدور الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ والضغوط التي تعرضت لها الحكومة البريطانية من قبل اللوبي الصهيوني في عدم تنفيذ الكتاب الابيض لا يمكن الاحاطة بها دون الرجوع الى اوراق السر جورج راندل.

٦٠- سالمون، ف. جي.Salmon, F.J :

من العسكريين البريطانيين الذين خدموا في فلسطين في الثلاثينات. وكان منحازا الى الصهاينة ومتعاطفا مع اهدافهم. في اوراقه الخاصة رسائل تبادلها مع الجنرال ديل Dill في تشرين الثاني ١٩٣٦.... ويفهم من تلك الرسائل انه اعد بعض الخرائط عن فلسطين لغرض تزويد الجيش البريطاني من اجل استخدامها في اجراءات الجيش بالقضاء على الثورة الفلسطينية الكبرى.

٦١- صاموئيل، هربرت Samuel, Herbert:

عين مندوبا ساميا لبريطانيا في فلسطين خلال العشرينات من هذا القرن.... اوراقه الخاصة غنية جدا بمعلومات عن فلسطين وتناولت مواضيع عدة عن هذا البلد.... اغلبها مطبوع على الآلة الكاتبة.... لغتها الانكليزية صعبة بعض الشيء..... من بين اوراقه الشخصية تفاصيل تتعلق بالظروف التي صاحبت مراسلات حسين- مكماهون... والجدل الذي دار بعد ذلك فيما اذا كانت فلسطين ضمن الدولة العربية الموحدة المستقلة التي وعدت بريطانيا الشريف حسين بتحقيقها في حالة تحقيق الانتصار في الحرب العالمية الاولى... كذلك بسط في اوراقه الخاصة مشاريع الحركة الصهيونية الاستيطانية في

فلسطين خلال الفترة ١٩١٤- ١٩٣٩ وردود الفعل الفلسطينية والعربية تجاه تلك المشاريع... ومن بين اوراقه الخاصة مراسلات كثيرة مع اللورد كرزن وغيره من ساسه بريطانيا ومعظمهاتتعلق بتنامي الحركة القومية العربية المناهضة لبريطانيا وفرنسا والحركة الصهيونية.... وتم تسليط الاضواء من خلال تلك المراسلات على إنتعاش الحركة القومية سواء في فلسطين او في الاقطار العربية المجاورة. ومن الممتع في اوراقه الخاصة نسخ من مقترحات نوري السعيد التي تبادلها معه بشأن إنهاء الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ عبر قيام إتحاد بين دول الهلال الخصيب مع تحقيق إستقلال ذاتي في لبنان وتحديد الهجرة الصهيونية وفق نسب محدده الى هذه الدولة الاتحادية.

٦٢- سكوت. ف. م Scott, F. M. :

من رجال الشرطة الذين وظفتهم حكومة فلسطين خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٨- ١٩٤٧ لادارة السجون في فلسطين... وقد احتوت اوراقه الشخصية وهي منظمة ومرتبة على مراسلات رسمية بعثها له رؤساؤه ثمنت فيها جهوده عندما كان يعمل في ادارة السجون في فلسطين... وفضلا عن ذلك فقد توفرت في اوراقه الشخصية تقارير طبية ممتازة جدا عن اسماء الجرحى والمصابين الذين تعرضوا للاصابة خلال احداث الاصطدامات التي حصلت بين الفلسطينيين من جهة وبين البريطانيين والصهاينة من جهة اخرى خلال ثورة ١٩٣٦- ١٩٣٩.

٦٣- سكوت، السر روبرتScott, Sir Robert :

شغل السر روبرت سكوت السكرتارية العامة لحكومة فلسطين خلال عام ١٩٤٥... ولم تحتوي اوراقه الشخصية على تفاصيل كثيرة باستثناء وريقات اربع دون فيها التصريح الرسمي المطبوع والمؤرخ في ١٥/١١/١٩٤٥ والذي منع فيه جميع الاطراف في فلسطين من حمل السلاح.

٦٤- سمث، آرثر ليونيل فورسترSmith, Arthur Lionel Forster :

من رجال التربية الذين عهدت اليهم مسوؤلية متابعة تطور التربية والتعليم في فلسطين خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٠-١٩٣٠.... وقد احتفظ في اوراقه الخاصة على بعض التقارير التي رفعتها حكومة الانتداب الى عصبة الامم عن التقدم الذي حصل في ميدان التربية والتعليم في فلسطين. كذلك في اوراقه الخاصة تقارير حول الموضوع نفسه ولكنه تناول فيها التقدم الذي حصل في ميدان التربية والتعليم في العراق وقضايا سياسية اخرى. وبعيدا عن التربية والتعليم فقد احتوت اوراقه الشخصية على رسائل خاصة تبادلها مع هنري بومان والسر بولارد والسر اي. ت. لورنس وآخرين غيرهم.

٦٥- سومرست، فيتز روي Somerest, Fit Z Roy :

اوراقه الشخصية ليست كثيرة ومعظمها يتعلق بالاردن، قضايا الحدود وقضايا الارض، للفترة من ١٩١٩- ١٩٢١. اما اوراقه المتعلقة بفلسطين فقد حوت على تفاصيل النقاشات التي حصلت في مؤتمر القدس الذي ترأسه ونستون تشرشل عام ١٩٢١.... وقد دون النقاشات كما وقعت دون تعليق او بيان رأي شخصي بصددها.

٦٦- سبيرس، الميجر جنرال Spears, Maj. Gen. :

كان سفيرا لبريطانيا في سوريا ولبنان خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.... وان لاوراقه الشخصية اهمية استثنائية لتنوعها وشمولها قضايا عديدة تخص سوريا ولبنان.

ويمكن القول بثقة عالية ان لا احد يستغني عن مراجعة هذه الاوراق فيما لو تصدى لدراسة موضوع إستقلال سوريا ولبنان.... واوراقه عموما منظمة ومطبوعة وواضحة واسلوبها سهل بسيط. ويقع ضمن ملفات اوراقه الخاصة تفاصيل تتعلق بلجنة التحقيق الانكلو- امريكية عام ١٩٤٦ وتقارير الكونت برنادوت الى هيئة الامم عام ١٩٤٨... وفضلا عن ذلك فقد حوت اوراقه الشخصية على مراسلات مختلفة مع ساسة عرب وغربيين حول فلسطين وحول المشاريع الصهونية، والجامعة العربية، وحول شؤون الشرق الاوسط بشكل عام.

٦٧- ستورس، السر رونالد Storrs, Sir Ronald :

كان حاكما عسكريا للقدس خلال العشرينات.... وهو من الشخصيات البريطانية البارزة في فلسطين في هذه الفترة. وقد ايد انتخاب امين الدين الحسيني مفتيا للقدس... وان معظم اوراقه الشخصية تدور حول هذا الموضوع. وقد ايده في موقفه هذا مساعد سكرتير المعتمد البريطاني في فلسطين المستر E. T. Richmond. في حين تعرض الاثنان لمعارضة كل من W. Deedes السكرتير العام للمعتمد البريطاني) و(N. Bentwich السكرتير القانوني للمعتمد البريطاني)

إن اوراق ستورس الشخصية ليست كثيرة، الا انـها مهمـة وتنبع اهميتها من الموضوع الذي تطرقت اليه وهو انتخاب الحسـيني مفتيا للقدس وما يحمله هذا الانتخاب من اهميـة دينيـة وسياسـية ومعنوية لعائلة الحسيني إزاء المنافسات الشخصية من قبـل عائلـة النشاشيبي وغيرهم. ان الكتابة عن المفتي وبدايات ظـهور نشـاطاته السياسية والدينية تستدعي مراجعة هذه الاوراق الشخصية

٦٨- سايكس، السر مارك Sykes, Sir Mark :

الوزير البريطاني البارز الذي وقع مع بيكو الفرنسـي اتفاقيـة سايكس- بيكو السيئة الصيت. وقد صورت اوراقـه الخاصـة التـي جاءت في (١٣٠) وثيقة على (٤) بكرات مايكروفيلم... واشتملت تلك الاوراق على مواضيع مختلفة تتعلق بـالثورة العربيـة عـام ١٩١٦ وظروف عقد اتفاقية سايكس- بيكو ودخول بريطانيا الى بغداد عـام ١٩١٧. اما ما يتعلق بفلسطين فان في اوراقـه الخاصـة معلومـات مهمة عن الحركة الصهيونية، ميزانيتها، افرادها المؤثرين... كذلـك التسويات المتعلقـة بفلسـطين ١٩١٧- ١٩١٩ واجـراءات الادارة العسكرية فيها.

٦٩- تاسييل، روبرت Tassell, Robert :

رحالة بريطاني كتب رسائل الى ابنته يصف فيها رحلتـه الـى مصر وفلسطين وسوريا خلال اعوام ١٨٣٩- ١٨٤٠... وهي عبـارة عن يوميات تطرق فيها الى جوانب طريفة عن الحياة الاجتماعية فـي تلك البلدان. فضلا عن بعض المعلومات السياسية التي رافقت صـدور اللائحة الاصلاحية خطي شريف كولخانه التي اصدرها السلطان عبـد المجيد الاول، وردود الفعل الايجابية التي تمخضت عن صدورها.

٧٠- تاكيو، المسز هيثر Teague, Mrs. Heather :

وهي اوراق شخصية مطبوعة على الآلة الطابعة.... وعبارة عن رسائل خاصة بعثتها الى ذويها في لندن نقلت فيها بعض المعلومات عن خبرتها للعمل في القدس- في الدوائر الصحية في المدينة- خلال الاعوام ١٩٣٦- ١٩٤٠

٧١- تيجارت، السر جارلس Tegart, Sir Charles :

من موظفي الحكومة البريطانية الذين كلفوا بادارة المؤسسات الامنية في فلسطين خلال فترة الثلاثينات... ان اوراقه الشخصية كثيرة متنوعة بين ما هو مطبوع على الآلة الطابعة وبين ما هو مكتوب بقلم اليد. الا ان الغالب عليها جميعا الصفة الامنية. من بينها تعليمات الدفاع عن المدن الفلسطينية لاعوام ١٩٣١, ١٩٣٦, ١٩٣٧. وتعليمات الطوارىء والدفاع المدني لعام ١٩٣٦. ويوميات عن احداث فلسطين ١٩٣٧- ١٩٣٨... كذلك في اوراقه الخاصة معلومات عن تشكيلات الشرطة وشؤون الامن في فلسطين ١٩٣٧- ١٩٣٩.

ولعل من ابرز اوراقه الشخصية تلك التقارير اليومية المطبوعة عن احوال الثورة الفلسطينية لعام ١٩٣٦- ١٩٣٩ والمعروفة بتقارير C. I. D. اليومية- وهي تقارير مهمة تتناول احداث الثورة في الريف وفي المدن الفلسطينية. ان في تقارير التحقيقات الجنائية هذه معلومات اولية اصيلة عن الجمعيات والشخصيات وتحصينات المدن ومراقبة الحدود فضلا عن تنظيمات الشرطة ودوائر الامن وارقام عن الجرائم والاعتداءات.

ومن الامور الاخرى في اوراقه الشخصية مراسلات كثيرة ذات صفة امنية. وهي مراسلات موثقة مطبوعة اجراها مـــع مؤسســات الشرطة في سوريا وشرق الاردن ولبنان. ان جوهر هذه المراســلات واهدافها هو التنسيق في كيفية السيطرة على الحدود ومنع التسلل.

٧٣- طيباوي، عبد اللطيف: Taibawi, Abdul Latif

من المثقفين العرب الذي وضع مؤلفـــات مطبوعـــة عـــن سوريا ولبنان وفلسطين. وقد حوت اوراقه الشخصية في المركز وهي باللغتين العربية والانكليزية واغلبها مطبوع على الآلة الطابعة علـــى قضايا مختلفة تتعلق بفلسطين وثورتها عـــام ١٩٣٦.... مـــن بينـــها بيانات فوزي القاوقجي الاول والثالث. كذلك في اوراقـــه الشـخصية مقالات ورسائل ومقتطفات صحفية مع كراسة مطبوعة في يافا عـــام ١٩٣٩ عنوانها "مراسلات حسين- مكمـــاهون" او "فلســطين كـــانت ضمن وعود بريطانيا عام ١٩١٥ تلك المتعلقة باســتقلال العـــرب"... وفضلا عن ذلك فان في اوراقه الخاصة تقريرا ممتازا مدعما بالارقـــام والجداول عن وضع التعليم في فلسطين للفترة الممتـــدة مـــن شـــباط ١٩٤١ الى تشرين الاول ١٩٤٥.

٧٤- تويدي، أوين: Tweedy, Owen

صحفي بريطاني متخصص في احوال مصـــــر وفلســـطين وبلدان الشرق الاوسط عامة. اوراقه الشخصية متنوعة تغطي الفـــترة الممتدة ١٩٢٦- ١٩٥٢ وتحتوي على رســـائل شـــخصية ومقـــالات ومقتطعات صحفية. وقد وثق احداث فلسطين للاعوام بيـــن ١٩٣٠- ١٩٥٢ على شكل يوميات باسلوب واســـتعراض صحفـــي.... وهـــي مكتوبة بلغة واضحة. سهلة، جملها قصيرة وكلماتها مألوفة.

٧٥- وثائق الدبلوماسية الامريكية: U. S. Debt. of. State

وهي عبارة عن ملفـــات وزارة الخارجيـــة الامريكيـة مصورة على مايكروفيلم... وعلى قدر تعلق الامـــر بفلســطين، فـــان اوضاعها قد نقلت مع الوثائق المتعلقة بالعراق وعددها (١٨) بكـــرة مايكروفيلم تغطي الفترة الممتدة بين عامي ١٩٣٥- ١٩٤٤. الممتـع فيها تلك التفاصيل المتعلقة بالدور الذي لعبـــه الفلســطينيون الذيـن استقروا في العراق خلال الثلاثينات، في التأثير على مجريات السياسة العراقية ونتائج ذلك على مجمل العلاقات العربية- البريطانيـــة عامـة والعراقية- البريطانية بشكل خاص.

٧٦- ويب، المسز بياتريس: Webb, Mrs. Beatrice.

اشتملت اوراق المسز بياتريس الشـــخصية علـــى تقـارير زوجها المتعلقة بخدمته في دائرة السكك الحديد في فلســطين. وهـــي تقارير منظمة تغطي الفترة المنتهية فـــي ١٩٣٠/١٢/٣١. ووصـــف فيها دور حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين في تطويـــر خدمـــات السكك الحديد.

٧٧- ويلسون، المس هـــ. م: Wilson, Miss H. M.

المس ويلسون كانت مديرة لواحدة من مدارس بيرزت خـــلال ثورة عام ١٩٣٦. من بين اوراقها الشخصية كتيب مطبوع على الآلـة الكاتبة عنوانه "سنة دراسية فـــي فلســطين ١٩٣٨- ١٩٣٩" وهـــو طريف جدا لمعلوماته عن المدارس الفلسطينية ونسبة الذكور والانـــاث فيها والمواضيع التي تدرس فـــي المراحـــل الدراســـية والمدرســـية ورواتبهم والابنية والخدمات وما الى ذلك.

٧٨- يونك، السر هيوبرت: Young, Sir Hubert

من رجال بريطانيا الذين اشتغلوا في اجهزتها الاستخبارية في القاهرة في بداية الحرب العالمية الاولى. وكان على علاقة وثيقة مع بعض الساسة والزعماء العرب. تنقل في الحجاز والعراق وفلسطين. وله مؤلفات مطبوعة منها: Independent Arab (London, 1933)

وقد حولت اوراقه الشخصية الى المراكز وهي كثيرة ومرتبة ومنظمة حسب تسلسلها الزمني واشتملت على مواضيع عديدة بحكم علاقات صاحبها الكثيرة. اما عن فلسطين فله عنها اوراق خاصة مهمة جدا من بينها إضبارة كتب على غلافها "مستقبل فلسطين" وفيها انتقد كثيرا المشاريع والطموحات الصهيونية ودافع عن الفلسطينين دون ان يخفي الدفاع عن مصالح بريطانيا في المنطقة.

الخاتمة:-

اخذت الكثير من الدول في القرن العشرين تتسابق فيما بينها للاهتمام بالوثائق وجمعها ودراستها عبر انشاء دور الوثائق القومية كعنصرا هاما من عناصر الثقافة القومية ومستودعا اساسيا لادوات البحث التاريخي.

وقد ضمت دور الوثائق هذه بين محفوظاتها مجاميع كبيرة يدخل ضمن إطارها "الاوراق الشخصية".... ورغم القول ان هذه الاوراق الشخصية تمثل وجهة نظر شخصية وتتناول الاحداث من زاوية معينة وانها تتأثر ببعض الانطباعات الشخصية، الا انها في تقديري مهمة جدا. لان اصحابها قد اضفوا على الحياة على الفترة التي عاشوا فيها وراقبوها، وكشفوا بعض الجوانب الخفية منها. لذا يجب الاستفادة منها والنظر اليها بكل جدية وتقدير.

وقد توصل الباحث من خلال مراجعته لهذه الاوراق الشخصية المحفوظة في مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة اوكسفورد الى جملة من الحقائق:

اولا:

إحتفظ مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة اوكسفورد بمجموعة كبيرة من هذه الاوراق الشخصية تعود الى (٢٢٣) شخصية الى حد عام ١٩٨٣. بعضهم فارق الحياة وحول ورثتهم هذه الاوراق الى المركز وهم الاغلبية. وآخرون وهم قلة فضلوا ايداع اوراقهم وهم على قيد الحياة. ووافقوا على الاطلاع عليها من قبل الباحثين والاستدلال منها والاعتماد عليها في المقالات والابحاث... رغم ما في هذه الموافقة من اشكالات اكاديمية.

ثانيا:

من بين هذا المجموع الكلي البالغ (٢٢٣) شخصية إنفرد (٧٨) شخصا تركزت اوراقهم بشكل مباشر على حيثيات القضية الفلسطينية... واحيانا يجد الباحث صعوبة في التفريق بين اوراق الشخص الواحد لتداخل مسوؤلياته تارة في فلسطين وتارة اخرى في غيرها من الاقطار العربية. لذا صعب احيانا تصنيف صاحب هذه الاوراق او تلك. هل تحسب اوراقه مصدرا لدراسة القضية الفلسطينية، او لدراسة قضايا اخرى تخص بلدا عربيا آخرا ؟؟؟؟

ثالثا:

تفاوتت الاضابير في عدد الاوراق التي تحتويها... فأحيانا تحتوي الاضبارة الواحدة على (٤) ورقات... واضبارة اخرى تحتوي على (١٠٠) ورقه.... وكل ذلك يعتمد على المهمة او المسؤولية او المركز الذي يشغله او يحمله صاحب هذه الاوراق. وفي بعض

الاحيان يكون صاحب هذه الاوراق من الناس الذين تولــوا مســؤولية مهمة في فلسطين.... الا ان اوراقهم قليلة. الســبب فـــي ذلــك امــا لضياعها او تلفها او احتفاظ الورثة بجزء منها حرصوا علـــى عــدم نشرها.

رابعا:

تأتي الاوراق ذات الصفة الامنيـــة والعســكرية فـــي المرتبــة الاولى... لطبيعة وتداخـــل الاحــداث فـــي فلســطين اولا. ومؤهــلات واختصاص الافراد الذين تولوا ادارة الشوؤن العامة في فلسطين ثانيـــا. ثم تأتي الاوراق ذات العلاقـــة بــالارض والـــهجرة وتخطيــط المــدن والضرائب بالمرتبة الثانية. اما المسائل التعليمية والصحيـــة والدينيــة والمؤتمرات فتناولتها الاوراق الشخصية بالمرتبة الثالثة.

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في مذكرات الضباط الاحرار

أ . د . ابراهيم خليل العلاف
جامعة الموصل

لم تكن الثورة التي وقعت صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، في العراق حدثاً اعتيادياً ، بل هي نقطة تحول خطيرة ، في تاريخ العراق و الوطن العربي كله . ولم تأت هذه الثوره من فراغ ، بل جاءت ضمن سياق تاريخي في تطور المجتمع العربي، وحصيلة نضال طويل . وشاق ،من اجل التحرير والاستقلال ، والتخلص من الظلم والعبودية .[١] ولقد أكدت أدبيات حزب البعث العربي الاشتراكي ووثائقه القيمه الحقيقية لهذه الثورة ، حين وصفتها بأنها ((ثورة وطنية ، وقومية، وديمقراطية، وتقدمية في طبيعتها الاساسية ،غير ان سلطة الثورة ، ما لبثت أن انحرفت وتحولت الى نظام دكتاتوري يميني اقليمي، وان هو احتفظ بالسمات العامة للحكم الوطني)).[٢]

وفوق هذا وذاك، فهي ثورة ، أستطاعت ان تقلب موازين القوى في(منطقة الوطن العربي ودول الجوار) . كما أنها أضطرت الأمبريالية العالمية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية ، ان تعيد النظر في ترتيباتها ومخططاتها . ولقد أشار الى شيء من هذا القبيل ((اندرو تولي)) حينما قال : ((ان الثورة كانت مفاجأة مذهلة للحكومة الأميركية)) الى درجة ان ((وليم فولبرايت)) رئيس لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس الأميركي ، اقترح آنذاك،استدعاء ((ألن دالاس)) مسؤول المخابرات للتحقيق معه ، ((منعاً لكوارث مماثلة

للثورة العراقية ، على حد تعبيره ، يمكن ان تلحق الأضـــرار الفادحــة بالأمن القومي الأميركي وبأمن العالم)).[٣]

- ٢ -

حظيت الثورة بأهتمام واسع من لدن المؤرخين العراقيين والعرب والأجانب . فظهرت حولها منذ أيامها الأولى وحتى الأشهر الأخـــيرة ، ((دراسات وبحوث)) و ((كتب))[٤] . كما كتب بعض الضباط الأحـــرار مذكراتهم التي كتبوا فيها معلوماتهم وخواطرهم وذكرياتهم عن الثورة . ويمكن القول ان هذه ((المذكرات)) تتسم بالأهمية والقيمـــة العلميـــة ، كونها صادرة عن أناس كان لهم الدور الأول في صنع تأريخ الثورة من جهة ، ولهم الفضل الأول في انقاذ الجزء اليسير من المعلومات عنـــها من الضياع بتسجيلهم أياها من جهة أخرى . وسنحاول ان نلقي الضوء على بعض هذه المذكرات ، ونقارن المعلومات الواردة في بعضها مـــع المعلومات الواردة في بعضها الآخر ، وهدفنا الأجابة على سؤال مـــهم وهو : هل يمكن الأعتماد على المذكرات الشخصية لأولئك الضباط فـــي تكوين صورة واضحة عن حقيقة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وطبيعتـــها ، والى أي حد نجح الضباط الأحرار في أماطة اللثام عن تكوين ((تنظيـم)) او ((منظمة)) الضباط الأحرار ؟ واهداف هـــذا التنظيـم ووســائله ، واساليبه في أسقاط النظام الملكي وتأسيس جمهورية العـــراق . وقبـــل هذا لابد ان نقف عند اهمية (المذكرات الشـــخصية) وموقعـــها فـــي الكتابة التأريخية المعاصرة .

- ٣ -

لاينكر المؤرخون ، الدور المهم الذي تقوم به ((الميول البشـــرية والعواطف والأهواء الشخصية والنـــزوات الفردية)) فـــي التـــأريخ .

ولئن وجدنا من بين المؤرخين من يركز على ((المؤثرات الأقتصادية)) أو ((القوى الطبيعية)) أو ((الدين)) ، فأن هناك مؤرخين يذهبون الى أن ((المؤثرات الأقتصادية)) مثلآ ، وقد ظهر من بين المؤرخين من يوازن بين تأثير هذين العاملين . ومعنى هذا ان العوامل الشخصية ، باتت اليوم ، تكسب انصارآ لها من المؤرخين . ((ومما يساعد على تقدير هذه الرؤية في الحركة التأريخية ، الأطلاع على (المذكرات الشخصية) التي يكتبها بعض الرجال البارزين الذين اشتركوا في توجيه سياسة بلادهم سواء في المواقف الحاسمة ، أوفي المواقف الحرجة ، أوفي أوقات السلم والأحوال العادية . ويذكر المؤرخ المصري علي أدهم ((بأن بعض المذكرات السياسية تظهر في صورة تراجم ذابلة ، يكتبها السياسيون عن تجاربهم ، وحوادث حياتهم ، أو في صورة ذكريات وتأملات ، أو سرد تأريخي للفترة التي اسند اليهم فيها القيام بمهام الدولة، وتصريف شؤونها)) . وينقل عن المؤرخ البريطاني (كوج) قوله : ((ان التراجم الذاتية من اقرب انواع الأدب واقواها جاذبية ومعظم الناس يحبون التحدث عن انفسهم ، وما فعلوه وما حاولوا فعله)) . ومن مأثور الاقوال عند الرومان : (لن أموت موتآ كاملآ) . وهذا المثل يعكس رغبة الأنسان في ان تكون له حياة أطول من حياته المتاحة ، وهكذا تكون المذكرات او التراجم الذاتية بمثابة احتجاج انساني على حدود الزمان والمكان التي لا محيض عنها، ومحاولة لأيجاد علاقة بالمستقبل الذي لا نراه ، وهي محاولة مثيرة للعطف ومنطوية على الكبرياء في الوقت ذاته.(٥)

وثمة مسألة لابد من الأشارة إليها في هذا المجال ، وهي ان كتّاب المذكرات يحاولون تسجيل التأريخ من وجهة نظرهم الذاتية ، وبالرغم مما في هذا من عيوب ، فأن هذا التسجيل يسهم في الكشف عن ((كثير من الأسرار)) ويعين المؤرخ على ((فهم الكثير من

البواعث والنيات الكامنة وراء الحوادث التأريخية التي لايمكن ان يجدها المؤرخ في كتب التأريخ الأعتيادية)). وللمذكرات الشـخصية عيـوب اخرى، أبرزها ان كاتبها ،يجد صعوبة شديدة في التخلص من أهوائـه ونزعاته الخاصة ، فكثيراً ما نجد انه يجعـل مـن نفسـه (محـوراً) للأحداث وقد يشوب ما يرويه من الأحداث ، محاولته لتبرير أفعالـه،أو كتمان بعض الحقائق ، أو التقليل من أهميتها او الـتريث فـي روايـة بعض الأحداث ، والأضافة اليها او المبالغة في اهميتها . وقـد اشـار احدكتّاب التراجم الى عيب آخر كثيراً ما يعرض لكتاب المذكرات ، وهـذا العيب هو النسيان وخيانة الذاكرة ، ذلـك ان اكـثر المذكـرات يكتبـها اصحابها، وهم في خريف حياتهم ، وبعد انسحابهم من ميادين العمـل او السياسة وابتعادهم عن الوثائق والمراجع والأسانيد التي تؤيد رواياتهم ، وتدعم صحة حديثهم ، وقد يكون صاحب المذكـرات اميناً مخلصاً ، صادق الحديث ولكن تنقصه مع ذلك القدرة على التحليل والأسـتقصاء ، وربماكانت المذكرات التي يبذل كاتبها الجهد في الظهور بمظهر الشـاهد النزيه والقاضي العادل اشد خطـراً فـي سـوية التـاريخ ، وتضليـل المؤرخين من المذكرات التي تظهر فيـها ميـول الكـاتب ونزعاتـه ، واضحة صارخة ، فقد يتوارى التحيز الشديد وراء التظـاهر بالأمانـة والموضوعية .(٦)

ان اكثر المذكرات الشخصية دقة واقربها الى الحقيقة ، هي تلـك المذكرات التي التي يدونها صاحبها في وقت وقوع الأحداث وليس بعـد مضي وقت طويل عليها.وبديهي ان مرور الوقت ، بين كتابة المذكـرات ووقوع الأحداث ، ليس كافياً للقضاء على نـوازع صـاحب المذكـرات ومنافعه وعواطفه ، وكما ان للكتابة الآنية عن الأحداث بعـد وقوعـها حسنات ، فان هناك سيئات ، فالأنطبـاع الأول عـن الحـادث او عـن الشخص ليس بالضرورة هو الأنطباع الصحيح ، ففي غمـرة ممارسـة

السياسة اليومية او الحدث اليومي كثيراً ما يؤدي تركيز الملاحظة على الأشخاص والجزيئات والحوادث الآنية الى عدم رؤية الصورة العامة التي تشكلها الجزيئات والى عدم الألتفات الى المعنى الصحيح والأعمق للحوادث وسلوك الأشخاص فيها .[٧]

ومهما يكن من امر ، فان المؤرخ لايمكن ان يغفل اهمية المذكرات الشخصية وقيمتها عندما يروم (اعادة تشكيل الحدث التاريخي كما وقع بالضبط)، ولكن لابد له ان يقارن ويوازن بين المعلومات الواردة فيها والمعلومات التي يجدها في المصادر الأخرى ومنها الوثائق والكتب والصحف وما شاكل .

- ٤ -

ان من اقدم الذين نشرت مذكراتهم عن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، الرئيس العراقي الراحل عبد السلام محمد عارف [٨] ، اما احدث من نشر مذكرات فهو جاسم كاظم العزاوي[٩] . والجدول التالي يبين اسماء بعض الضباط الأحرار الذين نشروا مذكراتهم العسكرية وعناوين مذكراتهم وتواريخ نشرها وأماكنها .[١٠]

ت	اسم الضابط الحر	رتبته العسكرية	عنوان كتابه-مذكراته	مكان الطبع	سنة الطبع
١.	عبد السلام محمد عارف	عقيد ركن	مذكرات الرئيس الراحل عبد السلام عارف	بغداد	١٩٦٧
٢.	صبيح علي غالب	عقيد ركن	قصة ثورة ١٤ تموز والضباط الأحرار	بيروت	١٩٦٨
٣.	محسن حسين الحبيب	عقيد ركن	حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق	بيروت	١٩٨١
٤.	عبد الكريم فرحان	مقدم ركن	ثورة ١٤ تموز في العراق	بيروت	؟
٥.	صبحي عبد الحميد	رئيس ركن(رائد)	اسرار ثورة ١٤ تموز البداية-التنظيم-التنفيذ-الأنحراف	بغداد	١٩٨٣
٦.	جاسم كاظم العزاوي	رئيس ركن	ثورة ١٤ تموز: اسرارها-احداثها-حتى نهاية عبد الكريم قاسم	بغداد	١٩٩٠

يتضح من الجدول ان اربعة من الضباط الأحرار الذين كتبوا مذكراتهم كانوا اعضاء في اللجنة العليا لتنظيم الضباط الأحرار وهم :
١. عبد السلام محمد عارف ٢. صبيح علي غالب ٣. محسن حسين الحبيب ٤. عبد الكريم فرحان .كما ان اثنين من اصحاب المذكرات وهما : صبحي عبد الحميد ، وجاسم كاظم العزاوي ، كانا من اعضاء (اللجنة الوسطية) او (اللجنة البديلة) . فهل ان ما كتبه بعض الضباط الأحرار يمثل كل الحقيقة عن التنظيم ؟ والجواب بالنفي ، ذلك ان هناك اشخاص كان لهم دورهم الفاعل في صنع الحدث، لايزالون صامتين ، كما ان البعض ممن اسهم في التخطيط للثورة او تنفيذها قد اصبح في ذمة الخلود ، وثمة كتابات او ذكريات اخرى قدمها بعض الضباط الأحرار من خلال قنوات ووسائل عديدة منها (الندوة) التي نظمتها مجلة آفاق عربية ونشرت في كتاب حمل عنوان : (الذاكرة التأريخية لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨) وطبع ببغداد سنة ١٩٨٧ او في المقابلات الشخصية التي اجراها مؤرخون او طلبة دراسات عليا ، كما حدث عندما ألف الدكتور المرحوم فاضل حسن كتابه ((سقوط النظام الملكي في العراق)) ومن قبله الدكتور مجيد قدوري في كتابه ((العراق الجمهوري)) ومن بعدهما ليث عبد الحسن الزبيدي الذي قدم رسالته للماجستير بعنوان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق) .[١١] كما يمكن عد ما اصدره (العميد المتقاعد) خليل ابراهيم حسن ، وهو من الضباط الأحرار (من اعضاء اللجنة او الحلقة الوسطية) بعنوان : (موسوعة ١٤ تموز) ، من قبيل المذكرات الشخصية ، نظراً لأهمية ما تضمنته من معلومات وحقائق عن الثورة ، وان لم تأخذ شكل المذكرات الشخصية .[١٢]

لقد تضمنت المذكرات الشخصية للضباط الأحرار التـــي اعتمدنـــا عليها متابعة لقضايا عديدة ، لها صلة بالتفكير بالثورة ، والتخطيط لها، ومن ثم تنفيذها .[١٣] ومن ابرز هذه القضايا :

١ . بداية التنظيم
٢ . مؤسس التنظيم
٣ . عدد اعضاء اللجنة العليا
٤ . اللجنة البديلة
٥ . انضمام عبد الكريم قاسم
٦ . انضمام عبد السلام عارف
٧ . اهداف الثورة
٨ . اسباب قيام الثورة
٩ . مجلس قيادة الثورة
١٠ . العلاقة مع الأحزاب السياسية
١١ . البيان الأول
١٢ . شكل الحكم بعد الثورة
١٣ . زمن تنفيذ الثورة
١٤ . العلاقة مع الأنكليز

ففيما يتعلق ببداية التنظيم ، يتفق كل الضباط الأحرار على ان سـنة ١٩٥٢ كانت المحطة الأولى في ظهور اول خلية في الجيـش العراقـي اخذت على عاتقها العمل من اجل اسقاط النظام الملكـي . يقـول عبـد السلام محمد عارف : ان عام ١٩٥٢ جاء يحمل معه بشـائر التحـرر العربي على ارض مصر حين قامت الثورة التي كـانت محفـزة لبـاقي المخلصين ، فقد اخذ الأحساس يسري داخل صفوف الجيش في العراق، ومفاده ان ابناء الجيش هم من ابناء الشعب وعليهم دور طليعي لابد ان

يؤدوه .[١٤] اما صبيح علي غالب فيذكر : بأن المقدم رجب عبد المجيد فاتحه في اواخر ١٩٥٢ وتحدث معه عن ((جهود رفعت الحاج سري في جمع عدد من الضباط الذين يثق بهم في منظمة سرية ثورية تعمل على قلب نظام الحكم)) .[١٥] ويذهب محسن حسن الحبيب الى ان بعض الضباط بدأوا ((يفكرون في هذا الأمر ، وكان لنجاح ثورة ٢٣ يوليو–تموز في مصر اثر كبير في تفكيرهم ، وفي اندفاعهم للتهيئة للثورة)) ويضيف : ((بدأ التفكير الجدي في هذه القضية عام ١٩٥٢ من قبل بعض الضباط)) [١٦] ويشير عبد الكريم فرحان الى ان عام ١٩٥٢ لم يكن ينتهي حتى بدأت الأجتماعات تعقد هنا وهناك بين الأصدقاء ورفاق سلاح تقاربت اعمارهم فدار حوار طويل ثم تألفت اول خلية في الجيش العراقي ... وهكذا بدأ تنظيم الضباط الأحرار الذي اقتصر على الأصدقاء في اول الأمر ، ومضى ... يسير بأناة وبطء وحذر .[١٧]

اما صبحي عبد الحميد فيقول : ((بأن منظمة الضباط الأحرار انبثقت في شهر ايلول عام ١٩٥٢ ، وينقل عن رجب عبد المجيد قوله ((انه تفاتح مع المرحوم رفعت في موضوع اقامة تنظيم سري عسكري بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر مباشرة)) .[١٨] ويذكر جاسم كاظم العزاوي ((بأن منظمة الضباط الأحرار ... انبثقت وبسرعة ... في ثكنة الهندسة العسكرية بمعسكر الرشيد ... وكان ذلك في شهر تشرين الأول عام ١٩٥٢ .[١٩]

واتفق كل اصحاب المذكرات الشخصية من الضباط الأحرار على ان المقدم رفعت الحاج سري هو ابو التنظيم ... وان انشاء التنظيم كان بمبادرة شخصية منه ، لكن هذا الاتفاق في الرأي حول ريادة رفعت الحاج سري لم يمنع البعض من اصحاب المذكرات القول بوجود اكثر من كتلة تعمل من اجل الأطاحة بالحكم الملكي .. فعبد السلام عارف

يشير الى وجود كتلتين للضباط الأحرار ، وان الهيئـــة العليـــا لتنظيـم الضباط الأحرار تشكلت من اندماج الكتلتين . ويضيـــف ((ان الضبــاط الأحرار وجدوا بان مجرد قيام كتلتين او تشكيلين داخل الجيـــش يــهدد سلامة أي عمل يقوم به أي منهما .. وفي نفس الوقت تشتيت للجـــهد واضاعة للوقت)) .[٢٠] اما صبيح علي غالب فيؤكد وجود عدة خلايـــا للضباط الأحرار داخل صفوف الجيش ، ولكنه يقول : بـــان التنظيميـــن الرئيسيين هما التنظيم الذي كان يقوده الزعيم العميد الركن عبد الكريــم قاسم والتنظيم الذي كان يقوده المقدم رفعت الحاج سري ، وان اتفاقـــاً تمت مناقشته في احد اجتماعات كتلة المقدم رفعت ينص على مفاتحـــة عبد الكريم قاسم على الأنضمام الى كتلة رفعت الحاج سري ، وكان ذلك في اوائل آذار سنة ١٩٥٦ .[٢١]

وبشأن اللجنة العليا فقد ذكر اصحاب المذكرات بأنها بدأت بثمانية ضباط ثم اتسعت لتصبح في فترة ما قبل تفجير الثورة مؤلفة مـــن (١٥) عضواً . يذكر محسن حسين الحبيب بـــأن (اللجنـــة العليـــا للضبـــاط الأحرار) تشكلت في كانون الأول عام ١٩٥٦ على النحو التالي :

١ . العقيد الركن محي الدين عبد الحميد
٢ . العقيد الركن ناجي طالب
٣ . العقيد الركن محسن حسين الحبيب
٤ . المقدم المهندس رجب عبد المجيد
٥ . المقدم وصفي طاهر
٦ . المقدم الركن عبد الكريم فرحان
٧ . الرئيس الاول الركن صبيح علي غالب
٨ . الرئيس الاول الطيار المتقاعد محمد سبع [٢٢]

ولقد اقترح المقدم رجب ، ان يضم المقدم رفعت الحاج سري الى اللجنة رغم انه لم يحضر الاجتماع لانه نقل خارج بغداد ، فتمت الموافقة على الاقتراح بالاجماع [٢٣] .

وقبيل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، بقليل اصبح عدد اعضاء اللجنة العليا (١٥) خمسة عشر ضابطا وهم :

١- الزعيم العميد الركن عبد الكريم قاسم
٢- العقيد الركن عبد السلام عارف
٣- العقيد الركن محي الدين عبد الحميد
٤- االعقيد الركن ناجي طالب
٥- العقيد الركن محسن حسن الحبيب
٦- العقيد الركن عبد الوهاب الامين
٧- العقيد الركن عبد الوهاب الشواف
٨- العقيد الركن صبيح علي غالب
٩ - العقيد المهندس رجب عبد المجيد
١٠- العقيد طاهر يحيى
١١- العقيد عبد الرحمن عارف
١٢ -المقدم الركن عبد الكريم فرحان
١٣- المقدم وصفي طاهر
١٤- المقدم رفعت الحاج سري
١٥- الرائد الطيار المتقاعد محمد سبع [٢٤]

يقول عبد السلام عارف ان الهيئة العليا تشكلت بعد دمج االكتلتين المشار اليهما اعلاه من : رفعت الحاج سري ، ناجي طالب ، محمد سبع ، طاهر يحيى ، عبد الوهاب الامين ، عبد الكريم فرحان ، رجب عبد المجيد ، محيي الدين عبد الحميد ، عبد الوهاب الشواف ، محسن حسن الحبيب ، صبيح علي غالب ، وصفي طاهر ، عبد الكريم

قاسم ، عبد السلام عارف . ويتضح من القائمة انه اسقط اسم شـــقيقه عبد الرحمن عارف مع العلم انه يشير الـــى حضــوره اجتمـــاع دمـــج الكتلتين [٢٥] . اما محسن حسن الحبيب فيسقط اسم العقيد الركـــن عبـــد الوهاب الشواف [٢٦] . ويورد عبد الكريم فرحان اسماء عشـــرة مـــن الضباط قال عنهم بأن اللجنة العليا تألفت في اول الامر منـــهم وهـــم : محيي الدين عبد الحميد ، وناجي طالب ، ومحسن حسن الحبيب ، وعبد الوهاب الامين ، ورجب عبد المجيد ، ورفعت الحـــاج ســـري ، وعبـــد الكريم فرحان ، ووصفي طاهر ، وصبيح علي غالب، ومحمد سبع ثـــم انضم عبد الكريم قاسم وعبدالسلام عارف وطاهر يحيى وعبد الرحمـــن عارف الى الهيئة العليا . اما بشأن العضو الخامس عشـــر وهـــو عبـــد الوهاب الشواف فيقول عبد الكريم فرحان " بأن نشاطه قد جمـــد فـــألف كتلة من الضباط عرفت بأندفاعها وعدم تقيدها والتزامها[٢٧] " . ويذكـــر جاسم كاظم العزاوي في مذكراته(ان عبد الوهاب الشواف قد ادخل الـــى عضوية اللجنة العليا في وقت متأخر جدآ وبعد محاولة فاشـــلة لتفجـــير الثورة يوم ١١ آيار ١٩٥٨ لكبح اندفاعاته[٢٨]) .

وبصدد انضمام عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف فأن هنـــاك اتفاقآ على انهما دخلا الهيئة العليا في تشـــرين الثـــاني ١٩٥٧ ، وان اللجنة العليا بقيادة رفعت الحاج سري اقترحت ضم عبد الكريـــم قاســـم لكونه احد امراء تشكيل قتالي مهم وانضمامه يؤدي الى توسع الحركـــة وقد يعجل في تنفيذ خطة الثورة ... وقد تعهد وصفي طاهر بمفاتحتـــه . اما عبد السلام عارف فقد احضره قاسم الى احـــد الأجتماعـــات خلافـــآ للأتفاق الذي كان سائدآ بين الضباط الأحرار والقائم على عدم انضمـــام أي عضو جديد الى الحركة ما لم يطرح اسمه من قبل الأعضاء وعلـــى ان يجري قبوله بأجماع الآراء ويخبر بذلك بواسطة العضو الذي رشـــحه وقد ساد الأجتماع الذي احضر فيه قاسم، عبد السلام عارف جـــو مـــن

الوجوم ، لذلك اخذ قاسم يمدح عارف ويزكيه للأنضمام الى الهيئة العليا ويبدي ثقته فيه فقبل طلبه وجرت عملية أدائه اليمين[٣٠] .

تحدث عدد من الضباط عن (اللجنة البديلة) واطلــق عليـها البعض منهم (اللجنة الوسطية) او (اللجنة العليا البديلة) . فقد اشـار محسن حسين الحبيب الى ان بعضا من ضباط الركـن الذيـن تخرجـوا حديثا من كلية الاركان قد انضموا الى الحركة ... ومن هؤلاء الضبــاط الرئيس الاول الركن صبحي عبد الحميد ، والرئيس الاول الركن جاسـم كاظم العزاوي ، والرئيس الركن صالح مــهدي عمـاش. وفـي احـد اجتماعات اللجنة العليا تقرر " ان تشكل من هؤلاء الضباط لجنــة عليـا بديلة (احتياطية) تقوم هي بأتمام العمل فيما اذا حصل ما يمنع اللجنـة العليا الاصلية من ذلك ، ولانهم كانوا جميعا في بغداد مما يسهل عليـهم الاجتماع والتشاور[٣١] " .

ويذكر صبحي عبد الحميد ان عبد السلام عارف اخبر عددا مـن اعضاء اللجنة البديلة بوجود خلافات بين اعضاء اللجنة العليــا حـول موعد الثورة ، وان اللجنة العليا قد قررت حل نفسها ، وانه اتفق مـع عبد الكريم قاسم على تأليف لجنة جديدة يشترك فيها اعضاء من الحلقة الوسطية وكتلة الشواف – رفعت ، لكن رجب عبد المجيـد نفـى حـل اللجنة العليا . ويضيف صبحي عبد المجيد الى ذلك قوله ان عبد السلام عارف اجتمع مع عدد من ضباط الحلقــة البديلـة فـي ١٢ حزيـران ١٩٥٨ ، واتفق الجميع على تأليف لجنة جديدة تأخذ على عاتقها تفجـير الثورة

وذلك على النحو التالي :

عبد الكريم قاسم ، عبد السلام عارف ، عبد الوهاب الشـواف ، رفعت الحاج سري ، وثلاثة اعضاء من الحلقة الوسطية . وقـد ثبتـت هذه اللجنة الأهداف العامة للثورة ، وخطة التنفيذ وموعــده . ويـورد

صبحي عبد الحميد تفاصيل الأهداف والخطة التي وضعها عدد من اعضاء اللجنة الوسطية وسلمت الى عبد السلام عارف الذي درسها وقال بأن (تفكير عبد الكريم قاسم منسجم معها ...) . وفي اواخر حزيران ١٩٥٨ ، يقول صبحي عبد الحميد، ان عبد السلام عارف اخبرهم بصدور الأوامر بتحرك اللواء العشرين الى الأردن في اواسط شهر تموز وانه اتفق مع عبد الكريم قاسم على استغلال هذه الفرصة وتنفيذ الثورة) . ويضيف صبحي عبد الحميد الى ان عبد السلام عارف اجتمع يوم ١٠ تموز مع عدد من اعضاء الحلقة الوسطية الموجودين في بغداد ، ومنهم جاسم كاظم العزاوي ومحمد مجيد وعبد الستار عبد اللطيف ، وابلغهم بتفاصيل الخطة ووزع عليهم الواجبات ، وطلب منهم ان يقسموا على ان لايخبروا أي شخص غيرهم بالثورة ما عدا ضباط خلاياهم ، وهؤلاء يجب تبليغهم ليلة ١٤/١٣ تموز . ولقد رجوه ان يخبر اعضاء اللجنة العليا ... فلم يوافق[٣٢]).

تحدث الضباط الأحرار في مذكراتهم عن اهداف الثورة ، وقال بعضهم ان اللجنة العليا لم تكن قد سطرت هذه الأهداف بتفاصيل وافية ، فكل ما حدث انهم ركزوا في عدد من اجتماعاتهم على نقاط قليلة ابرزها ان يعملوا على اسقاط النظام الملكي القائم بأية وسيلة كانت ، واقامة النظام الجمهوري المبنى على اساس الديمقراطية البرلمانية وضمان الحرية وتحقيق المصالح الوطنية واحترام حقوق الانسان العالمية . لكن عبد السلام عارف يورد في مذكراته برنامجا كانت الثورة تريد تحقيقه ويتضمن خمس نقاط هي :

١-تصفية القواعد الرجعية والاستعمارية

٢- تدعيم الجيش

٣- ارساء القواعد التي تمكن الشعب من ان يحكم نفسه بنفسه

٤- تحقيق الاصلاح الزراعي

٥- اعلان الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة [٣٣]

اما محسن حسن الحبيب فيلخص اهداف الثورة بأنها العمل على الغاء النظام الملكي ، والقضاء على الاقطاع ، والتقارب مع الجمهورية العربية المتحدة ، والخروج من حلف بغداد، واتباع سياسة الحياد الايجابي . ويعترف بأن اللجنة العليا لم تدخل في يفاصيل النقاش حول الاهداف ولا في كيفية تنفيذها . بل وكان للبعض رأيهم الخاص حول قسم منه ولكن الاكثرية كانت متفقة على تلك الاهداف الرئيسة [٣٤] .

اما عن اسباب قيام الثورة فيتفق اصحاب المذكرات بانها ترجع الى ظروف العراق السيئة ، وفشل ثورة ١٩٤١ ضد الانكليز والسلطة الحاكمة وما حصل في فلسطين سنة ١٩٤٨ ، ثم قدرة الضباط الاحرار في مصر سنة ١٩٥٢ على اسقاط حكم الملك فاروق . ويضيف البعض الى ذلك عجز الاحزاب السياسية في العراق عن ان تحقق المطالب الوطنية والاماني القومية [٣٥] .

وبشأن تشكيل مجلس قيادة الثورة ، فان هناك اتفاقاً بين الضباط الأحرار الذين كتبوا مذكراتهم واشاروا الى ان الشكل الذي تصورته اللجنة العليا للوضع السياسي في العراق بعد نجاح الثورة كان يقوم على اساس نقطتين مهمتين أولاهما: تشكيل مجلس قيادة الثورة من اعضاء اللجنة العليا ليتولى مهام السلطة التشريعية ريثما يتم اجراء انتخابات نيابية . وثانيهما: تأليف مجلس للسيادة يتولى مهمة رئيس الجمهورية ويكون ذلك بصورة مؤقتة الى ان يتفق على اجراء انتخاب رئيس للجمهورية [٣٦] . ويشير البعض الى ان الضباط الأحرار اتفقوا على ان لايدخل أي ضابط كوزير في الحكومة المدنية التي ستتألف بعد نجاح الثورة ، ويشرف عليها مجلس قيادة الثورة ، وانه بعد انتهاء فترة الأنتقال يعود اعضاء مجلس قيادة الثورة الى ثكناتهم ومن يريد الأشتغال بالسياسة عليه ان يستقيل من الجيش واتفق اعضاء

اللجنة العليا على التخلص من عبد الأله ونوري السعيد والملك فيصل الثاني[٣٧] .

كان هناك اتصال بين الضباط الأحرار والأحزاب السياسية السرية والعلنية . وقد اكد معضم اصحاب المذكرات على وجود ذلك الأتصال وقالوا : ان اللجنة العليا بعد تشكيلها اختارت رجب عبد المجيد سكرتيراً لها وخولته الحق في الأتصال بالساسة المدنيين[٣٨] .

اما البيان الأول للثورة ، فقد وضع عبد السلام عارف مسودته وقام عبد الكريم قاسم بتصحيح المسودة[٣٩] .

ويذكر جاسم كاظم العزاوي انه لم يظهر أي دليل على انفراد احدهما بوضع صيغة البيان الأول[٤٠]. وبصدد القضية المتعلقة بزمن تنفيذ الثورة ، فلقد اكد صبحي عبد الحميد ان اللجنة العليا درست ذلك اكثر من مرة ، وجرت محاولات عديدة للتنفيذ لكنها فشلت لاسباب مختلفة ، وكانت الفكرة الرئيسة التي يدور حولها النقاش تقوم على اساس انتهاز فرصة مرور احد الالوية العسكرية المؤيدة للضباط الاحرار ببغداد . وقد اخبر عبد السلام عارف ضباط الحلقة الوسطية في أواخر حزيران سنة ١٩٥٨ على انه قد اتفق مع عبد الكريم قاسم على اسغلال فرصة تحرك اللواء العشرين ، وكان يعمل امرا لاحد افواجه ، الى الاردن في اواسط تموز لتنفيذ الثورة [٤١] . ويعقب صبحي عبد الحميد على ذلك قائلا: يبدو ان عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم قررا الانفراد بالتنفيذ ومن ثم الحكم فيما بعد[٤٢] . اما عبد الكريم فرحان فقد اشار الى ان " عبد الكريم قاسم ، وعبد السلام عارف تعمدا عدم اخبار اللجنة العليا بعزم اللواء العشرين على احتلال بغداد ... واصرا على كتمان الامر ... لذلك توزعت المناصب الخطيرة والمراكز القيادية المهمة بين الاثنين " بعد نجاح الثورة " وعبد الكريم قاسم اصبح رئيسا للوزراء وقائدا عاما للقوات المسلحة ووزيراً للدفاع وعبد

السلام غدا نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية ونائبا للقائد العـــام ... لقد انتصرا ومن حق المنتصر ان يستولي على الغنائم دون منـــــازع !! وغاب عن ذهننا ان الثورة حصيلة جهد طويل وكفاح دائم وعمل دؤوب استغرق عدة سنوات[٤٣] " . وحين طلب من عبد السلام عارف تشـــكيل مجلس قيادة الثورة قال بالحرف الواحد : (كيف نعمل مجلس قيادة مـــن الضباط الذين كانوا نائمين بجوار زوجاتهم حين نفذنـــــا الثـــورة ، واذا اصروا على تشكيل مجلس قيادة الثورة أُشكله من ضباط فوجي الثــالث في اللواء العشرين امثال المقدم فاضل محمد علي والرائد بهجت سـعيد. ولما تحرج موقف عبد السلام عارف مع عبد الكريم قاسم بعد ذلك دعـــا الى تأليف مجلس قيادة الثورة ولكن بعد فوات الأوان[٤٤]) .

تبقى قضية مهمة وهي ما قيل عن وجود علاقة للأنكليز بالثورة، ومن خلال قراءة مذكرات الضباط الأحرار لم نجد اية اشارة او تلميـــح لوجود مثل هذه العلاقة[٤٥] .

- ٦ -

في ضوء المبادىء التي قررتها اللجنة العليـــا منـــذ تأسيســـها ، وابرزها عدم استعمال الكتابة والأعتماد على الكلام الشفهي، وفي ضوء عدم توفر معلومات تفصيلية مدونة عن تشـــكيلات الضبـــاط الأحـــرار وانظمتها الداخلية ، تشكل المذكرات الشخصية التي كتبها بعض الضبـاط الأحرار ، سواءً كانوا من اعضاء اللجنة العليـــا او اللجنـــة البديلـــة ، مصادر اولية لايمكن لأي مؤرخ تجاهلها لأي سبب من الأسباب، فلـــولا ما ورد فيها من معلومات لضاعت الكثير من الحقائق المتعلقـــة بفـــترة التحضير للثورة او ما بعدها . ومع هــــذا تقتضـــي متطلبـــات البحـث التأريخي أخذ المعلومات التي توردها المذكرات الشخصية بنـــوع مـــن الحذر والسعي بأستمرار لمقارنتها مع غيرها من المعلومات الموجـــودة

في وثائق ومصادر أخرى ومنها مثلاً وثـــائق وزارة الدفـــاع ووثـــائق مديرية الأمن العامة . كما ان ما اورده عدد من الضباط الأحـــرار مـــن خلال المقابلات الشخصية مع الباحثين ، او في ندوة آفاق عربية يعـــد مصدراً مهماً ، يمكن الوثوق به بعد تدقيقه ومقارنته مـــع اكـــثر مـــن مصدر واحد . وبهذه المناسبة ندعو الضباط الأحرار الذين لايزال عـــدد منهم على قيد الحياة ، الى الأسراع بكتابـــة مذكراتـــهم او الأدلاء بمـــا لديهم من معلومات عن الثورة وملابساتها ، وعلى الضباط الذين قـــرروا التزام الصمت، الخروج عن صمتهم والأسهام مع زملائهم ورفاقهم فـــي السلاح ، في حركة التأريخ لهذا الحدث المهم ، فما لديهم من معلومـــات ليست ملكهم وحدهم بل ملك الأجيال والكتابة في هذا الموضـــوع ليـــس ضرورة علمية بحته ، بل ضرورة وطنية قومية .

- ٧ -

لقد كشفت لنا المذكرات الشخصية للضباط الأحـــرار جملـــة مـــن الحقائق لعل من ابرزها ما يلي :

١. ان التشابه او الأختلاف في رواية او وصف بعض الأحداث يعود الى درجة اسهام صاحب المذكرات في الحدث او قربه من مصدر القرار.
٢ .ان المذكرات عكست لنا شخصية قادة الثورة ورأي بعضهم بـــالبعض الآخر ، فمع ان الكل اتفق على ان رفعـــت الحـــاج ســـري ، هـــو مؤسس الحركة وأبوها الروحي حتى انهم وصفوه بالشيخ ، فـــان هناك عدداً من الضباط اعطوا آراء مختلفة معظمها سلبي حـــول شخصية كل من عبد الكريم قاسم وعبد السلام .

الهوامش

١- للتفاصيل انظر : ابراهيم خليل احمد ، ((ثـــورة ١٤ تمــوز ١٩٥٨فــي كتابات المؤلفين والمؤرخين العراقيين))، مجلة آفاق عربية ، بغداد ، ١ سنة (٢١) ، العدد ٧ – ٨ ، تموز آب ١٩٩٦ ، ص س ١٢ - ١٧

٢- حزب البعث العربي الأشتراكي ، القطـر العراقـي ، التقريـر السياسـي للمؤتمر القطري الثاني ، كانون الثاني ١٩٧٤ ، (بغداد ، ١٩٧٤) ، ص ١٢ .

٣- انظر : اندرو تولي ، الجاسوسـية الأمريكيـة ، (دمشـق ، لا. ث) ، ص ص ١٠٦ - ١٠٧

٤- ولعل من اقدم ما كتب حولـها كتـاب : ((ثـورة العـراق)) لمؤلفـة (كاركتاكوس) وهو اسم مستعار لصحفي بريطاني كان يراسـل صحيفـة ((الأويزرفر)) البريطانية وكتابه هذا الذي ترجمه خيري حماد ونشر فـي بيروت بعد اندلاع الثورة بوقت قصير . انظر : كاركتاكوس ، ١٤ تمـوز ثورة العراق، منشورات المكتب العالمي للتأليف والترجمة ، (بـيروت ، ١٩٥٨) ، ص ٨ . وبعد بضعة اشهر من اندلاع الثـورة نشـر حسـين جميل ، السياسي والمحامي العراقي المعروف كتابه : ((العراق الجديد)) والكتاب بالأصل محاضرة القيت بالأنكليزية في نيودلهي (الـهند) حيـث كان يعمل سفيراً للعراق هناك بتاريخ ٢٩ ايلول ١٩٥٨ .

٥- اعتمدنا في كتابة هذه الفقرة بشكل رئيسي على مقال علي ادهم الموسوم ((المذكرات السياسية وكتابة التاريخ)) ، المنشور في مجلة الـهلال ، القاهرة ، مايو – آيار ١٩٦٤ ، ص ص ٤٥ - ٥٢

٦- المصدر نفسه ، ص ص ٤٧ - ٤٦

٧- خلدون ساطع الحصري ، مقدمة في تاريخ العراق الحديث ، في : طه الهاشمي، مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩ - ١٩٤٣ ، (بيروت ، ١٩٦٧) ص ص ١٥ - ١٦

٨- نشرت مجلة روز اليوسف (المصرية) مذكرات عبد السلام محمد عارف في اعدادها ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢، ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، الصادرة في شهري مايس وحزيران ١٩٦٦ وقد تولى الصحفي المصري(علي منير) اخراج هذه المذكرات في كتاب طبع ببغداد سنة ١٩٦٧ بعنوان : مذكرات الرئيس الراحل عبد السلام عارف (توفي في حادث طائرة يوم ١٤ نيسان ١٩٦٦) . وقد ذكر الصحفي علي منير (ص ٤) ان عبد السلام عارف كان يملي عليه اجزاء من مذكراته وبعد وفاة عارف بدأ بتجميع الأوراق الخاصة التي كتب عليها عبد السلام عارف ملاحظاته وافكاره وهكذا اكمل علي منير المذكرات ونشرها ضمن الخطوط العريضة التي رسمها عارف (ص ٥)

٩- صدرت مذكرات جاسم كاظم العزاوي بمقدمة وضعها الدكتور جعفر عباس حمدي بعنوان : ((مدخل تاريخي : الجيش العراقي ودوره في المعركةالوطنية والقومية حتى ١٤ تموز ١٩٥٨)) . اشار فيها الى ان العزاوي دون مذكراته في فترة قريبة بعد الثورة، ثم اضاف اليها فيما بعد معلومات جديدة واهميتها تكمن في ان صاحبها رافق تنظيم الضباط الأحرار منذ نشأته، واسهم في نجاح الثورة مساهمة فعلية ورافق احداثها من خلال عمله سكرتيرآ عامآ لوزارة الدفاع ولصلته المباشرة وقربه من عبد الكريم قاسم فقد كان على اطلاع واسع بكل الاسرار السياسية والعسكرية وحتى الشخصية لقاسم حتى يوم سقوطه اثر ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ . انظر جاسم كاظم العزاوي ، ثورة ١٤ تموز ،

اسرارها ، احداثها ، رجالها حتى نهاية عبد الكريم قاسم ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص ٢١ .

١٠- نشر اسماعيل العارف مذكرات بعنوان "اسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق" في لندن سنة ١٩٨٦ ولم ندرجها ضمن البحث لاسباب عديدة اننا لم نطلع عليها اطلاعا تفصيليا وكاملا لعدم توفرها لدينا حين كتابة البحث .

١١- للتفاصيل انظر : مجيد خدوري، العراق الجمهوري ، (بيروت ، ١٩٧٤) ، فاضل حسين ، سقوط النظام الملكي في العراق، (القاهرة ، ١٩٧٤)، جعفر عباس حميدي ، التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق (١٩٥٣ – ١٩٥٨) ، (بغداد ، ١٩٨٠)، ليث عبد الحسين الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر ، (الموصل ، ١٩٨٩) ، محمدكاظم علي العراق في عهد عبد الكريم قاسم ١٩٥٨ – ١٩٦٣ ، (بغداد ، ١٩٨٩) .

١٢- فصدر ببغداد الجزء الاول من موسوعة ١٤ تموز بعنوان " ثورة الشواف في الموصل ١٩٥٩ " سنة ١٩٨٧ اما الجزء السابع فقد صدر سنة ١٩٩٠ بعنوان "اللغز المحير : عبد الكريم قاسم : صعود " واهمية ما كتبه الاستاذ خليل ابراهيم حسين ترجع الى انه من الضباط الاحرار و(الحلقة الوسطية) وعمل معاوناً لأمر الاستخبارات العسكرية المرحوم رفعت الحاج سري هذا فضلا عن امتلاكه لكثير من الاسرار والوثائق التي تجعل منه مؤرخا ودارسا له في الوقت نفسه ونأمل ان يواصل انجاز موسوعته واصدارها لكي تكون بأيدي الباحثين والمؤرخين " .

١٣- فيما يتعلق بذكريات عبد الكريم قاسم وانطباعاته من الثورة ، ضمن الممكن الرجوع اليها من خلال الكتب والكراريس التي صدرت ابان حكمه

١٩٥٨ - ١٩٦٣ ، وبعنوان : "مباديء ثورة ١٤ تموز في خطب ابن الشعب البار" او "مباديء ثورة ١٤ تموز في خطب الزعيم" . وحول انطباعات وذكريات الضباط الاحرار الذين لم يصدروا مذكراتهم بعد ، يمكن متابعتها من خلال المصادر التالية :

١- مجيد خدوري ، العراق الجمهوري ، حيث تيسرت له فرصة اجراء مقابلات شخصية عديدة من معظم الضباط الاحرار منذ وقت مبكر من اندلاع الثورة.

٢- فاضل حسين ، سقوط النظام الملكي في العراق ، حيث اجرى مقابلات مع عدد من الضباط الاحرار وخاصة من ضباط اللجنة العليا والوسطية وابرزهم (ناجي طالب) و (عبد اللطيف الدراجي) و (جاسم كاظم العزاوي) و (رجب عبد المجيد) .

٣- ليث عبد الحسن الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، حيث اجرى مقابلات شخصية مع (٨) ضباط من اللجنة العليا وهم (رجب عبد المجيد وناجي طالب ومحيي الدين عبد الحميد ومحسن حسين الحبيب وعبد الكريم فرحان وصبيح علي غالب ومحمد سبع) و(٥) من ضباط اللجنة الوسطية وهم (جاسم كاظم العزاوي ، وشمس الدين عبد الله، ونعمان فاهر الكنعاني ، وطه ياسين الدوري ، ومحمد علي سعيد) .

٤- وزارة الدفاع ، محاكمات المحكمة العسكرية العليا (الخاصة ، محاضر الجلسات التي عقدتها المحكمة ، ٢٢ جزءا ، مطبعة الحكومة ، بغداد وابرزها الجزء الخاص بمحاكمة عبد السلام عارف ، اللجنة السرية الخاصة للمحكمة العسكرية العليا والخاصة المنعقدة بين ٢٧ كانون الاول ١٩٥٨ و ٥ شباط ١٩٥٩)

١٤- انظر : مذكرات الرئيس الراحل عبد السلام عارف ، ص٢٣ ويقول في النص " في عام ١٩٥٢ بالذات كانت بداية العمل الجدي " .

١٥- انظر : صبيح علي غالب، قصة ثورة ١٤ تموز والضباط الاحرار ، ط٢، (بغداد ، ١٩٧١) ، ص٢٧

١٦- انظر : محسن حسين الحبيب ، حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق ، المبحث المعنون (بدأ العمل) ص٤٨

١٧- انظر : عبد الكريم فرحان ، ثورة ١٤ تموز في العراق ، ص٤١

١٨- انظر : صبحي عبد الحميد ، اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، ص٢٧- ص٢٨

١٩- انظر : جاسم كاظم العزاوي ، ثورة ١٤ تموز ، ص٣٦

٢٠- انظر : مذكرات الرئيس الراحل عبد السلام عارف ، ص٣٥

٢١- انظر : صبيح علي غالب ، قصة ثورة ١٤ تموز والضباط الاحرار ، ص٤٦ وثمة مصادر اخرى تشير الى وجود عدة تنظيمات منها تنظيم المنصور ويرأسه عبد الكريم قاسم وتنظيم بغداد ويرئسه محيي الدين عبد الحميد وتنظيم الموصل ويرئسه محمود عزيز (المقدم الركن) وتنظيم شيوعي في الديوانية واخر في الناصرية ... الخ . انظر : الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٤- ١٢٦ .

٢٢- انظر : محسن حسين الحبيب ، حقائق عن ثورة ١٤ في العراق ، ص٥١ ويقول ان اول اجتماع لهذه اللجنة عقد في دار الرئيس الاول (الرائد) الطيار المتقاعد محمد سبع . وفي هذا الاجتماع تم الاتفاق على اعداد صيغة قسم يؤدي كل واحد من الضباط الاحرار على القرآن الكريم، وكذلك اتفق على ان اسلوب العمل يجري وفق طريقة الخلايا وان اللجنة تعقد اجتماعات اسبوعية او عند طلب احد الاعضاء فيما اذا حصل ما يستوجب ذلك وان يراعي الحذر الشديد من قبول المنتمين الى الحركة . ص٥١ – ص٥٢

٢٢- المصدر نفسه ، ص٥١

٢٤-للتفاصيل انظر : صبيح علي غالب ، قصة ثورة ١٤ تموز ، ص٩٧-ص٩٨، الزبيدي ، المصدر السابق ، ص١٢٧ - ص١٢٨ ويشير على الصفحة (١٢٨) انه يعد لقاءآت شخصية مع اعضاء اللجنة العليا استطاع ان يحصي عدد الضباط الاحرار نوجد انهم (٢٠٣) ضباط "وبسبب عدم وجود وثائق مكتوبة ، لم يستطع التعرف الا على اسماء (١٥٩) ضابطا" من ضمنهم اعضاء اللجنة العليا

٢٥- انظر : مذكرات الرئيس الراحل عبد السلام عارف ، ص ص ٣٥-٣٦

٢٦- انظر : محسن حسين الحبيب ، حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق ، ص٥٦

٢٧- انظر عبد الكريم فرحان ، ثورة ١٤ تموز في العراق ، ص ص ٤٩ - ٥١

٢٨- انظر : جاسم كاظم العزاوي ، ثورة ١٤ تموز ، ص ص ٧٥ - ٧٦

٢٩- للتفاصيل انظر : صبيح علي غالب ، قصة ثورة ١٤ تموز ، ص ص ٤٧ -٤٨ وكذلك محسن حسين الحبيب ، حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق ، ص ص ٥٦ - ٥٧

٣٠- ورد في قرار التجريم الذي اصدرته المحكمة العسكرية العليا بحق عبد السلام عارف (جلسة ٥ شباط ١٩٥٩) ان (المتهم العقيد الركن عبد السلام محمد عارف لم يكن من الضباط الأوائل الذين تبنوا فكرة الثورة ولكن سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم هو الذي تقدم بطلب انضمامه الى جماعته ... ونتيجة لتعهد سيادته اقسم المتهم اليمين حوالي نيسان ١٩٥٧ ، وصار مع اخوانه وساهم في الثورة معهم) . انظر : المحاكمات ، ج ٥ ، ١٩٥٩ ص ٤٧١ وحول انضمام عبد الكريم قاسم نفسه انظر : محسن حسين الحبيب ، حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق ، ص ص ٥٤ - ٥٥ ويذكر علي منير على لسان عبد السلام عارف (ص ص ٢٩ - ٣٠) من مذكراته آنفة

الذكر ان عبد السلام عارف هو الذي فاتح عبد الكريم قاسم في ((امر الأشتراك معنا عندما عملنا معاً في اللواء التاسع عشر ، وكنت اعمل آمراً لأحد افواجه تحت رئاسة قاسم)) اما جاسم كاظم العزاوي فيشير في الصفحة ٧٤ –٧٥ من مذكراته آنفة الذكر ان عبد الكريم قاسم انضم الى التنظيم في اوائل سنة ١٩٥٧ وان وصفي طاهر لعب دوراً بارزاً في لقاء تم بين قاسم وناجي طالب ممثلاً للهيئة العليا للضباط الأحرار في دار قاسم الواقعة في منطقة السعدون في بغداد وتم الأتفاق على العمل معاً وبعد ذلك فرض قاسم على ((اللجنة العليا قبول عبد السلام وزكاه لهم بعد معارضة الجميع على قبوله لأعتقادهم بأنه رجل غير ملتزم يصعب ضبطه)).

٣١- انظر : صبحي عبد الحميد ، اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، ص ٨٠

٣٢- المصدر نفسه ، ص ٨١

٣٣- للتفاصيل انظر : حسين ، سقوط النظام الملكي في العراق ، ص ٩١ والمعلومات منسوبة الى (عبد اللطيف الدراجي) الذي قابله الدكتور فاضل حسن حين تأليف كتابه ، وتكشف لنا المذكرات الشخصية للضباط الأحرار شخصياتهم وآراء بعضهم بالبعض الآخر ، مما يعكس وجود اختلافات فكرية وشخصية

٣٤- ان كل من كتب عن الثورة واطلع على وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، بأستثناء الدكتور فاضل حسن الذي اشار الى وجود علاقة للأنكليز بالثورة (ص ٩٢ من كتابه آنفة الذكر) ، اكد ان الأنكليز فوجئوا بالثورة بل أ'خذوا علىحين غرة وان معلومات السفير البريطاني واركان سفارته في بغداد عن قادة الثورة كانت سطحية بل ومليئة بالأستنتاجات والأنطباعات الخاطئة . انظر : ابراهيم خليل احمد، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في كتابات المؤلفين والمؤرخين

العراقيين ، ص ١٧ . وكذلك نجدة فتحي صنوة ، حديث في جريدة الأتحاد ، بغداد نيسان ١٩٨٩ ، وليد محمد سعيد الأعظمي ، ثورة ١٤ تموز وعبد الكريم قاسم في الوثائق البريطانية ، (بغداد، ١٩٨٩) ، مؤيد ابراهيم الونداوي ، وثائق ثورة تموز ١٩٥٨ في ملفات الحكومة البريطانية ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، علاء موسى كاظم نوري ، ثورة ١٤ تموز في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والصحافة الغربية، (بغداد ، ١٩٩٠)

٣٥- ا نظر : محسن حسين الحبيب ، حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق، ص ص ٧٦ - ٧٨

٣٦- انظر مذكرات الرئيس الراحل عبد السلام عارف ، ص ٣٨

٣٧- انظر : انظر محسن حسين الحبيب ، حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق ، ص ص ٥٨ - ٦٠

٣٨- وضع معضم اصحاب المذكرات من الضباط الأحرار مقدمات تأريخية اكدوا فيها : ان اوضاع العراق الداخلية السيئة ، وسيادة الأقطاع ، وتفاقم النفوذ البريطاني أثر فشل ثورة ١٩٤١ ، وضياع فلسطين ، واثر ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر ، كلها كانت عوامل دفعت الى تنظيم انفسهم والعمل على اسقاط النظام الملكي .

٣٩- انظر : محسن حسين الحبيب ، حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العواق، ص ٦٠.

٤٠- للتفاصيل انظر : فاضل حسين ، سقوط النظام الملكي في العراق ، (القاهرة ، ١٩٧٤) ص ص ٦٩-٧٠

٤١- انظر : محسن حسين الحبيب ، حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق ، ص ص ٧٠- ٧٢

٤٢- يشير الدكتور فاضل حسين على الصفحة (٨٠) من كتابه آنف الذكر ، ان جدلآ كبيرآ حدث حول صيغة البيان الأول بعد ذلك ، هل كتبه عبد

الكريم قاسم ام عبد السلام عارف .. وكيف ان البيان وقع عند اذاعتـه بعبارة ((القائد العام للقوات المسلحة الوطنية بالنيابة)) ثـــم حذفـت كلمة النيابة بعد ذلك من النصوص الرسمية .. ويرجع الدكتور فـــاضل حسين ان الذي كتب البيان هو عبد السلام عارف ، لكن قاســم اطلــع على المسودة وربما اقترح بعض التعديل

٤٣- انظر : جاسم كاظم العزاوي ، ثورة ١٤ تموز ، ص ١٣٣

٤٤- انظر : عبد الكريم فرحان ثورة ١٤ تموز في العراق ، ص ٦٨

٤٥- انظر : محسن حسين الحبيب حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العــراق ، ص ص ٧٢-٧٥

شخصية كاتب المذكرات
الاستاذ ساطع الحصري أنموذجا

أ . د . عماد الجواهري
كلية التربية – جامعة القادسية

١ – توطئة

ان دراسة المذكرات الشخصية بعد ان ظهرت اهميتها في الدراسات المعاصرة يمكن ان تعد امرا جديدا في بابها (الدراسات المعاصرة) ليس لان هذا الموضوع لم يول الاهتمام المطلوب حسب، بل لانه قد اصبح من الضروري بمكان تقويم النظرة الشخصية للاحداث والعناصر الانسانية الفاعلة منها من ناحية ونظرة الاشخاص الاخرين الى صاحب المذكرات من ناحية اخرى.

والواقع ان رواية الاحداث من وجهة نظر كتاب المذكرات واراءهم في الاشخاص الاخرين الذين اسهموا بشكل او باخر في تلك الاحداث يمثل ثيمة لايمكن رؤيتها او استقراؤها او حتى الاستدلال عليها بوساطة الوثائق التاريخية. ولئن كتابة المذكرات كانت ولاتزال احدى النواتج الادبية الاقل ذيوعا لدى مجموعة الاشخاص صانعي الاحداث والمؤثرين فيها، اذ اننا قد لانجد من بين المئات من السياسيين والادباء والعلماء غير بضعة اشخاص خلفوا نتاجا ادبيا بعنوان "مذكرات"، عند ذلك نستطيع القول بدون تحفظ ان وضع مذكرات شخصية من لدن البعض يعبر عن احدى الصفات المميزة في هذه الشخصية بغض النظر عن الاهداف التي توخاها كاتب المذكرات سواء كانت اثبات الحقيقة في الوقائع التاريخية ام توجيه الانظار نحو المسوغات والدوافع التي جعلته يقف من الحدث في حينه موقفا معينا.

ولاشك في ان استخدام "المذكرات الشخصية" في الكشف عن انموذج وطبيعة شخصية كاتب المذكرات مسألة تكتنفها بعض الصعوبات ولكن ليس معنى ذلك انها غير ممكنة. ان الاعتماد على المنهج المناسب بوسعه ان يذلل هذه العقبة الامر الذي يرفع من قدر "المذكرات الشخصية" كاداة لتقويم الشخصية ولتصبح جنبا الى جنب مع اوعية المعلومات الاخرى قادرة على تزويد الباحث بصورة متكاملة عن

شخصية كاتب المذكرات من ناحيتي المظهر والجوهر الامر الذي يحقق الفائدة القصوى في تقرير مدى الدور الفاعل في الاحداث في جانب والمسؤولية الادبية التاريخية في جانب اخر. كما اننا نرى ان عدم حصول التقاطع في السمات الشخصية من خلال المذكرات والسمات الشخصية من خلال استقراء اوعية المعلومات الاخرى يقدم دليلا اخرا على قيمة المعلومات والوقائع والاحداث التي تقدمها المذكرات الشخصية. ويظهر العكس من ذلك بطبيعة الحال عند حصول تقاطع ما في السمات الشخصية التي يمكن استقراؤها من خلال المذكرات وتلك التي يمكن استقراؤها من خلال اوعية المعلومات الاخرى.

وقد كان اختيار مذكرات المفكر الاستاذ ساطع الحصري المعنونة "مذكراتي في العراق" بجزأين (١٩٢١-١٩٢٧) ، (١٩٢٧-١٩٤١) لتكون انموذج الدراسة اكثر من سبب يأتي في مقدمتها مكانة الحصري بين قادة الفكر والتربية العرب اولا ولكون مذكراته هي الاوسع والاشمل بين المذكرات التي تناولت التاريخ الاجتماعي وبخاصة واجهته الثقافية التربوية ثانيا . ولان هذه المذكرات جاءت معززة بالوثائق احيانا والاحالة الى الصحافة بعد ان اصبحت حين ذاك طرفا في الحكم على قضية او اكثر من تلك القضايا التي تحدث عنها كاتب المذكرات ثالثا.

٢- منهج الدراسة

كان المنهج التاريخي الاستقرائي التركيبي في دراسة الشخصية هو الاسلوب الاكثر ذيوعا في الدراسات الاكاديمية الحديثة. وقد انجزت في الجامعات العراقية دراسات لشخصيات عديدة من قادة الفكر والسياسة والادب ومنهم الاستاذ الحصري نفسه الذي كان موضوعا لرسالة ماجستير في التاريخ والاخرى في التربية على حد علمنا كما كان ايضا موضوعا لكتاب الّفه الدكتور عبد الرحمن برج وكتابا اخر الّفه

الاستاذ جمال الدين الالوسي. ولما كان الهدف الرئيس من دراستنا هو دراسة السمات الشخصية للاستاذ الحصري بوصفه من ابرز كتاب المذكرات في العراق، لذا رأينا ضرورة الاعتماد على منهج مغاير لمنهج الدراسات التي سبقتنا في دراسة هذه الشخصية وذلك بالاعتماد على المنهج السيكولوجي التحليلي التركيبي وهي مغامرة لانظير لها في الدراسات التاريخية بوصفها الحقل الذي ننتمي اليه. وحسبنا ان المنهج السيكولوجي هو المنهج الاكثر دلالة في الكشف عن السمات الشخصية بعامة ومساقاتها المتناغمة ايجابيا والمتعاكسة سلبيا بخاصة.

ومعروف ان دراسة الشخصية هي احدى المباحث المهمة في علم النفس نظرا لان الشخصية تمثل احدى مظاهر الحياة الشعورية للانسان في جانب، ولانها أي الشخصية تجسد نظاما متكاملا من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية قابلة لان تعين هوية الفرد وتميزه عن غيره من الافراد، وهي تدل في جانبها السوسيولوجي على طباع الشخص ومزاجه الخلقي كما يبدو للناس اثناء التعامل اليومي وتدل سايكولوجيا ايضا على وحدة الذات وثباتها في جانب اخر.

وذهب عالم النفس الاستاذ يوسف مراد الى القول ان معنى الشخصية هو من اشد معاني علم النفس تعقيدا وتركيبا لاعتبارات تتعلق بتفاعل الخصائص المشار اليها اعلاه (الجسمانية والوجدانية والعقلية والخلقية) وتكاملها في شخص معين يعيش في بنية معينة[١] . وذهب الاستاذ مراد ايضا الى ان النقطتين الاساسيتين اللتين تتركز حولهما بحوث الشخصية واولاهما شعور الشخص بذاتيته ووحدته أي صورة الشخصية كما تبدو في مرآة الذات (الشخصية الذاتية) . وثانيهما هو الاثر الذي تتركه مجموعة السمات او الخصائص في شعور شخص اخر يشاهد المظاهر السلوكية من الخارج ويحكم عليها. أي صورة الشخصية

في مرآة الغير (الشخصية الموضوعية)[٢] وقد تم انتقاء انموذج العالم سيرل بيرث في تحليل الشخصية لكونه انموذجا قابل للاستخدام من حيث كونه يجمع بين التحليل القائم على الفصل والتمييز بين العوامل من ناحية والتوليف والتركيب بين العوامل من ناحية ثانية وكما هو موضوع في ادناه[٣] :

التحليل

اولا: العوامل الجسمية

١- الصحة او القوة الجسمية العامة

٢- نواحي قدرة اوعجز جسمي خاص

ثانيا: العوامل الذهنية

١- عوامل المعرفة فطرية الذكاء العام

القدرات الخاصة

مكتسبة الثقافة العامة

المهارات والمعارف المهنية والتعليمية الخاصة

٢- عوامل الوجدان فطرية الانفعالية العامة

نماذج مزاجية خاصة

غرائز وانفعالات اكثر تخصصا

مكتسبة الاتجاه الخلقي العام

عقد خاصة وعواطف واهتمامات

التركيب

تكامل جميع العوامل في فردية فريدة من الوجهتين الكيفية والكمية

٣- تحليل عوامل الشخصية لانموذج الدراسة

اولا: العوامل الجسمانية

بدأ الاستاذ ساطع الحصري عمله الاداري والتربوي في العراق حين تولى منصب معاون وزير المعارف سنة١٩٢٢. وتعد هذه السنة مواكبة لعقد الكهولة في حياته، فهو من مواليد عام١٨٧٩ وبذلك يكون قد استلم مهام عمله وعمره (٤٣) عاما[٤] . وهذه السن موافقة لنضوج وتكامل وتفاعل العوامل والصفات الموروثة والمكتسبة لدى الاستاذ الحصري، وان كانت تشير ايضا الى بداية بعض مظاهر القصور والعجز الجسماني الناجمة عن التقدم في السن كالبدانة والصلع وضعف البصر. وعلى الرغم من معاصرة الباحث لحقبة من حياة الاستاذ الحصري الا انه لم يتسن له رؤيته عن قرب وكان لابد من الاتصال ببعض السادة العاملين معه واقرباءه للحصول على الملاحظات المطلوب بحثها. على ان الباحث قرر اولا استنطاق الصور المتوفرة لديه والتي تعود لفترات مختلفة من حياة الاستاذ الحصري وبخاصة فترة عمله في العراق الممتدة بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٤١ والبالغة تسعة عشر عاما وثلاثة اشهر[٥] ، وهي منشورة في الملحق المصور الذي وضعه الاستاذ الحصري في نهاية الجزء الثاني من مذكراته. اما المذكرات نفسها فانها تخلو من اية اشارة الى اصابته بوعكة صحية او اضطراره لاجراء جراحة او اصابته بحادث فجائي.

وفي صورة نادرة لصاحب المذكرات تعود الى فترة استيزاره للمعارف السورية في وزارة رضا الركابي عام١٩٢٠ أي قبل بدئه العمل في العراق بعامين، بدا الحصري وهو في اواسط كهولته (٤١عاما) اصلع الرأس نحيف الوجه كثيف الشاربين جاد الملامح يرتدي عوينات طبية[٦] . وخلال سنوات عمله في العراق صار جسمه يأخذ نحو البدانة تدريجيا كما تشير الى ذلك الصور المنشورة في ملاحق

المذكرات ، غير انه ظل على درجة عالية من النشاط والحيوية، دلت على ذلك زياراته التفتيشية المستمرة للمدارس واهتمامه بالمعارض العلمية والفنية والاستعراضات الرياضية والكشفية وجولاته الاثارية والسياحية في المدن العراقية وزياراته للاقطار العربية والاجنبية الرسمية والخاصة.

وفي الصور الاربع غير المؤرخة التي نشرها في مذكراته[٧] والتي تمكنا من تحديد تواريخها وعلى التوالي : ١٩٢٣، ١٩٢٤، ١٩٣٥، ١٩٣٨ وكذلك الصورة التي نشرها طالب مشتاق في مذكراته والتي تعود لفترة متأخرة من حقبة الخمسينيات على الارجح[٨] ، لم تفارق الملامح الجادة والنظرة الثابتة وجه الحصري وكان في الصور الثلاث الاولى يضع على رأسه خوذة الكشاف العربي المقترنة بخوذة الجيش العربي على ما نرى في حين بدا حاسر الرأس في الصورة الرابعة. وفي الصورة المنشورة بالملحق المصور رقم (١) والتي حدد الحصري تاريخها بسنة١٩٢٣ بدا الحصري منفردا بارتداء خوذة الكشاف العربي ايضا خلافا لمعلمي العراق الذين وضع معظمهم الطربوش والقليل منهم العمامة على الرأس[٩] . اما الصورة في الملحق المصور رقم (١١) وقد ارخها الحصري بسنة١٩٣٧ فقد بدا حاسر الرأس بينما ارتدى اعضاء وفد الكشاف العربي الخوذة التي تعد جزء من ملابسهم[١٠] .

واللافت للنظر ان الاستاذ الحصري لم يرتد السدارة الفيصلية التي شاعت في العراق منذ عهد الملك فيصل الاول. فالصور المشار اليها في الملحق المذكور رقم (٣) ، (٨) ، (٩) ، كان معظم من ظهر في الصور قد ارتدى السدارة الفيصلية بضمنهم فيصل الاول نفسه والملك غازي ورئيس الوزراء ياسين الهاشمي ورئيس مجلس النواب محمد زكي

ورئيس الوزراء جميل المدفعي والوزراء كافة باستثناء الوزير الشبيبي الذي كان يضع العمة على رأسه(١١) .

وكان الحصري في الاربعين من عمره حين قام بزيارة غير موفقة الى مصر سنة١٩١٩ للحصول على مناهج الدراسة فيها بسبب اندلاع الثورة المصرية(١٢). وفي تموز ١٩٢٠ غادر دمشق الى عاليه بلبنان للقاء غورو ممثلا عن الملك فيصل والحكومة العربية السورية قبل معركة ميسلون(١٣) . وفي السنة نفسها رافق الملك فيصل في خروجه الى الاردن ثم فلسطين ثم مصر ثم ايطاليا بعد سقوط الحكومة الفيصلية. وفي عام١٩٢١ كان على ظهر باخرة لنقل البضائع من السويس الى البصرة في طريقه الى بغداد للالتحاق بالملك فيصل في العراق(١٤) . وخلال شهر ايلول عام١٩٢١ قام بزيارة جميع المدارس الابتدائية الموجودة في بغداد(١٥). وفي تشرين الاول ١٩٢١ كان الحصري بصحبة الملك فيصل الاول في سفرتيه الى الموصل (٩/١٠/١٩٢١) والى مدن الفرات (٢٥/١٠/١٩٢١) اطلع خلالهما على سامراء وتكريت والشرقاط والموصل ثم بابل وسدة الهندية وكربلاء والنجف والكوفة والديوانية(١٦) . وفي نيسان ١٩٢٢ كان الحصري يصطحب المستر رايلي مفتش معارف الموصل في جولة تفتيشية سلك خلالها طريق بغداد كركوك اربيل الموصل(١٧) . كما زار كربلاء في عام١٩٢٢. وفي عام١٩٢٤ كان في زيارة تفتيشية في هيت وحديثة وعانة وراوة(١٨) . وفي عام١٩٢٦ كان في زيارة تفتيشية الى النجف(١٩) . وفي عام١٩٢٥ كان في زيارة الى الموصل بمناسبة تنظيم الحملة الوطنية لاستقبال اللجنة الاممية(٢٠) . وفي عام١٩٢٦ قام بجولة في اسبانيا (الاندلس)(٢١) . وفي اوائل عمله في دائرة الاثار (المرجح عام١٩٣٤) قام بزيارة الى لبنان وسوريا وفلسطين. وخلال العامين ١٩٣٦، ١٩٣٧ قام بزيارتين الى مصر وقع في الزيارة الاولى عقودا

مع بعض الاساتذة المصريين لغرض الخدمة في كلية الحقوق ودار المعلمين العالية. وحضر في الزيارة الثانية المؤتمر الدولي للاثار في القاهرة. وفي العام ١٩٣٩ قام بزيارة للمغرب زار خلالها المباني الاسلامية في هذه البلاد[٢٢] .

ان هذه الجولات التي وردت في المذكرات في معرض حديث الحصري عن حركته الدائبة في متابعة مسيرة التعليم ومهامه الاخرى تدل فيما تدل عليه ان قابلياته الجسمانية كانت ممتازة وقد استمر على هذه الحال طوال وجوده في العراق. اما نواحي العجز والقصور الجسمانية فلم نقف الا على جانب بسيط يتعلق بما سبقت الاشارة اليه من ضعف بصره الذي تجاوزه باستخدام النظارات الطبية. ويعد هذا القصور طبيعيا عند مراعاة التقدم بالسن. وقد ايد الاستاذ سالم الالوسي استنتاجاتنا وملاحظاتنا التي تم التوصل اليها من خلال الصور المذكورة، الا انه اشار الى ان الاستاذ الحصري يميل نحو القصر في قامته[٢٣] . اما حفيدته السيدة ميادة العسكري (٤٣عاما) فانها ايدت ايضا استنتاجاتنا المذكورة بما في ذلك سلامته البدنية وحيويته ونشاطه الجم، غير انها افادتنا بان الحصري اصيب بمرض القلب في العقد السابع من عمره وقد فرض على نفسه في ضوء المشورة الطبية نظاما غذائيا خاصا التزم به بصرامة. وافادتنا ايضا ان الحصري كان شديد البياض كبير الانف ودود الملامح وحنين القسامة خلاف ما اظهرته صوره المنشورة في ملاحق مذكراته والصور الاخرى التي اطلعنا عليها. وانه كان ينجز كافة شؤونه الخاصة، باستثناء اعمال السكرتارية ، بالاعتماد على نفسه بالرغم من وجود عمال الطبخ والخدمة في داره ليلا ونهارا[٢٤] . ولم يتأيد عند حفيدته فيما اذا كان الحصري قد ادى أي شكل من اشكال الخدمة العسكرية الالزامية او الاحتياط، الامر الذي يجعلنا نميل الى الظن ان وضعه خوذة وملابس الكشاف العربي طوال

السنوات الاولى من خدمته في العراق كان نتيجة شعوره بالنقص في التربية البدنية العسكرية خلاف معظم اقرانه العسكريين الذين عملوا بصحبة الملك فيصل. وربما يبدو امرا يدعو للاستغراب ما كتبه في مذكراته من انه لدى اثارته بعض الملاحظات على نظام الفتوة والكشافة لعام١٩٣٥ قال له الوزير صادق البصام ان موظفي دائرة الآثار التي كان يتولى رئاستها غير مشمولين بالنظام ومتطلباته التدريبية استثناء من جميع مديريات وزارة المعارف لذلك لم يضف الحصري شيئا على اعتراضاته ظنا منه ان وزارة المعارف ادركت ان اكساء موظفي الآثار والمتاحف وحراسهم ملابس الفتوة لايكون شيئا معقولا(٢٥) .

يبدو ان نظام حياته الخاصة والضوابط الصارمة التي قيد نفسه بها كان له تأثير ايجابي على احتفاضه بصحة جيدة وذاكرة قوية حتى قبيل وفاته عن عمر ناهز التاسعة والثمانين عاما. فالحصري بعد سن التقاعد كان يستيقظ مبكرا ليمارس رياضته الصباحية في حديقة منزله ثم يقوم بايقاظ افراد عائلته وبعد تناول الفطور يلازم مكتبته ابتداء من الساعة العاشرة صباحا حين وصول اول سكرتير من السكرتارية الثلاثة الذين يتناوبون على العمل في مكتبه اثناء اليوم. وهكذا يبدو يوم عمله الاعتيادي في الكتابة والبحث حتى المساء حين يكون ثالث سكرتاريه قد انهى ساعات دوامه. وفي غضون ذلك كان الحصري قد تناول غداءه وعشاءه في الوقت المحدد(٢٦)

ثانيا: العوامل الذهنية

١- العوامل المعرفية: وتنقسم حسب معيار بيرل سيرت الى عوامل فطرية ومكتسبة. فاما العوامل الفطرية ومنها الذكاء العام والقدرات الخاصة فانها تمثل احدى المزايا المهمة في شخصية الحصري فقد لاحظ بعض معاصريه قدرة الحصري على القيام

بالاعمال الادارية المكتبية التي تتطلب امعان النظر من ناحية والاصغاء الى حديث الاخرين من ناحية ثانية حتى ليظن المتحدث ان انتباه الحصري منصرف الى جهة اخرى، غير ان الحصري سرعان ما يبادر الى الاجابة والتعليق على كلام المتحدث نقطة نقطة[٢٧] . وقد روت حفيدته ان الحصري كان يدون ملاحظاته على مجموعة من الكتب في مواضيع مختلفة في وقت واحد[٢٨] . كما منحه ذكائه الفطري القدرة على التعلم السريع والتوغل الى الدقائق والتفاصيل في حقول المعرفة المختلفة واللغات[٢٩] .
واعتمادا على المذكرات يمكن الكشف عن العديد من المواقف التي تهيأ للحصري ان يستخدم ذكائه وقدراته الخاصة من اجل تحقيق اهدافه.ومن ذلك تصميمه على اقصاء المستر فارل ناظر المعارف البريطاني[٣٠] . فقد استغل اقتراح الاخير تولي الحصري لمعارف كركوك فاعتبرها استهانة من فارل بمركزه وبالتالي اعطاء المسوغ للامتناع عن قبول أي منصب في المعارف قبل ابعاد فارل عنها[٣١]. كما اشار الى نجاحه في تقويض اتفاقية الكونكرداتو الخاصة بالمدارس الطائفية في الموصل وذلك عن طريق التأثير على المفتش البريطاني المستر رايلي ليقوم بتقديم مقترحات الحصري باسمه. وقد قضت المقترحات اعطاء المدارس الطائفية الاختيار بين ان تكون مدارس اهلية تمول ذاتها اومدارس رسمية تخضع لسلطة المعارف وتتمتع بامتياز تمويلها. وقد اقترنت المقترحات بمبادرته الى لقاء رؤساء الطوائف وتطمينه لهم على استمرار الوضع الخاص لمدارسهم[٣٢] .
كما ظهرت القدرات الخاصة للحصري في تنظيم الدعاية العراقية اثناء زيارته اللجنة الاممية بمناسبة قضية الموصل . فقد نظم في بغداد عرضا كشفيا دعا لحضوره اعضاء اللجنة وتم خلال الاستعراض رسم

العلم العراقي وخارطة العراق على وفق اسلوب العرض الكشفي وبدرجة عالية من التنظيم والترتيب. فكان لذلك وقعه الحسن، حسب قول الحصري، على جميع اعضاء اللجنة الاممية ولاسيما العضو المجري في اللجنة الذي كان رئيسا للحركة الكشفية في بلاده[٣٣] .

وبعد اقناع الحصري لرئيس البعثة الاثارية لجامعة شيكاغو ومساعده بقبول اسلوبه في قسمة الاثار المكتشفة في مواقع البعثة مظهرا اخر لذكاءه الذي استخدمه في التمرس بحقل الاثار من ناحية وتفسير مواد قانون الاثار الذي وضعه البريطانيون لصالح دائرة الاثار فضلا عن ان الحصري حاج نائب رئيس الفريق الاثاري الدكتور فرانكفورت حول موضوع حق الاختيار للاثار المكتشفة واقناعه بوجهة نظره[٣٤].

ولاشك في ان الذكاء والقدرات الخاصة للحصري ما كان لها ان تأخذ بعدها وحجمها الذي اظهرت بعض المواقف صورا منها من غير ان يكون لها ركام كبير من جوانب المعرفة المكتسبة بمظاهرها المختلفة والتي يمكن تصورها في الجوانب الرئيسة الاتية:

١- استكماله لبرامج الدراسة الاولية والعالية.

٢- ثقافته العالية المستندة على الانطلاق من دائرة الدراسة الرسمية نحو الثقافة الموسوعية المعتمدة على الجهود الشخصية.

٣- الخبرات التربوية- التعليمية والعلمية البحثية والادارية التربوية والادارية العامة.

ولان مذكرات الحصري اختصت بسنوات وجوده في العراق ١٩٢١-١٩٤١، فان تقديم اهمية الركام الضخم من جوانب المعرفة المكتسبة سيأخذ نصيبه من التحليل ضمن دائرتين الاولى ذات طبيعة عامة وثيقة الصلة بجوانب التربية والتعليم والادارة التربوية وانظمتها.

والثانية ذات طبيعة خاصة وثيقة الصلة بالمجتمع العراقي الذي خرج لتوه من الحكم العثماني ليرزح تحت الاحتلال ثم الانتداب البريطانيين.

لم يشأ الحصري ان يذكر في مذكراته في العراق شيئا عن اسرته وحياته الاولى وتعليمه ومرد ذلك على ما يبدو التزامه الحرفي بعنوان مذكراته. وقد يجد الباحث بعض الصعوبة في مراجعة بدايات تكوينه الثقافي، ذلك ان ما نشر حول ذلك من دراسات لايعد مقنعا على اية حال. واستنادا الى وليم كليفلاند ان ساطع سليل اسرة وهبت نفسها لخدمة الدولة العثمانية. وقد تلقى تعليمه الاول في احد اشهر المعاهد في الدولة وهو معهد انشيء لتربية النشيء والشباب العثماني. وقد اكسبه هذا التعليم قدراته المعرفية الاولية كما اكسبه المعرفة التامة باللغة التركية لتصبح لغته الاولى. اما دراسته العالية في استانبول فانها فتحت له نافذة على الثقافة الاوربية حين اصبحت اللغة الفرنسية لغة ثانية له بعد التركية[٣٥] . وفي وقت لاحق الم بلغات اوربية اخرى هي الانكليزية والايطالية وشيء من الالمانية . اما اللغة العربية التي اصبحت نافذة له على التراث العربي والثقافة العربية فانه بدأ يتعلمها في اواخر العقد الرابع من عمره وتمكن من اجادتها قراءة وكتابة وتكلما الا انه ظل يعاني من اللكنة التركية في لسانه ولم يتمكن من التخلص منها حتى وفاته[٣٦] .

وذكر الحصري في احد مؤلفاته انه عمل معلما للعلوم الطبيعية في احدى ولايات البلقان. حيث كان يكثر من التجوال في الربى والوديان والحقول والبساتين لغرض دراسة الحيوانات والنباتات وجمع نماذج الحشائش والحشرات[٣٧] . وفي وقت لاحق حين ظهرت قدراته في الميدان التربوي تم تعيينه مديرا للمدرسة الحديثة في استانبول[٣٨] . وكان من اثاره التي اعتز بها اصداره مجلة التدريسات الابتدائية التي وجد فيها مجالا واسعا لعرض النظريات الحديثة في التربية والتعليم

وكذلك الافصاح عن نظرياته في مجال التربية والتعليم الابتدائي. اما في مجال الادارة العامة فقد اشار الحصري الى توليه في اواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني لمنصب قائمقامية احد الاقضية التي اضحت فيما بعد جزء من الدولة البلغارية.وقدم اثناءها الى الوالي محمد شوكت باشا مشروعا للاصلاح العام[٣٩] . وبعد اعلان الهدنة وفي ظل المراقبة الدولية عمل قائمقاما لقضاء رادويشته التابع لولاية قوصوة في اقليم مقدونيا. وفي عام١٩١٩ التحق ساطع بك بالحكومة العربية في دمشق ليتولى ادارة المعارف في مجلس المديرين العامين ثم وزارة المعارف في وزارتي رضا الركابي وهاشم الاتاسي[٤٠] . والحصري في اشاراته السريعة بالافادة من ثقافته وخبراته السابقة كان يقيم الدليل على صواب اراءه وتنظيماته واصلاحاته. في حين لاتعدم اية تجربة او ثقافة سابقة من امكانية الاستفادة منها لاحقا. فهذه لغته التركية مثلا وفرت له القدرة على نحو سريع لمراجعة مكتبته التركية بقصد دحض الهجمة التركية واطماعها في الموصل واثبات عراقية الولاية بوساطة الكتب والخرائط والاطالس الرسمية والوثائق الاخرى المعول عليها لدى الادارة التركية السابقة والحالية، فضلا عن مناهج التعليم الرسمي التركي التي اشارت الى عراقية الولاية. وقد قام الحصري بتزويد رئيس الوزراء بهذه الوثائق والخرائط بمناسبة زيارة وفد اللجنة الاممية الى العراق لدراسة تقرير مصير ولاية الموصل[٤١] . كما ان ادارته للمدرسة الحديثة في استانبول كانت قد فتحت له افاق التعرف على بعض رجالات السلك الدبلوماسي في الاستانة وفهم امزجتهم وهكذا كان اتصاله برئيس اللجنة الاممية الملحق العسكري في السفارة السويدية في استانبول سابقا الذي سرعان ما استعادت ذاكرته معرفته بالحصري فقبل دعوته الخاصة التي اقامها له الحصري في منزله ببغداد[٤٢]. بينما استطاع الحصري حسب قوله ان ينال عطف العضو المجري على الموقف

العراقي حين ادى تلامذة المدارس تمارين سويدية وكشفية امام اللجنة كما ذكرنا[٤٢] . وعدا هذا وذاك فان تقريره حول تقدم المعارف في ولاية الموصل في ظل حكومة العراق كان دليلا على قطعها شوطا جيدا في مسار التقدم والتطور[٤٣].

اما تجربته في ميدان المعارف وابتداء من انخراطه في سلك التعليم فانه افاد بالتجربة الملموسة نظرا لاحتكاكه بزراع المنطقة التي قام بالتعليم في مدارسها ان الواجب يقضي مراعاة الظروف الموضوعية عند استحضار خطط التقدم ووسائلها. لقد ثبت للحصري ان النجاح في استقدام وسائل التقنية الحديثة في الزراعة مثلا يوجب التفكير بدءا بوجود حيوانات الجر المناسبة لسحب تلك المكائن وضمان دوران عجلاتها. وكانت مشكلة احد الزراع تتلخص في انه عندما جلب المكائن الحديثة وجد انها تسببت في هلاك حيواناته التي عجزت عن سحب هذه المكائن فاضطر هذا المزارع الى ركن الادوات الحديثة جانبا والعودة الى وسائل الزراعة القديمة؛ ويقول الحصري ما نصه:

"إن هذه الملاحظة اثرت في نفسي تأثيرا عميقا وزودتني بدرس ثمين استفدت منه طول حياتي، في جميع اعمالي الانشائية والاصلاحية استفادة كبيرة جدا. اذا كان.. عدم الانتباه الى وجوب "الملائمة والتكييف" يولد نتائج خطيرة الى هذا الحد، حتى في المكائن المادية البسيطة.. واذا كان عدم التفكير في الاحوال المحلية يؤدي الى مثل هذه النتائج السيئة حتى في الاعمال الزراعية العادية.. فماذا

تكون هذه النتائج في الامور الاجتماعية التي تؤلف نوعا من "المكائن المعنوية"

المعقدة الى اقصى حدود التعقيد.. كيف يكون الحال بوجه خاص

بالنسبة الى هذه المكائن المعنوية الدقيقة التي يسميها باسم "النظم

التعليمية " ؟ . . ماذا تكون النتائج اذا نقلنا هذه النظم

من قطر الى اخر، ومن امة الى اخرى، دون تفكير شامل وتبصر تام ؟[٤٤]

وفي ضوء هذه التجربة اكتشف الحصري اهمية التخطيط للاصلاح فوسع من دائرة معارفه في هذا المجال ووضع ملاحظات نقدية لوزارة المعارف العثمانية تضمنتها تقريره المعنون "بلانس اجراءات" أي "اجراءات بدون تخطيط" اظهر فيها كيف ان الوزارة كانت تتخبط في الاعمال الاصلاحية خبط عشواء من جراء عدم اهتمامها بامر التخطيط قبل البدء بالعمل والتنفيذ[٤٥] .

ومن هذا المنطلق قرر الحصري ان يضع هذه القاعدة نصب عينيه في الاعمال التي كان عليه القيام بها في العراق. وتوصل ايضا الى ان خطته التي سيسير عليها تقوم على تحديد الاهداف اولا ووضع المنهج ثانيا ومراعاة الظروف مع تطوير المنهج كلما ارتفع المستوى العام للتعليم في البلاد.[٤٦]

ومفهوم ان اصدار الحصري لمجلة التدريسات الابتدائية في الاستانة اوجدت له عددا من المريدين فضلا عن استفادته منها في نشر آراءه. ومن هؤلاء عادل بك مدير دار المعلمين[٤٧]وطالب مشتاق[٤٨] ويوسف عز الدين الناصري[٤٩]. كما مكنته في وقت لاحق من اصدار

مجلته في العراق المعنونة "مجلة التربية والتعليم" وقد صدرت هذه المجلة(٣٢) عددا في خمسة مجلدات خلال اربع سنوات ١٩٢٨-١٩٣١ وقد اثقلت المجلة بالمقالات التي ألفها الحصري والمقالات المترجمة اذ يقول في مذكراته : "انه معظم ابحاث المجلة ومقالاتها، مكتوبة من قبلي. بعضها موقع عليها بتوقيع ابو خلدون او بأختصار (أ.خ) وبعضها منشور دون أي توقيع[٥٠]"

وجاءت تجربته في المعارف السورية لتضيف الى معارفه خبرة اخرى ولكنها في اتجاه مغاير لخبرته في المدارس التركية. كان عليه الان في سوريا ان يعمد الى اجتثاث المظاهر العثمانية والتركية في المعارف العربية السورية كما كان عليه ان يضع نظاما تعليميا بديلا. وكان ابرز منجزات عهده في المعارف السورية (١٩١٨-١٩١٩) تأسيس المجمع العلمي العربي (١٩١٩/٧/٣٠) واعادة فتح معهدي الطب (ايلول ١٩١٩) والحقوق (تشرين الثاني ١٩١٩) وتسمية الهيئات العلمية الخاصة بكل منهما[٥١] . وقبل ذلك كانت مديرية المعارف العربية السورية قد بدأت برنامجا لتوسيع التعليم بجميع مراحله[٥٢] . وفي ربيع ١٩١٩ قصد الحصري القاهرة ابتغاء الحصول على المناهج الدراسية. وعلى الرغم من ان سفرته الى القاهرة لم تكن موفقة اذ انه لم يتمكن من الحصول على المناهج المدرسية بصفة رسمية بسبب احداث الثورة والاحزاب العامة، الا انه حصل على عدد من الكتب المدرسية من الباعة الاهليين[٥٣] . بينما عقد العزم على توجيه بعض العلماء في ديوان المعارف السورية لتأليف الكتب المدرسية ومنها كتاب الاخلاق والواجبات الذي شوق الشيخ عبد القادر المغربي لتأليفه.

وقد اشار الحصري في مذكراته الى مسألتين تعكسان تجربته في المعارف السورية اولاهما: كتابته الى الشيخ المذكور عن مصير الكتب

ومن ثم وساطته في حصول المعارف العراقية على مائتي نسخة من الكتاب لتدريسه في المدارس الثانوية ودار المعلمين [٥٤] .

والثانية : تتعلق بموضوع الصلاحيات التي كان يطالب بها لمديو المعارف العام، وكان قد عرضها على وزير المعارف عبد الحسين الجلبي وظلت موضع تردد الاخير فكتب اليه يحثه على اصدارها قائلا: انها نفس الصلاحيات التي كان قد اعطاها الى مدير المعارف العام في سوريا عندما كان وزيرا للمعارف فيها[٥٥] .

اما في مجال التربية الوطنية والقومية فان الحصري الذي كوس جزء من مذكراته للحديث عن القومية العربية[٥٦] ، لم يشر الى أي من المفكرين الذين تأثر بهم في صياغته نظريته حول القومية العربية. غير انه انكر على الشيخ محمد مهدي البصير نظريته حول تأثير العوامل المادية كالماء والهواء والغذاء في تكوين الشعور الوطني والقومي قائلا عنها انها "سفسطات لفظية فارغة"[١٨٢] . وتبدو مؤلفات الحصري الاخرى اكثر اهمية لاستخلاص الفكر الغربي الذي تأثر به. ان كتابه "اراء واحاديث في القومية العربية" الذي صدر عام ١٩٥٠ يفصح على نحو جلي ومن خلال معالجة المؤلف لكل من النظرية الالمانية التي تعتمد على اللغة بوصفها اساسا للقومية ومعيارها الصحيح، والنظرية الفرنسية التي تعتمد على "الارادة والمشيئة". لقد افصح الحصري عن تأييده للنظرية الالمانية قائلا: "النظرية الالمانية.. هي النظرية الصحيحة التي ابدتها الوقائع التاريخية، ودعمتها الابحاث العلمية، وبذلك تكون الامة كائن حي، توجد بطبيعة الحياة الاجتماعية ولاتخلق بمشيئة الافراد.. والامة كائن اجتماعي يتصف بالحياة والشعور.. حياة الامة بلغتها، وشعورها بتاريخها والامة التي تنسى تاريخها، ومع هذا تبقى محتفظة، بلغتها، تكون بمثابة عضوية اجتماعية فقدت الوعي والشعور ولكنها تبقى على قيد الحياة. والشعور قد يعود اليها عندما تتذكر وتتعلم

تاريخها. ولكن الامة اذا ما فقدت لغتها وصارت تتكلم بلغة امة اخرى، تكون قد اندمجت في تلك الامة.. وفقدت كيانها الخاص، وزالت في عالم الوجود"[٥٨].

ومفهوم ان الحصري عندما يتحدث عن النظرية الالمانية بوصفها النظرية التي ايدتها الوقائع التاريخية، يعطي لنفسه المسوغ الفكري- التاريخي للانتقال من داعية لنظرية ان يكون الفرد محط الاهتمام للمصالح وان تتشكل وتتحدد هويته وفقا للدول وليس وفقا للقومية، الامر الذي له دلالته على الرابطة العثمانية في ظل الدولة العثمانية. ولكنهِ لم يلبث حتى تحول نحو القومية وبخاصة بعد اثبتت الوقائع التاريخية انهيار العثمانية دولة ورابطة من ناحية، وان الدليل الموضوعي المقابل ماثل امام الجميع وهو ان الامة العربية امة حية بلغتها غير انها فاقدة الشعور بسبب من نسيان تاريخها ولاسبيل الى عودة هذا الشعور من غير ان تتذكر تاريخها وتتعلمه. وهي الغاية الاساسية في عملية التربية والتعليم في المرحلة التاريخية من ناحية اخرى.

ان اهمية تصور الحصري على وفق هذا التطور الفكري الحاسم، يفسر لنا تأثير اللغة الفرنسية في تطوره الثقافي بوصف هذه اللغة النافذة الرئيسة التي اطلع من خلالها الحصري على الفكر الاوربي في القرن التاسع عشر. وكان لاجل ذلك داعية للنظرية القومية الفرنسية وهي النظرية التي يصح تطبيقها في النموذج العثماني، فلما انهارت الامبراطورية العثمانية وشهد الحصري بام عينيه تمزقها وظهور كيانات قومية من رحم الامة العثمانية، لم يكن امامه غير الانسحاب الى كيانه العربي واشهار النظرية الالمانية القائلة بـ"القومية- اللغة". ولم يكن فيه حاجة الى التعمق بالالمانية التي ظلت معرفته بها سطحية بينما احتلت اللغة العربية مكانة استثنائية في المرحلة اللاحقة من حياته

وحياة غيره ممن افقدتهم "الرابطة العثمانية" الانسجام في شخصياتهم فكان عليهم توكيد الانسجام بين وجودهم وشعورهم. وليس هناك من شاهد ابلغ من سعي الحصري وهو يتولى معارف سوريا الى فتح صفوف ليلية اجبارية لتعليم اللغة العربية والانشاء العربي للمئات من موظفي الادارة العربية من حكومة سوريا خلال العهد الفيصلي القصير [٥٩] .

وفي العراق لم يكن امام الحصري مرة اخرى الا ان يكيف الخطة التي كان قد شرحها في احدى محاضراته في الاستانة قبل احد عشر عاما من قدومه الى العراق. أي في سنة ١٩١٠ ولتكون هذه الخطة المبدأ الرئيس الذي سيلتزم به وهو يتولى شؤون المعارف في العراق. وقد تناولت محاضرته المذكورة موضوع علاقة التعليم بالسياسة وخلاصتها: "ان السياسة كلمة واسعة المعنى كثيرة الشمول. والعمل السياسي متعدد الجوانب والمستويات ومتنوع الوسائل والاغراض، فهناك "السياسة العليا" التي ترمي الى بث الشعور الوطني والقومي في نفوس المواطنين بوجه عام، وفي نفوس النشيء الجديد بوجه خاص. وهناك "سياسة الادارة والحكم" او بتعبير اخر "السياسة العملية" وما يتفرع منها من انواع "السياسات الحزبية". ان المرتبة العليا في السياسة، أي سياسة التربية الوطنية تدخل.. ويجب ان تدخل في صميم اعمال المدارس واغراضها. واما المراتب الاخرى من السياسة أي السياسة العملية والسياسة الحزبية فتبقى ويجب ان تبقى بعيدة عن اعمال المدارس واهتماماتها"

واخيرا نرى الحصري يؤكد بعزم واضح فيقول: اني ساتوسل بكل الوسائل لتقوية الشعور الوطني والقومي في نفوس ابناء العراق وبث الايمان بوحدة الامة العربية بينهم.. وذلك دون ان انتسب الى حزب من الاحزاب السياسية التي لابد ان تتألف عاجلا او آجلا" [٦٠] .

واذا كان لابد من التعليق على هذه الخطة وهذا المبدأ الذي قوره الحصري وهو يتأمل خطوات مسيرته القادمة في العراق في ضوء تجربته السابقة، فاننا ينبغي ان نتساءل عن مدى استطاعة الحصري ان يقوم بهذا الدور في العراق وبخاصة ان معلوماته عن العراق هي ادنى بكثير من معلوماته عن الاقاليم العثمانية الاخرى التي عمل فيها مثل مقدونيا والاستانة والشام. ولاشك في ان الحصري كان في ازمة مع نفسه وهو يجد في البحث من اجل توسيع دائرة معارفه عن العراق. وقد كتب الحصري في مذكراته يصف حالته وهو يستعد للعمل في العراق بناء على توجيه ثم اتفاق مع الملك فيصل الذي سبقه في القدوم الى العراق[٦١] . يقول الحصري: "استعدادي هذا كان استعدادا معنويا بكل معنى الكلمة: اخذت استعيد واستعرض كل ما كان بيدي من معلومات عن العراق- وبالاحرى عن ولايات بغداد والموصل والبصرة- ثم اسعى الى توسيع تلك المعلومات عن طريق الاتصال بالاشخاص الذين يعرفون العراق من ناحية، وعن طريق اقتناء الكتب التي تبحث في شؤون العراق من ناحية اخرى. ان استفادتي من الاشخاص ظلت محدودة. فانها انحصرت- تقريبا- في المعلومات التفصيلية التي تلقيتها من الشاعر عبد المحسن الكاظمي عن الفروق بين مذاهب السنة ومذاهب الشيعة. اما استفادتي من الكتب، فصارت اوسع واعمق من ذلك، وان خام معظم المعلومات التي حصلت عليها منها حول المباني الاثرية الموجودة في العراق.."[٦٢] ثم اردف الحصري قائلا بعد ان استعرض اهمية ثلاث من الكتب التي وجدها في المكتبة وهي: كتاب (الابحاث الاركيولوجية في بلاد ما بين النهرين) لفردريك سارة وارنست هرتزفلد، وكتاب عن سامراء للجنرال دوبيليه وكتاب عن بغداد وسكتها الحديدية لاميل او برييه،".. ولا اراني في حاجة الى القول، ان دراستي السابقة لهذه الاثار افادتني كثيرا في توجيه اعمالي عندما توليت ادارة

الاثار القديمة في العراق، بعد عدد من الاعوام، ولكن استعدادي المعنوي للعمل في العراق قد اتجه الى ميدان اخر ايضا وهو درس نظم التربية والتعليم في مصر.."[٦٣] ثم يقول: ".. ان هذه الزيارة- ويقصد زيارته للمدارس المصرية-[٦٤] والدراسة افادتني كثيرا جدا عندما ذهبت الى العراق، لاني لاحظت ان الانكليز كانوا قد نقلوا الى هناك النظام التعليمي الذي كانوا وضعوه في مصر وذلك ساعدني مساعدة كبيرة على اكتشاف النواقص الاساسية التي تشوبه، وتقرير ما يجب عمله لمعالجتها.."[٦٤] .

هذا هو اذن محيط الدائرة المعرفية عن العراق التي توصل اليها الحصري قبل مجيئه اليه ليتولى شؤون معارفه وهو ان لم يشأ ان يضيف اليها ما افادنا به في مذكراته ايضا من قبيل علاقات والده بآل الالوسي[٦٥] ، وعلاقاته الوثيقة مع بعض القادة العراقيين ممن كان لهم مركزا مهما في الحكومة العربية في سوريا وفي مقدمتهم ياسين الهاشمي"[٦٦] او ما لم يذكره في مذكراته عن شقيقه (بديع نوري الجابري)[٦٧] متصرف الناصرية الذي لقى حتفه في عملية اغتيال يقال ان طالب النقيب قد دبرها ضد ابرز شخصيتين من رجالات الاتحاديين وهما فريد بك وبديع بك وقد مات الاول، وهو آمر موقع البصرة، فورا في حين مات الثاني متأثرا بجراحه بعد مضي بضع ساعات[٦٨] . ويقول عباس العزاوي ان بديع نوري لم يعرف بالجابري وهو اخو الاستاذ الحصري بك المعروف بالحصري وهو المشهور[٦٩] . ونقل العزاوي عن "ثروت فنون" في عددها (١١٥١) بتاريخ ٢٢/رجب/١٣٣١هـ: أن بديع نوري هو ابن هلال الجلبي من ابناء المملكة الافذاذ ومن المعروفين لقراء ثروت فنون" ومن المحترمين في نظرهم وكان ما ينشره نتيجة وقوف وتدقيق وكذا في المجلات والجرائد الأخرى مما يدل على جوهر عرفانه وكما ثقافته. عهدت إليه قائمقاميات في "روم ايلي"،

ونال مكتوبية ادرنة ومديرية التحرير بولاية استنبول وحصل على منصب مديرية البلدية في فاتح ثم انه بطلب منه رجح ان يكون في محل بعيد لاقريب يحتاج الى اعمار فوقع الاختيار ان يكون في لواء المنتفق"[٧٠] اما محمد نوري الحصري الذي ورد اسمه في قائمة شهداء معركة ميسلون عام ١٩٢٠، فلم يتأيد لنا وجود صلة بينه والاستاذ ساطع الحصري[٧١] .

وعلى اية حال فان الحصري لم يكتف بهذه المعلومات، بل عمل من اجل توسيعها خلال الفترة الاستطلاعية التي استمرت ستة اشهر قبل ان يسند اليه منصب معاون وزير المعارف في اوائل اذار عام١٩٢٢. وليس واضحا تماما فيما اذا كانت هذه الفترة الاستطلاعية موجودة في خطة الحصري اصلا ام انه اضطر للانتظار كل هذه المدة حتى تحين الفرصة المناسبة للملك فيصل لكي يطلب من المندوب السامي اقصاء ناظر المعارف البريطاني المستر فارل وهو ما نرجحه[٧٢] . والطريف ان موضوع عدم معرفة الحصري باحوال البلاد اتخذه البعض ذريعة للقول بعدم جواز تولي الحصري لوزارة المعارف[٧٣] .

وهكذا تحدث الحصري عن اهم استطلاعاته وهي: زيارة الوزراء وتسجيل انطباعاته عن كل واحد منهم وبخاصة مستوياتهم المعرفية وطريقة تفكيرهم[٧٤] . وزيارة بعض المسؤولين البريطانيين لتبين عقلياتهم واستكشاف اتجاهاتهم الفكرية والسياسية[٧٥] . والقيام بعدة سفرات داخل البلاد[٧٦] . وحضور مواكب العزاء (اللطم والتطبير) في عاشوراء[٧٧] . وحضور بعض مجالس الوعظ الدينية السياسية[٧٨]. وزيارة المدارس الابتدائية في بغداد[٧٩] . وغير ذلك من اللقاءات والمشاهدات للابنية والشوارع والازقة .

وتعد الاوليات المعرفية المكتسبة عن المجتمع العراقي ذات اهمية بالغة في توكيد خطة الحصري التي كانت مختمرة في ذهنه حين تقرر

استقدامه الى العراق من ناحية، وتوجيه اجراءاته وسياسته بشأن المعارف في البلاد على مدى السنوات الخمس التي تولى خلالها ارفع المناصب في وزارة المعارف من ناحية اخرى. ومعروف ان الحصري قضى بعد هذه السنوات الخمس (١٤)سنة اخرى شغل خلالها وظائف هي استاذ في دار المعلمين العالية (آب ١٩٢٧-ايلول ١٩٣١)[٨٠] ومراقب التعليم العام (تشرين اول ١٩٣١-كانون الاول ١٩٣١)[٨١] ورئاسة كلية الحقوق (كانون الاول ١٩٣١-ايلول ١٩٣٥)[٨٢] ومديرا لدائرة الاثار (تشرين الاول ١٩٣٤-حزيران ١٩٤١)[٨٣] ، كما تولى اثناء هذه الفترة الاخيرة منصب مدير التدريس والتربية العام (ايلول ١٩٣٥-ايلول ١٩٣٦)[٨٤] . ولاشك في ان هذه السنوات من العمل الاداري الذي استلزم التماس المباشر بشرائح مختلفة من طلاب المعرفة والمعلمين والمتعلمين قد عززت معارفه باحوال البلاد . ولكن السؤال الذي طرح نفسه بقوة هو: هل غيرت هذه المعارف المكتسبة المتجددة شيئا من خطته او توجهاته؟ ربما يكون امرا مثيرا للتأمل ان تلك المعارف المكتسبة لم يكن لها اثر يذكر في دفع الحصري لمراجعة سياسته وتوجهاته، بل ان الحصري دافع عن سلامة منطلقاته ومبادئه واجراءاته ومنجزاته وهي مجمل سياسته. وقام بالرد على منتقديه من العراقيين والاجانب في الصحافة من قبل وفي مذكراته من بعد. وكان ابرز هؤلاء المنتقدون الاشخاص الذين وسمهم الحصري بالمشاغبين الذين وضعوا كتاب "سر تأخر المعارف في العراق" بمباركة الوزير ابو المحاسن[٨٥] . ولم يشأ الحصري ان يذكرهم بالاسم لان الكتاب جاء خلوا من اسم المؤلف وقد عرف فيما بعد انه محمد عبد الحسين مفتش معارف الفرات[٨٦] . اما الجهة الاخرى المنتقدة فهي لجنة الكشف التهذيبي الامريكية التي استقدمت لدراسة اوضاع المعارف في العراق. وقد رد الحصري على تقرير اللجنة في (١٢) رسالة مطولة نشرتها

الصحافة في حينها. كما تضمنها كتاب جامع لها فضلا عن مذكراته التي ارفق بها اوليات استدعاء اللجنة المذكورة والتي غمز فيها قناة بعض التربويين الدارسين في الولايات المتحدة الامريكية وفي مقدمتهم متي عقراوي[٨٧] . وكانت الجهة الثالثة التي انتقدت الحصري قد نشرت اثناء فترة اسقاط الجنسية العراقية عنه. وكانت عبارة عن سلسلة مقالات كتبها الوزير محمد رضا الشبيبي في جريدة الزمان البغدادية عام١٩٤٥! وهي بعنوان "في سبيل التربية والتعليم" وقد رد عليها الحصري في مذكراته بعد (٢٣) سنة من نشرها! وقد اختتم رده بعبارة شديدة نالت من الشبيبي لمشاركته في الوزارة التي عادت الى الحكم في ظل الحراب البريطانية بعد ثورة مايس ١٩٤١، وهي الوزارة التي قررت اسقاط الجنسية العراقية عن الحصري[٨٨] .

٢- العوامل الوجدانية

وتنقسم بدورها الى عوامل فطرية وعوامل مكتسبة. وتشمل العوامل الفطرية على الانفعالية العامة والنماذج المزاجية الخاصة وعلى الغرائز والانفعالات الاكثر تخصصا. اما العوامل المكتسبة فانها تتكون من الاتجاه الخلقي العام والعقد والعواطف والاهتمامات.

ولاشك في ان تصور مظاهر الانفعالات الفطرية العامة والمزاجية الخاصة لشخصية مثل الحصري من خلال مذكراته اولا ومن خلال ملاحظات الاخرين ثانيا تعد مسألة غير يسيرة اذا اخذ بنظر الاعتبار ان الانفعالات تظهر تلقائيا متفاعلة مع الوقائع والاحداث، وبالتالي فليس في وسع المذكرات على وجه التحديد التعبير عن تلك الانفعالات على نحو واضح طالما ان هذه المذكرات جرى تدوينها في تاريخ لاحق قد يمتد لبضع عشرات من السنين بعد وقوع الاحداث[٨٩] . ان واحدة من احدث الدراسات التي ظهرت عن الحصري اشارت الى نزعته

البروقراطية وطبيعته الباردة وعلاقاته غير الصميمية اثناء عمله في العراق[٩٠] . ولاحظ احد المريدين للفكر القومي في دراسة جرت مناقشتها في ندوة موسعة "تفوق" الحصري في الحاجة دفاعا عن مبدأه القومي ومجمل تفكيره[٩١] . وفي موازاة ذلك لاحظنا من خلال مراجعتنا المتأنية لمذكرات الحصري ان الجانب الانفعالي من شخصية الحصري قد تم ضبطه بكوابح قوية ولذلك لم تكن هناك مشاهد من القلق او الخوف او العواطف. كما ان من النادر ان نظفر بسورة من الغضب اثناء تعامله مع الاخرين. في حين تحدث الحصري عن غيظ البعض وحقدهم. وغضب البعض الاخر وحنقهم بسبب مواقف الحصري من قضايا معينة. وربما كان امرا مثيرا للتأمل ان الحصري غالبا ما واجه سورات الغضب الصادرة عن الاخرين باعصاب باردة وعدم اكتراث. ومن امثلة ذلك: قبوله استقالة يوسف عز الدين الناصري واصراره على اخراج بولينا حسون من ادارة المدرسة الابتدائية ورفض تعيين صبيحة الشيخ داود قبل اكمال تعليمها في مدرسة المعلمات واصراره على استفتاء مثقفي الكرد بموجب نص الاستمارة التي اعدها حول قضية عدد الحروف المطلوب اضافتها على الابجدية العربية لاغراض التعليم في المدارس الكردية. وطريقة معالجته لهياج جعفر الشبيبي بسبب قضية كتاب النصولي.وامتناعه عن اعطاء الاذن ليوسف زينل للتدريس في جامعة آل البيت. واشهاره عدم مصداقية ابراهيم كمال في مجلس كلية الحقوق. وفي هذه الامثلة جميعها والتي تضخمت فيها انفعالات الاخرين حسب رواية الحصري لوقائعها، الا ان الحصري نفسه لم يكن غير الاداري الذي تعامل مع احداثها واشخاصها تعاملا روتينيا باردا . فهو لم يعبء بحنق يوسف عز الدين الناصري[٩٢] ، ولا بهياج بولينا حسون والتهجمات الانفعالية لشقيقها سليم حسون على اعمدة صحيفته[٩٣] ، ولا بتهديدات احمد الشيخ داود[٩٤] ، ولا بحنق يوسف

زينل[٩٥] . في حين رد ببرود على الكلام الفظ الذي تفوه به توفيق وهبي بشأن استمارة الاستفتاء لمثقفي الكرد[٩٦] ، وببرود ايضا على كلمات ابراهيم كمال الغاضبة: "عجايب أليس لي الحق ان اغير رأيي!؟". "اعتقد ان المجلس- مجلس كلية الحقوق- لايسوغ لنفسه ان يقتدي بك.."[٩٧]. اما الشيخ جعفر الشبيبي، فان الحصري اعطى توجيها باستدراجه الى غرفة بعيدة داخل مبنى الوزارة بعيدا عن اسماع العوام وليصرخ ما شاء له، ثم ليأتيه الوزير عبد المهدي لغرض تهدئته[٩٨]. وعلى الرغم مما انطوت عليه هذه المواقف من دلائل على تحكم الحصري بانفعالاته، الا انه في روايته لتفاصيل المقابلة الاولى له مع الشاعر الجواهري قال ما نصه: "... كدت انفجر ازاء هذه المساومة الغريبة، ولكني تمالكت نفسي.."[٩٩] ان سورة الغضب الشديدة هذه، وعلى الرغم من قول الحصري انه: استطاع ان يتمالك نفسه اخر الامر تبدو غير منسجمة مع الخط الانفعالي العام للحصري وبخاصة ان الشخص المقابل له وهو الشاعر الجواهري كان في حينها شابا صغيرا لايتجاوز عمره الرابعة والعشرين عاما، مع الملاحظة ان رواية الجواهري لهذه المقابلة مغايرة لرواية الحصري[١٠٠] . وهكذا تصبح مسألة صحة احدى الروايتين دليلا على مصداقية احدهما وهوما ستكون لنا معه وقفة اخرى لكونه يدخل في موضوع العوامل الوجدانية المكتسبة[١٠١] .

ومن اجل ان نختتم مبحث السمات الوجدانية الفطرية في شخصية الحصري كما تفصح عن ذلك مصادرنا، لا مندوحة من التساؤل عما اذا كان الخوف الفطري كامنا وراء استقالة الحصري من منصبه مديرا للمعارف العام على نحو غير متوقع في تموز عام١٩٢٧؟ ، والتي عللها ببرمه بما كان يشيعه المشاغبون عليه من دعاوى الطائفية ورعايته للدخلاء[١٠٢] . كما ان من نافلة القول ان نتساءل: فيما اذا كان

الملك فيصل هو الذي اوعز للحصري بالاستقالة وهـو مـا لمـح لـه الحصري بالقول: ان هدف المغرضين كان زعزعة ثقة الملك به ؟ (١٠٣) وعلى اية حال فنحن نرى ان استقالة الحصري ذات صلة مباشرة بمـا وقع في الكاظمية من صـدام دمـوي طـائفي فـي يـوم عاشـوراء ١١/تموز/١٩٢٧ بعد سلسلة من التوترات التي لم يكن بالوسع احتوائها جميعها وقد بدأت بقضية النصولي (كانون الثاني/ شباط١٩٢٧) لتعقبـها قضية الجواهري (اذار/ مايس ١٩٢٧) ثم اعقب ذلك اسـتقالة وزيـر المعارف عبد المـهدي متذرعـا بلائحـة الدفـاع الوطنـي (مـايس/ حزيران١٩٢٧) وهي قضايا تناقلتها الصحافة بنوع من الاثارة والتشنيع بالوزارة العسكرية ورمزها في المعارف ساطع الحصري* .

---

* لم يسبق لاحد من الباحثين ان تعرض للعلاقة بين هذه الوقائع الاربع، فالشاعر الجواهـري حيا موقف الوزير عبد المهدي المتشدد من قضية النصـولي بقصيـدة في شـباط١٩٢٧، (الجواهري ذكرياتي ج١، ص١٣٨) فرشحه الوزير لوظيفة مدرس في وزارة المعـارف (اذار ١٩٢٧) (الحصري، مذكراتي، ج١ ص٥٨٨)، لكن الحصري اصدر امرا بفصل الجواهري بعد ايام من دوامه بسبب نشره قصيدة فسرت تفسيرا شعوبيا حسب روايـة الحصـري (الحصري، مذكراتي، ج١ ص٥٩٠)، وعنصريا طائفيا حاقدا حسب روايـة الجواهـري (الجواهري، ذكرياتي، ج١ ص ص١٤٧-١٤٨). وفي نيسان ١٩٢٧ تطـورت القضيـة بسبب اعتراض الوزير على قرار الفصل واصراره علـى وجـوب اعـادة الجواهـري. (الحصري، مذكراتي، ج١ ص ص٦٠١-٦٠٢). وقد اضطـر رئيـس الـوزراء جعفـر العسكري الى التدخل لتسوية القضية باعتذار الحصري من الوزير تحريريا وطلـب اجـازة امدها شهر يقوم خلالها الوزير باعادة الجواهري ثم الايعاز له بالاستقالة (ابراهيـم خليـل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢، اطروحة دكتوراه منشورة، مطبعة جامعة البصرة (البصرة ١٩٨٢، ص٢٤٢). وعلى الرغم من الغاء امر الفصـل وقبـول استقالة الجواهري، الا ان الصحافة وجدت في القضية موضوعا للنقد والقدح وما بين مؤيد ومعارض. (الجواهري، ذكرياتي ج١ ص١٥٢). وفي ٧/ حزيران/١٩٢٧ اسـتغل عبد

اما العوامل الوجدانية المكتسبة، فـــان تتبعــها وبخاصـــة فـــي المذكرات يبدو اكثر وضوحا من العوامل الوجدانية الفطرية. ان المتابعة المتفحصة للعوامل المكتسبة تشير الى دورها في تجسيد الانا او الـــذات على نحو واضح. وبالرغم من ان المذكرات الشخصية مـــن شـــأنها ان تجسد الذات بطبيعتها، غير ان هذا التجسيد للانا لدى الاستاذ الحصـــري قد ظهر في اطار مظهر خاص تماما. فالحصري الـــذي تقـــول حفيدتـــه بانتمائه لنسب عربي يوصله الى الامام علي بن ابي طالب(ع)، والمولود في صنعاء حيث شغل والده الموظف العثماني منصب قـــاضي القضـــاة فيها[١٠٤] ، فرض عليه التطبع والتكيف الى بيئة تركيـــة. فقـــد كـــانت دراسته الاولية والعليا في المدرسة الملكية في استانبول. وتزوج مـــن

المهدي وزير المعارف مناقشة لائحة قانون الدفاع الوطني فرفع استقالته من وزارة المعـــارف (عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢، ص٦٠١) وهو ما كان يهدد به قبـــل شهر واحد فقط اثناء قضية الجواهري (الحصري مذكراتي ج١ ص٦٠١) فما كـــان مـــن جعفر العسكري رئيس الوزراء الا طلب قبول الاستقالة واسناد وزارة المعـــارف لنفســـه، الامر الذي يمكن ان يعددعما لموقف الحصري. وفي ١١/ تموز/ ١٩٢٧ وقعـــت حادثـــة الكاظمية التي ذهب ضحيتها عدد من القتلى وعشرات الجرحى وادت الى قلـــق الملـــك واضطراب الوزارة. (الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢، ص ص١٠٥-١٠٦، طـــه الهاشمي، مذكرات، ص٩٥). فتقرر بعد يومين من الحادث اسناد وزارة المعارف وكالـــة الى ياسين الهاشمي وزير المالية (الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ج٢ ص٩٤) وفي ٢٣/ تمـــوز/ ١٩٢٧ علم طه الهاشمي من اخيه ياسين ان الحكومة قبلت اســـتقالة ســـاطع الحصـــري. (الهاشمي، مذكرات، ج١، ص٩٥). وفي ٦/آب/١٩٢٧ تم تعين محمد امين زكي وزيـــرا للمعارف كما باشر بعد يومين طه الهاشمي مديرا للمعارف قائلا في مذكراته: انه قبل هـــذه المهمة الخطيرة في بلاد مشتتة الاراء والافكار. (الحسني، تاريخ الـــوزارات العراقيـــة، ج٢ ص٨٧، الهاشمي، مذكرات، ج١ ص٩٦). اما الجواهري فقد قرر الملك تعيينه موظفـــا في البلاط الملكي. (الجواهري، ذكرياتي، ج١)

السيدة جميلة خانم وهي كما قيل ابنة حسين حسين برصوم وزير البحرية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني . وامها السيدة ملك قيل انها بنت خالة السلطان عبد الحميد. وكان اخوه بديع نوري موظفا عثمانيا ذو ثقافة تركية مرموقة[١٠٥] . غير ان الحصري وجد نفسه فجأة في قطيعة وجدانية مع التركية والعثمنة فور انهيار الامبراطورية العثمانية** . وفي المقابل ملأت العروبة بالرغم من جهله باللغة العربية مشاعره واحاسيسه وقد تجسدت هذه الصور الوجدانية سلوكيا، كما يبدو، يرفض الواقع المعرفي التربوي العربي الموروث بعامة[١٠٦] ، ومنه الواقع العراقي بخاصة بكل تأثيرات التبعية الاجنبية والطائفية التركية والايرانية والبريطانية. ولم يكن هذا شعور الحصري حسب، بل كان الملك فيصل الاول حسب قوله يشاطره هذا الشعور[١٠٧] . وقد انتقل هذا الرفض للواقع العراقي من مجاله الشعوري الى المجال السلوكي الواقعي المعرفي التربوي في سلسلة متصلة من قرارات الرفض لكل ما هو غير حصري من تدابير وسياسات تربوية- معرفية. فقد عارض مشروع فتح مدرسة الطب (١٩٢٢) لانه رأى وجوب تقوية الدراسة الثانوية قبل فتحها[١٠٨] . كما عارض زيادة عدد دور المعلمين بفتح دارين في الحلة والموصل لانه رأى وجوب النهوض بدار المعلمين في بغداد اولا[١٠٩] . كما ابدى سخريته الشديدة من مشروع الوزير هبة

** قارن بـ Cleveland الذي يقول ان الظروف غير الواضحة في تركيا عام١٩١٨-١٩١٩ لم تتح الفرصة لنشاط وظيفي مهم يقوم به الحصري. وتوكيدا لهذا الرأي ذكر الحصري انه عمل خلال فترة الوصاية الدولية قائمقاما لقضاء "رادوويتشة" التابع لولاية قوصوة وذلك في معرض اشارة الحصري الى مستقبل تعامله مع المستشارين البريطانيين. وبعد مغادرته الى سوريا تولى فورا منصب اول وزير للمعارف في العهد الفيصلي. الحصري، مذكراتي، ج١، ص٣٧

Cleveland, Op. Cit., pp. 40-45;

الدين الشهرستاني حول مدرسة العشائر وتمكن من اقناع الملك فيصل بالتخلي عن فكرتها نهائيا[١١٠] . كما عارض مقترح ساسون حسقيل وزير المالية المتضمن تقديم المساعدات المالية للمدارس الاهلية حسب عدد طلابها لانه رأى ان المساواة بين المدارس في المساعدات يسهم في تشجيع المدارس الفتية على تحسين اوضاعها[١١١] . وعارض مقترح المس بل حول مشروع قانون حفريات الاثار لانه منحاز الى هيئات التنقيب الاجنبية، مما حدى بالمس بل الى فك ارتباط دائرة الاثار من وزارة المعارف وربطها بدائرة الاشغال[١١٢] . وعارض الحصري ايضا منشور تحديد وانتظام الاعمال في وزارة المعارف الواجب التنفيذ من ١/٣/١٩٢٣ لانه لايعط المدير العام غير صلاحيات محدودة جدا[١١٣] . كما عارض مقترح فهمي المدرس حول مشروع جامعة آل البيت (١٩٢٤) لانه رأى ان الظروف والامكانيات غير مهيأة لها[١١٤] . كما عارض مقترح لجنة المثقفين الكرد باضافة (١٥) حرفا على الابجدية العربية لاغراض تأليف الكتب المدرسية في المدارس الكردية لعلمه وادراكه بان اللغة الفارسية لم تضف غير اربعة حروف فقط[١١٥]. كما عارض مقترح وزارة المعارف حول مشروع القاموس العربي للمصطلحات العلمية والفنية لانه رأى ان تنفيذ هذا المشروع يجب ان يتم في مصر وليس في العراق[١١٦] . كما عارض مقترح الوزير صادق البصام حول مشروع الجامعة العراقية لانه رأى ان المقترح يلحق الاضرار الشديدة بدار المعلمين العالية التي يعدها الحصري من منجزاته التي يعتز بها ولانه رأى ايضا ان المشروع بعيد كونه يهدف الى تأسيس جامعة حقيقية، بل هو ينحو منحى ما ذهب اليه فهمي المدرس من ان مشروع الجامعة لا يستلزم شيئا غير تغيير بعض الاسماء وبعض الامكنة[١١٧] . وربما يبدو طريفا ان نقول ان قانون مجالس

المعارف كان القانون الوحيد الذي لم يعارضه الحصري غير انه يعترف فيقول: "انني لم احبذه ولكني لم اعارضه"[١١٨] .

ان هذه المعارضة وغيرها يمكن تفسيرها بالحساسية المفرطة ازاء العقلية العراقية من ناحية وتجسيد الذات الحصرية من ناحية اخرى. ولان العقلية العراقية التي كانت تسهم مع الحصري في الادارة التربوية كانت تسيء الظن في الحصري وتعد معارضته لامعنى لها غير "خالف تعرف" ما لم يكن الحصري نفسه صاحب المشروع المقترح، لذا بات الصدام والمواجهة امرا لابد من وقوعه. وهكذا استعدى الحصري على نفسه اشخاص كثيرين من مختلف المناصب والدرجات الوظيفية بدء من موظفي المشورة البريطانية ووزراء المعارف (فارل، غاربيت، سمرفيل، بل، عبد الحسين جلبي، ابو المحاسن، عبد المهدي، صادق البصام)[١١٩] ومرورا باعمدة المعارف والثقافة (فهمي المدرس، احمد الشيخ داود، توفيق وهبي)[١٢٠] ومدراء المعارف (يوسف عز الدين، سليم حسون، محمد عبد الحسين)[١٢١] ورجال الصحافة (ابراهيم صالح شكر، محمود نديم اسماعيل)[١٢٢] وانتهاء بالمعلمين والمدرسين والموظفين الذين سماهم الحصري بالمشاغبين[١٢٣] . ولم يلبث حتى وجد نفسه لاحقا يعاني من المرارة لخيبة امله ببعض القوميين الذين كان ظنه بهم ايجابيا (فائق شاكر، سامي شوكت، فاضل الجمالي، متي عقراوي، ابراهيم كمال، محمد رضا الشبيبي، يوسف زينل)[١٢٤] وغيرهم.

وفي مقابل ذلك كان الحصري قد انجز بمعرفته خلال السنوات الخمس التي قضاها في وزارة المعارف ١٩٢٢-١٩٢٧ معاونا للوزير ثم مديرا عاما للمعارف مجموعة من التعليمات والانظمة والتدابير التي ارتبط اقتراحها واصدارها باسمه فكان لاجل ذلك راضيا عن نفسه وشاعرا بتحقيق ذاته وهي :[١٢٥]

١- تعليمات صلاحيات مديري المعارف لسنة١٩٢٢.
٢- تعليمات صلاحيات مفتشي المعارف لسنة١٩٢٢.
٣- النظام التعليمي الجديد للدراسة الابتدائية سنة١٩٢٢.
٤- البلاغات العامة الخاصة بتوجيهاته للمعلمين والمدراء لسنة ١٩٢٤-١٩٢٥.
٥- نظام المدارس الاجنبية (اعترض عليه المندوب السامي البريطاني) ١٩٢٦.
٦- نظام لجنة الاصلاحات العلمية (١٩٢٦)
٧- تنظيم دار المعلمين بناية ونظاما وطرائق تدريس
٨- تشكيل جمعية الكشافة العراقية ووضع نظامها واهدافها وتجهيزها بالمستلزمات وجعل الملك فيصل الاول راعيا لها.
٩- الغاء اتفاقية الكونكرداتو الخاصة بالانفاق على المدارس الطائفية وجعل هذه المدارس تحت اشراف وزارة المعارف مقابل دفع الوزارة للمرتبات والمصاريف الاخرى.
١٠- وضع مفردات منهج موحد لدروس التربية الدينية لجميع المدارس الرسمية واقرار كتابين منهجيين لكل من المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية ودار المعلمين.
١١- انشاء مدرسة وصفوف مسائية لموظفي الدولة لتمكينهم من مواصلة دراستهم في المعاهد العليا بدلا من التساهل في قبول البعض في مثل هذه المعاهد.
١٢- تأسيس دار المعلمات ووضع نظامها وادارتها.
١٣- انشاء مدرسة وصفوف ليلية جوار المدرسة الايرانية في محلة باب السيف ضمن خطة ازالة تأثير المدارس الايرانية في العراق.

وغير ذلك مما لايتسع المجال لذكره بطبيعة الحال. على انه من نافلة القول ان نشير الى ان التجسيد المفرط للذات الحصرية التي لم

تخلق لزمانها، كما يقول ناشر مذكراته[١٢٦] ، لازمت الحصري طوال تقلبه في المناصب التعليمية والثقافية على مدى تسعة عشر عاما وليس ادل على ذلك من ملاحظاته التي غمز فيها قناة رجالات الدولة العراقية من السياسيين ورجال الثقافة والاداب والعلوم والدين. انهم برأيه امثلة متنوعة للجهل وسطحية التفكير والغرور الفارغ وعدم الجرأة وغير ذلك من النعوت والاوصاف. وفي المقابل لم نجد في مذكرات الحصري عراقيا من معاصري الحصري استحق المديح على نحو ثابت متصل وبخاصة اولئك العاملين في حقل المعارف. وفيما يأتي جانبا من ملاحظات الحصري:

- عبد الرحمن النقيب (رئيس وزراء): يبقى يده الى جنبهِ بعد مصافحة الاخرين ولايعيدها الى وضعها الا بعد غسلها.. معجب بالولاة الاتراك.. فلان عظيم.. فلان مدبر.. فلان حكيم.. سمع صبيحة الشيخ داود تنشد قصيدة الخنساء فصاح هذا لايجوز.. لايجوز.. قيل له سيدنا انها طفلة عمرها سبع سنوات.. صاح لايجوز.. لايجوز حتى لو كانت ترضع![١٢٧] .
- جعفر العسكري ونوري السعيد: لم يتجرأ أي منهما على نقد سياسة الانكليز امام غاربيت الا بعد ان سمعا نقدا صريحا لسياسة بريطانيا في العراق من الحصري[١٢٨] .
- عزت بك الكركوكلي (الوزير): قال: كنت في العهد العثماني أأمر وانهي واليوم امري لايتعدى حدود هذا البارافان[١٢٩] .
- مصطفى الالوسي (الوزير): قال: "...لايعرف ان كان سيبقى ام سيروح؟!"[١٣٠] .
- عبد اللطيف المنديل (الوزير): من ذوي الاراء التجديدية!! يريد تحويل التكايا والمساجد الزائدة الى عقارات! وبفلوسها ننشيء مساجد في المحلات التي تحتاج اليها!![١٣١] .

- ناجي السويدي (الوزير): ضاق ذرعا بمتابعة ساطع الحصري لقضية الشهادات المزورة فقال بعنجهية غريبة: ما دامت مدرسة الحقوق تابعة لنا (العدلية) فنحن نفصل من نريد ولا نعترف لوزارة المعارف بالتدخل في شؤوننا"[١٣٢].

- توفيق السويدي (رئيس مدرسة الحقوق): عز عليه ان يتهم بعدم الانتباه للشهادات المزورة فقال: مولانا هل تظن انا ما كنت اعرف الحقيقة!؟ الملك طلب ان نتساهل في قبول الجعفرية وانا تساهلت في قبول الجعفرية وغير الجعفرية[١٣٣].

- مجيد الشاوي (صاحب جريدة دجلة): قال عنه جعفر العسكري: انه صنيعة الانكليز[١٣٤].

- احمد الراوي: من المعلمين المشاغبين[١٣٥].

- محمود نديم اسماعيل (صحفي): مشاغب[١٣٦].

- الطبيب سامي شوكة (مدير المعارف العام الوزير فيما بعد): اظهر حماسة عمياء لنبش قبر ابن خلدون! كتب سلسلة مقالات بعنوان صناعة الموت! قال حنا خياط متندرا: الطبيب الجاهل هو الذي يجيد صناعة الموت. الاحوال برهنت لي باني كنت مخدوعا في حقيقة تفكيره القومي[١٣٧].

- ثابت عبد النور (رئيس المعهد العلمي): توهم ان سبب امتناع الحصري عن قبول عضوية المعهد العلمي نوعا من الترفع بسبب عدم انتخاب الحصري لرئاسة المعهد[١٣٨].

- محمود النقيب (رئيس الحزب الحر العراقي): رئيس الحزب الاحر واللاوطني... وجد الموتورون لدعاياتهم انصارا ومعاضدين في حزب محمود النقيب وصاروا يلفقون الاخبار الكاذبة لاستثارة نعرة "العراقي والدخيل"[١٣٩].

- فهمي المدرس (رتب جامعة آل البيت): ان قوله: ان ساطع خالف مشروع الجامعة بعد ان وافق ، هو استهتار غريب بوقائع الاحوال.. ان مقالة فهمي المدرس وثيقة تكشف عقلية كاتبها وتظهر مبلغ بعده عن تفهم معنى الجامعة(١٤٠).

- احمد الشيخ داود (الوزير): شكى من ان ابنته صبيحة كانت تستحق عشر درجات وليس تسع درجات في الامتحان!! وان امين زكي (الوزير فيما بعد) اطلع بنت تنافس ابنته على الاسئلة الامتحانية!! طلب احمد الشيخ داود تعيين ابنته صبيحة ذات الشهادة الابتدائية معلمة في دار المعلمات وهدد ياسين الهاشمي بالانسحاب من الحزب ما لم يتم هذا التعيين!!(١٤١) .

- ابراهيم كمال (مدرس في كلية الحقوق.. وزير): حقد على الحصري لان الاخير اشهر عدم مصداقيته في مجلس الكلية(١٤٢).

- محمد علي بحر العلوم (وزير الصحة والمعارف): يقسم بالله العظيم ان المتطبب احسن من الطبيب(١٤٣) .

- هبة الدين الشهرستاني (الوزير): قال الملك: ساطع احزر ما هذه؟ قلت: حزورة! قال الملك: لا، قلت: حرز (دعاء)!، قال الملك: لا، هذه خطة مدرسة العشائر التي وضعها العلامة الشهرستاني!! يقولون انه علامة.. ولكنه يجعل التاريخ والحساب من علوم العربية والجغرافية والهندسة والرسم من العلوم الزراعية!!(١٤٤).

- محمد مهدي البصير (من رجالات الحركة الوطنية الدكتوراه فيما بعد): صاحب غرور فارغ، يغوص في السفسطات اللفظانية.. يعاني من الجهل المركب.. مثال بارز على المعلومات غير المهضومة الممزوجة بمنازع التفكير الذي يحكم على الاشياء من خلال الالفاظ..(١٤٥)

- محمد ابو المحاسن (الوزير): جاهل لمعنى الحكومة ومعنى النظام، صاحب نزوات واغراض شخصية، لايحسب للمصلحة العامة أي حساب.. شكاه الحصري عند رئيس الوزراء جعفر العسكري قائلا: لا استطيع ان اتولى عمل حارس المجانين[١٤٦].

- محمد رضا الشبيبي (الوزير): معلوماته ومطالعاته المتفرقة المحرومة من الجذور، البعيدة عن التنسيق، لم يضمن له الفهم الصحيح لمذاهب التربية والتعليم، ولخطط المعارف، فلم يمنعه من الخروج عن جادة الصواب[١٤٧].

- عبد الحسين الجلبي (الوزير): كان جوكر الوزارات العراقية، الذين يعرفون ان عبد الحسين الجلبي كان ساذجا وبسيطا لايعرفون المشاكل التي احدثها في وزارة المعارف خلال وزارته الاولى.. بعد اقصاء السكرتير احمد جواد، اصبح عبد الحسين الجلبي وزيرا "لايضر" وان كان "لاينفع" ايضا[١٤٨].

- صادق البصام (الوزير): عصبي المزاج سريع الانفعال، شديد الاندفاع، بعض الظروف والاحوال تثير فيه النوازع الشخصية، مواقفه وتصرفاته تقلبه بين الصالح والطالح [١٤٩].

- فاضل الجمالي (مدير المعارف العام): توهم ان نظام التعليم الذي اقامه الحصري في العراق ذو سلمين! بعد ان رد عليه الحصري في احدى الصحف صار المعلمون يسمونه: الجمالي: سلم سلمين.. ولان الحصري قال في رده: ان الجمالي يريد ان ينتصر انتصارا دون كوشوتيا! صار البعض يسميه: قل لدون كوشوتي[١٥٠].

- خليل اسماعيل (مدير المعارف العام): يحمل عقلية المأمور بمعناها اللغوي.. يعمل كل ما يؤمر به.. تعيينه لم يعالج أي داء من ادواء المعارف[١٥١].

- فائق شاكر (الطبيب والنائب): كان سهل الانزلاق نحو الديماغوجية، تكلم في المجلس النيابي عن مدارس البنات فقال: مدارس البنات لاتحتاج الى فسيولوجيا وسايكولوجيا، بل تحتاج الى كنسولوجيا وطبخولوجيا[152].
- ابراهيم صالح شكر (صحفي): قال: لااريد اشوف (حسن ترتيب المدرسة الثانوية)، لاني لا اريد ان اغير رأيي في ساطع الحصري[153].
- متي عقراوي (الاستاذ في دار المعلمين العالية): كتب الى بول مترو (رئيس لجنة الكشف التهذيبي الامريكية): هذه فرصة سانحة لبعض المؤسسات الامريكية للتعاون في تنفيذ خططها مع حكومة راغبة مستعدة "حرفيا"[154].
- سليم حسون (مفتش معارف الموصل): كان بعيدا عن المقدرة العلمية والخبرة التربوية التي تؤهله لوظيفة مفتش معارف، اعتاد التفاني في خدمة الطائفية مكروه من المسلمين والطوائف المسيحية الاخرى[155].
- ساسون حسقيل (الوزير): ابعد الناس عن التفكير في مصالح البلاد.. موتور من الحصري وحاقد عليه..[156]
- عبد المهدي المنتفكي (الوزير): اظهر من اول يوم نياته في "تخليص المعارف من سيطرة ساطع الحصري"..[157]
- المستر سمث (مفتش المعارف العام ذو علاقة وثيقة بالحصري): قال الحصري: المستر سمث كان يطلعني على ما يقوله الوزير! والجماعة (لجنة اصلاح المناهج) لايعرفون شيئا عن المنهاج الحالي، ولايعرفون ماذا يريدون.. قال سمث: لنعد طبع المنهاج الحالي، على ان نغير غلافه، ونكتب عليه وضع في عهد الوزير السيد عبد المهدي..انا متأكد، من انهم لاينتبهون الى ما حدث..[158]

والحق فان المرء ليعجب اشد العجب وهو يطلع على ما كتبه الاستاذ الحصري عن هؤلاء الرجال الذين كان لكل منهم اسهامة في بناء الدولة العراقية على قدر حاله وامكانياته.. واذا جاز للحصري ان يحتفظ ببعض الملاحظات السلبية عن الرجال الذين عاصرهم، فكيف سمح لنفسه ان ينشر هذه الملاحظات الماسة بشخصياتهم بمن فيهم الرجال الذين كانوا يجلونه وبخاصة المستر سمث والعلامة الشهرستاني؟ !(١٥٩) .

هذا هو الشهرستاني الذي سخر الحصري من علمه يكتب ممجدا دور الحصري فيقول:

"وبذلك تكون سعادتكم قد اضفتم على خدماتكم المجيدة للمدارس العراقية حلقة اصلاح اخرى لاتقتصر عن اخواتها.. المحب الصميمي

هبة الدين.."(١٦٠)

واغرب من كل ما ذكر ان يكون الحصري نفسه هو ناشر كتاب الشهرستاني المشار اليه اعلاه مع صورة زنكغرافية منه، الامر الذي يعني ان الحصري كان يهدف اكثر من هدف من وراء نشر هذه الوثيقة المهمة وهي: تأكيدخدماته الجليلة باعتراف الشهرستاني، ولقم مؤلفي كتاب "سر تأخر المعارف في العراق" حجرا لانهم عزوا كل التقدم للوزير الشهرستاني وكل النقائض للمدير العام الحصري(١٦١) . وهذا هو الشهرستاني يمجد دور الحصري وبخط يده في رسالة تضمنت طلب اعمام كتاب الشهرستاني "توحيد اهل التوحيد" على الصفين الخامس والسادس الابتدائي بصفة كتاب منهجي(١٦٢) . اما الحب الصميمي فكان، على ما يبدو، حبا من طرف واحد، واغلب الظن ان الحصري كان يمارس نوعا من كبح تضخم الذات بصورة واعية الامر الذي لم يخف

عن ناشر مذكراته حين وصف صاحب المذكرات الاستاذ الحصري "عـالم عامل سبق عصره"[١٦٣] . وهو شعور الحصري بدون ريب.

والطريف ان الحصري يمضي خطوات اخرى في توكيد اعـتزازه بقدراته وصحة اساليبه في التعليم ونظرياته في التربيـة، فـهو يقـوم باجراء اختبارات ميدانية ذات طبيعة استبيانية احصائية وعلـى ضـوء مقياس عقلي امريكي على عينات من التلامذة الذين هم من نتاج النظـام التعليمي الذي وضعه الحصري في العراق. فكـانت النتـائج المتحققـة ايجابية وظهر له ان المستوى العقلي لطلبة دار المعلمين العالية وطلبـة المدارس الثانوية في بغداد مناظر تقريبـا للمسـتوى العقلـي لطلبـة المدارس والمعاهد الامريكية المناظرة ![١٦٤] . كما لم يفـت الحصـري القول بما هو مشابه لذلك عن قانون الاثار العراقي الجديـد الـذي لـه الفضل في انجازه. ففي المؤتمر الدولي للحفريـات المنعقـد بالقـاهرة عام١٩٣٧ نقل الحصري ما يفيد: "ان التقرير الذي كتبه مقـرر لجنـة القوانين وكان استاذا مشهورا في مقارنة قوانين الاثار الموضوعة فـي مختلف بلاد العالم، ذكر صراحة ان قانون الاثار العراقي احسن واشـمل القوانين"[١٦٥] .

واذ يطول الحديث عن الصفات الوجدانيـة المكتسـبة واخرهـا الشعور بالزهو لما تحقق وانجز، فان ثمة عوامـل اخـرى لابـد مـن الوقوف عندها واخصها ما نسبه الحصري لنفسه من الصراحة والجـرأة في قول الحق. ففي معرض حديثه عن قلق الملك فيصل على المسـتوى العقلي لولده الامير غازي طلب منه دراسة حالته واعلامه عن وضعـه بصراحة كعهده به: "اعرف يا ساطع انك رجل صريح تقول كل ما تعتقـد به بدون مواربة".[١٦٦] وفي موضع اخر نقل مـا جـاء فـي التقريـر البريطاني الى عصبة الامم للعام١٩٢٧ الذي وصف الحصري بانه يجمع بين الحماسة والتجربة ومعرفة النظم التعليمية والجرأة في قول الحـق.

كما قال التقرير ان الحصري يتفانى في خدمة قضية التعليم وان جـهوده دائبة هادفة لتحقيق الكفاءة والتوصل الى مستوى عال مـــن المعلميـــن والتلاميذ(١٦٧) .

ومن الواضح ان روح النقد والمعارضة لافكار الغير والاصطـــدام بوزراء المعارف قد فسر جميعه بانه دليل على الصراحة والجرأة فـــي قول الحق. الامر الذي قد يّولد شعور ليس بانحياز رموز السلطة لساطع الحصري حسب، بل انه أي ساطع كان يعمل بوحي منـــهم. ولـــم يكـــن الحصري غافلا عن ذلك فقد كتب بما يشـــبه الاحتجـــاج علـــى فـــهمي المدرس قائلا: "مفتش المعارف العام لانيل سمث- البريطـــاني- كنـــت اتفاهم معه بسهولة، ولا اجد فيه معارضة.. كنت اقنعه بسهولة اعظـــم بكثير من سهولة اقناع الوزراء وسائر اصحاب الاغـــراض حتـــى مـــن العراقيين.. وقد سمعت ان بعض اصحاب الاغراض وعلى رأسهم فـــهمي المدرس كانوا يقولون لاشك في ان ساطع بك يأخذ رأيـــهم مـــن قبـــل، ويعمل بما يوحون اليه"(١٦٨) .

ولكن ساطع الحصري اقام الدليل بنفسه على مصداقيـــة فـــهمي المدرس وغيره من اصحاب الاغراض في هذه القضيـــة. فبينمـــا قـــال اصحاب الاغراض ان سياسة الحصري كانت بطيئة جدا وهو ما اشـــارت اليه ما وصف بالنتائج المحزنة التي شهر مؤلفـــو كتـــاب "ســـر تـــأخر المعارف في العراق" بها بسياسة الحصري، (عدد خريجي دار المعلميـــن للعـــام الدراســـي ١٩٢٢-١٩٢٣ (٢٥) طالبـــا ودار المعلمـــات (٥) طالبات..)(١٦٩) ، قال الحصري في معرض امتداحه المستر لانيل ســـمث مفتش المعارف العام بصراحة: ان المسألة الوحيدة التي لم يقتنع فيـــها بوجهة نظري تماما ولكنه لم يعارضني فيها كانت مسألة التوســـع فـــي دور المعلمين.. قال لي غير مرة: اني اخشى ان يحدث هذا التوسع فـــي

المستقبل بعض المشاكل.. فماذا يكون عندئذ مستقبل خريجي دار المعلمين! واما انا فاجبته بتفصيل:

"اني اعتقد اننا في المستقبل- سنحدث ضرائب خاصة بالمدارس الابتدائية ومع هذا، أي انه حتى ولو لم يحدث ذلك، فان البلاد ستحتاج الى عدد غير قليل من المعلمين الجدد. وذلك لان: اولا، المدارس الموجودة ستتوسع، وستحتاج الى عدد ازيد من المعلمين، ثم ان بين المعلمين الموجودين، عددا كبيرا لايصلح للتعليم ابدا، انهم يبعثون في وظائفهم الحالية بسبب عدم وجود من يقوم مقامهم، وفي الاخير نحن نشاهد فعلا، ان كل سنة يخرج من خدمة التعليم عدد غير قليل من المعلمين، لانهم يدخلون في كلية الحقوق او الكلية الحربية، او ينتقلون الى الخدمة في وزارات اخرى، فضلا عن ان عددا منهم يموت، وعددا اخر يصل لسن التقاعد.. ان دور المعلمين الحالية- بوجودها الحالي- تكاد تكفي لسد هذه الحاجات الاكيدة"[١٧٠] .

وهكذا يظهر ان سياسة "يواش.. يواش" التي سخر منها الحصري في اول مقابلة له مع المس بل حين نصحت باتباعها[١٧١] ، هي ذات السياسة التي اتهم البعض الحصري انه يسير عليها فعلا. وان معارضته لمشاريع ومقترحات التوسع في التعليم والتي خلقت انطباعا عن صراحته وجرأته كانت تجسيدا لرغبة بريطانية صامتة غالبا وصريحة احيانا. فسياسة الحصري التي جلبت عليه النقد الشديد، عدها كبير مفتشي المعارف البريطانيين متعجلة وسريعة ! ! ، لكن هذه السياسة حظيت بالنهاية بتقدير بريطاني عال في التقرير المرفوع الى عصبة الامم.

اما صفة الصدق كسمة من السمات الدالة على شخصية الحصري فالملاحظ انه كان حريصا على توكيد المصداقية في المهم مما ذكره من

وقائع واشخاص لعلمه سلفا ان اصحاب الاغراض ليسوا اقل همة في اظهار العكس. والشاهد الماثل امامه بلا ريب هو كتاب "سر تأخر المعارف في العراق" الذي اعتمد على الارقام الرسمية للتشهير بسياسة الحصري. فكان الحصري لاجل ذلك يوثق مذكراته بالحجج الضرورية المعروفة من مصادر التوثيق المتاحة كالتقارير والكتب الرسمية والشخصية بما في ذلك نشر صور زنكوغرافية لهذه الكتب احيانا. والحصري بهذه الصفة الوجدانية- الذهنية المكتسبة يرتقي الى مكانة المؤرخ الثبت كما يذهب رانكة "لاتاريخ بدون وثيقة" ان الحصري لايبقي للمؤرخ المدقق الا مجالا ضيقا للتأكد من توثيقه، واعني بذلك المقارنة بالاصول. ولسنا نشك في ان المؤرخ يمكن ان يكون عرضة للهفوات غير انه ينبغي ان يتجنب وضع الحقيقة في غير مكانها بقصد التضليل. وبدء فالحصري لم يكن مؤرخا حسب، ولكنه كان منظرا لدور ومكانة التاريخ[١٧٢] ، وقد اتيح له قبل ان ينشر مذكراته ان يمارس عمل المؤرخ عندما انجز كتابين مهمين في التاريخ الحديث والمعاصر اولهما (يوم ميسلون ط١ بيروت١٩٤٦) وثانيهما (البلاد العربية والدولة العثمانية ط١ القاهرة١٩٥٧). كما ان مؤلفاته القومية والتربوية تبدو حافلة بالامثلة التاريخية. على ان مذكراته في العراق التي تعد بحكم طبيعتها الذاتية اكثر اهمية في تقويم مصداقيته، تحتاج الى تقويم رجل معارف معاصر للاحداث يجمع مع صفته هذه القدرة على الرؤية التاريخية الاكاديمية. وعلى اية حال فان مراجعتنا المتأتية للمذكرات حققت نتائج ايجابية لصالح مصداقية الاستاذ الحصري باستثناء واقعتين افاض فيهما، اولهما قوله: ان كتاب النصولي الذي قرأه باهتمام، (كتاب الدولة الاموية في الشام)، لم يجد فيه ما يمس عواطف طائفة من الطوائف الدينية[١٧٣]. ولاشك في ان المدرك لاحوال العراق في العشرينيات يعرف مدى تأثير العبارات من امثلة ادناه والتي وردت في

الكتاب على بعض الناس وبالتالي تأثيرهم على الاخرين وهذه العبـارات هي:

- "ولو استثنينا النبلاء من اهل المدينة لوجدنا العدد القليل من اشـراف بقية البلاد الاسلامية موالية لعلي.. (النصولي، ص٨)
- اطاعت خراسان ومصر والعراق عليا اسميا ولم يكـن لـه السلطة المطلقة البتة في هذه المقاطعات.." (النصولي، ص٩)
- "وان لم يفعل ذلك (تسليم قتلة عثمان) تسرب الشك الى صدر الامـة فنعتقد ان لعلي دخلا في فاجعة المدينة سواء كان مجرما او بريئـا" (النصولي، ص١٤)
- "السبب السابع من اسباب سقوط الحسين هو ارتياب الحسين في حقه بالخلافة واعترافه اعترافـا صريحـا لـيزيد بامـارة المؤمنيـن.." (النصولي، ص٥٧)
- "وفد الحسين على معاوية وكان جنديا في الجيش الذي توجه لغـزو القسطنطينية بامرة يزيد.." (النصولي، ص٥٩)

وغير ذلك من العبارات التي لاشـك فـي ان النصولـي كتبـها وهومؤمن بها بعد ان اسندها الى مراجع دالـة عليـها. ولكـن الامـر المشكل في الموضوع ان للحصري رأيه الصريح في تدريس التـاريخ، فقد كتب الاستاذ الحصري في معرض جوابـه علـى اسـئلة كـارلتون واشبرن حول تدريس التاريخ فاكد على انتخاب ما هو ضروري للوحـدة ولانماء العواطف الوطنية والقومية(١٧٤) . ولما كان كتاب النصولي هـو في الاصل كتابا منهجيا "الملازم التي وزعـها علـى طلبـة المدرسـة الثانوية"(١٧٥)، عند ذلك نستطيع القول ان النصولي لم يراع بدقة فلسـفة الاستاذ الحصري وتوجيهاته فيما ينبغي ان ينتخب من التاريخ. كمـا ان الاستاذ الحصري لم يجد بدا من القول ان الكتاب يخلو مـن المسـاس بعواطف طائفة من الطوائف نظرا لتعاطفه مع النصولي(١٧٦) ، والا فانـه

يقيم الدليل على نفسه ان معلوماته عن طوائف السكان في العراق ادنى كثيرا مما كان يعتقد به.

اما الواقعة الثانية فكانت خلاف الاستاذ الحصري مع الوزير السيد عبد المهدي حول قضيةالشاعر الجواهري. وقد نشر الحصري نصوص وثائق المكاتبات بينه وبين الوزير(١٧٧)، ولم يشأ ان ينشر اصول هذه الوثائق. ان احدى هذه الوثائق وهي كتابه المؤرخ في ١٩٢٧/٤/٧ وقد حاج الحصري فيه الوزير بما ورد في كتاب الاخير المؤرخ في ٦/نيسان/١٩٢٧ فذكره بمغادرة اثنين من المدرسين نرجح ان سفرهما كان لاحقا لتاريخ الوثيقة نفسها(١٧٨). ومفهوم ان محمد الدشتي واحمد امين كانا من المناصرين لقضية النصولي، وقد قاد الاول منهما حسب رواية خالد العدساني، وهو شاهد عيان، تظاهرات الطلبة من اجل حرية الفكر(١٧٩) ، (وقارن بأشارة الحصريِ المبهمة كما وردت في المذكرات ج١ ص٥٨٧) وكان الثاني مقربا من الحصري، فكيف سوغ الحصري لنفسه، وهو المتعاطف مع قضية المدرسين والطلبة المتظاهرين والمفصولين(١٨٠) ، ان يقيم سلوك الرجلين حجة على الوزير وباثبات ذلك في وثيقة صادرة اوائل نيسان ١٩٢٧ على افتراض انهما غادرا العراق الى ايران بعد شهر من حادثة النصولي، التي وقعت في كانون الثاني- شباط ١٩٢٧، وهو امر مستبعد ايضا ؟ !

٤- تركيب العوامل والسمات لشخصية أنموذج الدراسة

تبدو شخصية الاستاذ الحصري في ضوء عوامل التحليل التي افاض البحث فيها على قدر ما تسنى من وقت انموذجا معقد البناء قلما يجود عالم الشخصيات بمثله. وكان هذا واحدا من الاسباب التي جعلت للحصري الكثير من المريدين والمحبين والكثير من الاعداء والمبغضين ايضا. فقد رأى محبوه فيه انموذجا للعالم المتفاني في العطاء والاداري الحريص على النظام والانضباط والمتابعة، والانسان العصري الذي

يرفض الواقع المتخلف، والقومي الغيور على قضية الامة العربية في حاضرها ومستقبلها. وبخلاف ذلك رأى مبغضوه ومعارضوه فيه انموذجا للشخصية المتعالية المشبعة بالافكار الغربية الحديثة التي تحتقر الثقافة التقليدية والاداري الذي يهتم حتى بتوافه الامور والساعي لنسب كل شيء لنفسه جاحدا للاخرين دورهم واهميتهم مستخفا بآرائهم وافكارهم ومقترحاتهم.

ولاننا لسنا في مجال تقويم المحق من بين هؤلاء واولئك، بل ان مهمتنا محدودة بدراسة شخصية الحصري، فان عوامل التحليل تؤشر نسقين تركيبيين في شخصية الحصري اولهما انشائي واضح التماسك وثانيهما متضاد ولكنه مسيطر عليه.

اولا: مظاهر التناغم والانسجام والتفاعل بين العوامل والسمات

ويظهر الاستاذ الحصري في هذا النسق شخصية تفاعلت فيها العوامل الجسمانية الايجابية من كمال وصحة وحيوية بالعوامل الذهنية الفطرية والمكتسبة من ذكاء وتعلم وثقافة وقد انعكست هذه سلوكيا في نشاطه ودأبه وكثرة تجوابه واسفاره واهتمامه ورعايته للحركة الرياضية والكشفية وجولاته التفتيشية للنهوض بحاجات المدارس المختلفة والكشف عن العيوب ومظاهر التقصير وتحديد اسبابها ومسببيها. وكذلك حضور الندوات والمؤتمرات محاضرا ومناقشا داخل العراق وخارجه. كما تظهر ايضا في قدرته على استثمار ثقافته الموسوعية في تأليف العديد من المؤلفات التي تحتاجها المكتبة العربية في مجال التربية الوطنية والقومية والثقافة العامة وقضايا العلم والاخلاق والثقافة والتاريخ والاجتماع. وفي الجانب السياسي تناولت مؤلفاته نشأة الفكر القومية في اوربا والفكرة القومية العربية وعلاقة اللغة والتاريخ بالفكرة القومية. كما تناولت الوحدة الثقافية العربية. وفي تراث الفكر العربي الف الحصري دراسة موسعة عن ابن خلدون وفي

التاريخ كتب عن يوم ميسلون وعن البلاد العربية والدولة العثمانية. وكان ابرز مؤلفاته المنهجية القراءة الخلدونية للتلاميذ وكتاب طريقة تعليم الالف باء ، مرشد القراءة الخلدونية لمعلمي المدارس. وفضلا عن ذلك فقد اصدر مجلة التدريسات الابتدائية في استانبول ومجلة التربية والتعليم في بغداد وحولية الثقافة العربية في القاهرة. وكتب الكثير من المقالات في الصحف والمجلات العراقية والعربية والاحاديث الاذاعية.

والحصري فيما كتبه ونشره كان منسجما مع النظريات والافكار التي آمن بها وبخاصة في مجال التربية والتعليم، كما انه كان منسجما ايضا مع النظرية القومية التي تبلورت في فكره فكان داعية لها مدافعا عنها حتى وفاته.

والملاحظ ان مكانة الحصري في العراق قد فاقت على نحو ملحوظ مكانته في سوريا ابان العهد الفيصلي حتى عام ١٩٢٠ وبعد لجوئه الى سوريا وعمله مستشارا لوزارة المعارف السورية بعد اسقاط الجنسية العراقية عنه عام ١٩٤١ وحتى عام ١٩٤٥ حين واجه المظاهرات المنددة به[١٨١] . فقد وجد الحصري في منصبه معاونا لوزرير المعارف ثم مديرا للمعارف العام في العراق المركز الوظيفي المناسب لاستثمار نظرياته التربوية واساليبه في التعليم وبما يحقق رغبته واهدافه في جعل المعارف العراقية بودقه للانموذج المطلوب من الفكرة الوطنية والقومية. ولئن كان ميدان التربية والتعليم دالا على الثقافة التخصصية للاستاذ الحصري، فان احد ابرز مظاهر الانسجام في شخصية الحصري ايمانه المطلق بصحة نظرياته واساليبه في التربية والتعليم ودفاعه عن الخطة والنظام الذي عمل على تطبيقه في العراق وكذلك الرد على منتقدي سياساته كائن من كان في كل المناسبات وبكل الوسائل. ولم نقف على تراجع للحصري في موقف من مواقفه الا في مناسبة واحدة هي اعتذاره من الوزير السيد عبد المهدي عن تصرفه

ازاء قضية الجواهري طالبا منه اتخاذ ما يراه مناسبا للمصلحة العامة[١٨٢] .

والملاحظ ايضا ان تعدد اهتمامات ساطع الحصري انسجم تماما مع ثقافته الموسوعية، فالحصري فضلا عن تخصصه في التربية والتعليم وتوجهه نحو الفكر القومي كان مهتما اهتماما كبيرا بالأثار القديمة والعمارة الاسلامية والمخطوطات. وفي مذكراته اشارة الى مكتبته الشخصية التي عكست سعة اطلاعه وعلاقته الحميمة بالكتاب والتزامه بالنظام وحبه له بطريقة عجيبة. كل شيء في هذه المكتبة منظم ومفهرس ومحفوظ بطريقة يسهل الرجوع اليه بما في ذلك الاوراق والوثائق. وضمت مكتبته الصوتية تسجيلات للموسيقى الكلاسيكية التي شغف بها، وتقول حفيدته انها ورثت مجموعته الخاصة من طوابع البريد التي كانت احدى هواياته المفضلة وربما كانت اصل اهتمام الحصري بالآثار والمخطوطات وتجواب المناطق والآثار في البلدان العربية.

ولان ثقافة الحصري وتجربته قد اكدت على صواب النظرية الالمانية التي تعتمد على اللغة بوصفها اساسا للقومية، فقد اخذ الحصري على عاتقه تطبيق النظام الالماني في المدارس العراقية[١٨٣] . وهو ما صرح به في مذكراته بقوله "ان النظام الذي وضعته والتزمته في العراق كان يشبه"نظام الفرند تشولا"اي "مدرسة الاساس"المشهور في المانيا[١٨٤]. "ولما كان النظام والانضباط هو احد اهم وسائل تحقيق الاهداف الوطنية والقومية في نظام التعليم الالماني، لذا كان الحصري انموذجا للتنظيم في حياته الخاصة وادارته للمديرية العامة للمعارف والدوائر الاخرى التي عمل فيها، بينما احتلت الحرية مرتبة ادنى في تفكيره شأنه في ذلك شأن المثاليين الالمان الذين عدوا الدولة الوطنية والقومية بما تعكسه من انضباط حديدي دليلا على تقدم الوعي بالحرية.

وهكذا قال الحصري: "الوطنية والقومية قبل كـل شـيء وفـوق كـل شيء... حتى فوق الحرية وقبل الحرية ..[185]" وتقول حفيدته ان جدها الحصري الذي كان ينعتها "بالبنت الفكيهة" اصر على وجوب تسـجيلها في المدرسة الالمانية لضمان انضباطها[186].

وفي المقابل ظهر ان تحرر الاستاذ الحصري من الطقوس الدينية متوافق مع دعوته للقومية العلمانية ورفضه لهذا الجـانب مـن الارث الثقافي الديني ربما لاعتقاده انه يؤثر سـلبيا علـى الوعـي بالحريـة والقومية. ولم يتأيد لنا فيما اذا كان هذا التحرر يقوم حجة علـى تغـير معتقداته او انتمائه لحركة او جماعة معينة. كما ان شخصية الحصـري ومظهره ببدلته الاوربية وامتناعه عن وضع الطربوش او العمامـة او السدارة الفيصلية منسجمة مع عصرانيته، ومع ذلك فهو لم يكتسب ايـا من العادات الفاوستية كالتدخين وشرب القـهوة والخمـرة ومعاشـرة النساء. كما دلل على عصرانيته في حياته الاسرية فكانت زوجته جميلة خانم او ابنته سلوى انموذجا للمرأة العصرية المتحـررة مـن تقـاليد الماضي وبخاصة الحجاب[187] .

ثانيا: مظاهر العوامل والسمات المتضادة

ان نسق العوامل المتضادة في شخصية الحصري يظهر في صيغة مواقف فكرية معرفية وسلوكية مختلفة ومتبـاعدة ومتضاربـة. ويعـد تشخيص هذا التضارب في المواقف المذكورة احـدى النتـائج المهمـة لعملية التحليل المنهجي لعوامل الشخصية. وعلى الرغم من ان مثل هذه المواقف قد لاتعني شيئا للاستاذ الحصري نفسه حيث انه قد لايرى فـي مظهره وفي جوهره الا الصورة المثالية التي يتحقق فيها الانسجام بيـن المواقف الفكرية- السلوكية وعوامل التنشئة والتكوين العقلي الثقـافي، الا انه لاسبيل لاختبار جمال هذه الصورة المثالية الا من خلال وضعـها

امام مرآة الناس الاخرين، وهي مرآة تبدو اكثر حساسية في التقاط صور العوامل والمواقف المتضادة في شخصية الحصري[١٨٨] . وثمه بضعة عشر من السمات المتضادة يمكن اجمالها فيما يأتي:

انه رائد للفكرة القومية العربية المعاصرة، لكنه استهل حياته الفكرية السياسية داعية للرابطة العثمانية واضعا خدماته تحت تصرف الدولة العثمانية، ولم يشاطر رجال الحركة العربية اهتمامهم باوضاع العرب اومستقبلهم السياسي[١٨٩] . وهو بالرغم من ارومته العربية[١٩٠]. الا ان لغته الاولى كانت التركية ونافذته الاولى على الثقافة المعاصرة كانت اللغة الفرنسية، بينما لم يكن للعربية شأن في حياته الثقافية حتى نهاية العقد الرابع من عمره[١٩١] . والحصري بالرغم من ثقافته الفرنسية، الا انه اعتقد بالنظرية الالمانية حول القومية وهي النظرية التي تقول ان اللغة هي اساس القومية[١٩٢] . وهو يستخدم التركية في مؤلفاته الاولى وبخاصة مجلة التدريسات الابتدائية لخدمة الوحدة العثمانية، لكنه يستخدم هذه اللغة فيما بعد لتأكيد اقرار الوثائق والمصادر التركية ان الموصل عراقية وليست تركية[١٩٣] . وهو يقيم نظاما تعليميا على غرار (الغرندتشولا) أي مدرسة الاساس المشهور في المانيا بالرغم من معرفته ان العراق تحت الانتداب البريطاني وبالرغم من دراسته لنظام التعليم في مصر لغرض الاستفادة منه في تجربته المنتظرة في العراق[١٩٤] . وهو اذ كان مبدأ هدفه في معارف العراق ازالة النفوذ البريطاني عنها الا انه خلق شعورا مفاده ان مبدأ الحصرية يعني مقاومة التأثير الايراني في المعارف[١٩٥] . والحصري الذي اعترض على تعيين احمد جواد سكرتيرا لوزارة المعارف لكونه ايراني الجنسية حسب قوله، لم يجد مسوغا لاية دعوة لابعاد حسين افنان من منصب سكرتارية مجلس الوزراء بالرغم من معرفته انه فارسي وسليل اسرة فارسية بهائية بارزة[١٩٦] واختص الاسرة الحصرية بعلاقات

المصاهرة[١٩٧] . والحصري بالرغم من قوله انه درس احوال العـــراق، الا ان ادارته للمعارف العامة اتسمت بكثرة المشاكل التي اثارهـــا مـــن وصفهم بالمشاغبين[١٩٨]. وهو بالرغم من تمتعه بثقة الملك ورؤســـاء الحكومات المتعاقبة وبخاصة في مجال كفاءته الادارية، الا انه اضطرهم في اكثر من مناسبة للتدخل من اجل تسوية المشـــكلات الناجمـــة عـــن علاقاته السلبية بوزراء المعارف[١٩٩] . وهو بالرغم من اشغاله منصبـــا رفيعا في وزارة المعارف، الا انه رمى جميع وزراء المعارف الذين عمل معهم باستثناء حكمة سليمان بالجهل بامور الادارة مبديا صـــبره علـــى العمل تحت سلطتهم بموجب الهرم الوظيفي[٢٠٠] . وبالرغم مـــن قـــول الحصري انه يسعى من اجل تخليص معـــارف العـــراق مـــن ســـيطرة البريطانيين، الا ان التقارير البريطانية امتدحت سياســـته[٢٠١] . وهـــو بالرغم من تأكيده على الجانب الوطني في التعليم الا انه اكتسب عـــددا غير قليل من الوطنيين في حقل التعليم بضمنهم عدد من ذوي الاتجاهات القومية خالقا له كما هو شأنه دائما عدد من الخصوم على نحو يـــوازي وربما يفوق عدد من اعجبوا به او احبوه.

والحصري على الرغم من جنسيته العراقية [٢٠٢] وخدمته الطويلة تحت لواء فيصل في سوريا والعراق، وبالرغم من معرفته بجهود فيصل ازاء القضية العربية بعامة واتحاد سوريا والعـــراق بخاصـــة، وكذلـــك صلاته الوثيقة بياسين الهاشمي الذي كان معقد امال القوميين في كـــل مكان من دنيا العروبة، الا ان الحصري لم يكن مؤمنا بزعامة الهاشميين ولا بزعامة العراق للامة العربية، بل انـــه رأى الزعامـــة لمصـــر دون غيرها من الاقطار العربية مع ادراكه بضعف شعورها بانتمائها القومـــي العربي[٢٠٣] .

وفي موضوع النزعة العلمانية وصف الحصري بانه كان مفرطـــا فيها زيادة عن اللزوم وان هذا الافراط لايتوافق مع حقيقتـــه الشـــرقية

وكونه ابن قاض ميدان عمله الفقه والشريعة ومظهره الجبة والعمامة(٢٠٤) . ومع ذلك فقد بدت ملاحظاته الساخرة من عبد الحسين جلبي الوزير بمناسبة خلع الاخير جبته وكشيدته وارتدائه البدلة السموكنك مؤشرا على اضطراب نزعته نحو العصرنة والتحديث(٢٠٥). اما استخفافه بطريقةومستوى تفكير الكثيرين وزراء وسياسيين ورجال معارف وتندره باحاديثهم التي سمعها منهم والتي حفلت بها مذكراته فانها ترتد عليه من موقف لايقل تندرا عما كان يعيب عليه غيره. ها هو الحصري وهو امام ائمة العلمانية يشهد اداء العوام في الكاظمية تمثيلية حادثة الطف (مصرع الامام الحسين) فيوعز بصفته متضلعا بالتاريخ لصبيح نجيب ان يتدخل بطريقة غير ملفتة للنظر ويأمر حامل العلم العراقي بالانتقال من معسكر عمر بن سعد الى معسكر الحسين ثم اضطر الحصري ان يصدر توجيها جديدا لحامل العلم بالانسحاب من ساحة المعركة عندما طرد اتباع الحسين حامل العلم العراقي من معسكرهم(٢٠٦).

وفي الجانب المنهجي المعرفي كان الحصري وهو الحريص على تبويب مذكراته على وفق التسلسل التاريخي حريصا ايضا على دعمها بالوثائق التي تيسرت له وهي غير قليلة. ولكن ربما يتفاجأ المتخصصون الذين يعرفون ان مذكرات الحصري ضمت محاضراته التوجيهية التحذيرية "في اصول ستر الحقائق"(٢٠٧) انه عبر من خلالها ايضا عن معرفته بهذا الفن او الاسلوب المعرفي، وكان ممارسة هذا الفن في المذكرات نفسها امر يبعث على الحيرة ويزيد من صورة الشخصية المعقدة التكوين للاستاذ الحصري. فالوثائق التي نشرها الحصري جاءت بصور اصولها حينا وبنصوصها حينا اخر. وثمة وثيقتين من النوع الاخير تحتويان على حوادث يرجح انها وقعت بعد تاريخ صدورهما الامر الذي يثير الشكوك فيهما(٢٠٨).

اما في الجانب الشخصي العائلي فان العوامل المتضادة تبدو باهتة حينا ومثيرة للاهتمام بالرغم من ضبابيتها حينا اخـــر. والمشـــهور ان ساطع بك سوري الاصل يمني المولد، تركي النشأة، عراقي الجنســـية، واتخذ لقب الحصري (بضم الحاء وسكون الصاد حسب رواية حفيدتـــه)، وفي اللغة "الحصر" اعتقال البطن (كتاب العيـــن ج٣ ص١١٣) وكذلـــك (دوزي ج٣ ص٢١٧) وخلافا للقب الحصري لوحظ ان مجلة لغة العرب حين نعت شقيقه بديع نوري نسبته الى آل الجابري في حين قالت ثروت فنون في نعيها لبديع نوري انه ابن هلال الجلبي وهو لقب مـــن القـــاب الشرف العثمانية(٢٠٩) وفي احـــدث دراســـة عـــن الحصـــري نشـــرت عام١٩٩٦ نقل مؤلفها فرهاد ابراهيم وهو سوري يعمـــل فـــي جامعـــة برلين الحرة، عن احد مؤرخي الفكر التركي المعـــاصرين مـــا يفيـــد ان الحصري لم يعرف بلقب ما ابان المرحلة العثمانية من حياته(٢١٠). امـــا حفيدته فتقول ان آل الجابري هم اقرباء آل الحصري وانها ورثت مـــن جدها شجرة نسب تمتد الى الامام علي بن ابي طالب. وربما يكون مفيدا التذكير هنا ان علمانية مصطفى كمال التي دعت الاتراك لنبـــذ القابـــهم القديمة واتخاذ القاب جديدة تفصح عن نزعة مماثلة ولدى ساطع بك بل هي رائدة وسابقة على اتاتورك على ما نرى.

واخيرا فان واقعة زواج كريمة الحصري من احد انجـــال جعفـــر العسكري ربما لها دلالتها على جوانب مهمة من شـــخصية الحصـــري، (مرض نجل العسكري)، فقد قمنا بعملية ربط تاريخي اوصلتنا الى بعض الاستنتاجات المثيرة والطريفة والقابلة للمزيد من التحقق وهي:

١- ثمة علاقة بين واقعة الزواج ووجوب قيام نوري السعيد وهو رجـل الدولة القوي وخال العريس بمســـعى لاعـــادة الجنســـية العراقيـــة للحصري بشروطه التي يسترد بها كرامته التي هدرت عـــام١٩٤١ حين طبق عليه المرسوم رقم (٦٢) لسنة ١٩٣٣ (الخـــاص بالمـــار شمعون) ونزعت عنه جنسيته العراقية التي منحت له في عهد فيصل الاول(٢١١) .

٢- وجوب استعادة الحصري للجنسية العراقية بلائحة قانونية يقرها البرلمان ويصادق عليها الوصي عبد الاله وينفذها رئيس الوزراء جميل المدفعي وهما المسؤولان عن نزع الجنسية عنه عام١٩٤١. وقد تحقق ذلك في جلسة المجلس النيابي بتاريخ ١٩٥٣/٤/٢٢، في حين صدر قانون اعادة الجنسية رقم (١٨) لسنة ١٩٥٣ في ١٩٥٣/٥/١٧ بتوقيع فيصل الثاني بعد انتهاء عهد الوصاية. وقد شمل بالقانون كل من درويش المقدادي وعبد العزيز الكنفاني فضلا عن ساطع الحصري الذي كان تسلسله الاول بين الشخصيات الثلاث[٢١٢] .

٣- مسرحية قيام حكومة المدفعي السادسة ١٩٥٣/١/٢٩- ١٩٥٣/٥/٥ وكانت قد استقالت بمناسبة اعتلاء الملك فيصل الثاني العرش في ١٩٥٣/٥/٢ ثم صدرت الارادة الملكية باعادة تكليف المدفعي بتشكيل حكومته السابعة ١٩٥٣/٥/١٧- ١٩٥٣/٩/١٥. ويبدو مثيرا الملاحظة ان حكومتي المدفعي شكلت باغلبية برلمانية لنوري السعيد مع عدة حقائب وزارية له ولمحسوبيه ممن لم يكن المدفعي راغبا بضمهم للوزارة غير انهم فرضوا عليه من قبل الوصي.وكان نوري السعيد حسب رواية الحسني الرئيس الفعلي لحكومة المدفعي سواء السادسة ام السابعة[٢١٣] . وجدير بالملاحظة ان نوري السعيد احبط اكثر من محاولة للوصي لتكليف شخصية اخرى غير المدفعي، حسب اكثر من شهادة سياسية[٢١٤] .

٤- ادرك الوصي عبد الاله مناورة نوري السعيد في الوقت المناسب فدفع باللائحة القانونية الى الملك فيصل الثاني لتكون من اوائل القوانين التي استهل بها عهده بعد انتهاء الوصاية، وربما كانت هذه القضية من بين القضايا غير المعروفة التي اسهمت في تدهور العلاقة بين الوصي ونوري السعيد على افتراض ان نوري السعيد وضع البلاط امام الامر الواقع بشأن تكليف المدفعي اولا[٢١٥] ، وقانون اعادة الجنسية للحصري وزميليه لاحقا.

٥- الخاتمة

ذهبت بعض نظريات الشخصية الى اعتبار الشـــخصية قائمـــة على قوة دافعة، لذلك فالحياة هي عملية تفتح وازدهـــار لتلـــك القـــوة الدافعة[٢١٦]. ان عملية تحليل وتركيب عوامل الشخصية وسماتها لـــدى الاستاذ الحصري تعكس كما نرجح وجود قوة كامنة دافعـــة ازدهـــرت اثناء حياة الحصري وان القوة الكامنة الدافعة في شخصية الحصـــري كانت تسعى في اتجاهين: اولهما تحقيق الذات من خلال التعبـــير عـــن درجات عليا من القدرة والاستعداد والمواهب في ميدان العمـــل، حيـــث اظهر الحصري من القابليات الادارية والمواهب الذهنية ما فـــاق بـــها معاصريه فكان اعتداده الشديد بنفسه نسقا في شخصيته معبرا عن هـذا التفوق. وثانيهما سعي تلك القوة الدافعة لتحقيـــق المســـتقبل الوطنـــي والقومي للوسط الانساني الذي عد الحصري نفسه جزء منـــه قطريـــا وعربيا فكانت دعوته القومية وهي دعوة من شأنها ان تضـــع الامـــة العربية ومنها وسطه الانساني في مقامها الذي تستحقه بين امم العـــالم المتمدن المعاصر. وعلى الرغم من ان التحليـــل والـــتركيب المنـــهجي لشخصية الحصري يظهر وجود نسق من العوامل والسمات المتضـــادة (جرثومة الصراع لادامة زخم الحركة حسب اريك فروم) فهي مفـــردات جزئية في البنية المعقدة لشخصية الحصري. ومثـــل هـــذه المفـــردات الجزئية لا يمكن رؤيتها لان عوامل وسمات الانسجام والتفاعل للنســـق الانشائي تمتعت بسطوة عامة.ومنذ وفاة الحصري عام١٩٦٨ وحتـــى اليوم ما تزال شخصية الحصري تبدو كأنها عمارة لم يتقـــادم عـــهدها بعد.. وستبقى هذه العمارة شاخصة ربما لعقدين اخرين من القرن القادم طالما كان ثمة وضع سياسي يحرص على بقائها.

الهوامش

١- يوسف مراد ، مبادئ علم النفس العام ، ط١ (القاهرة ١٩٤٨)، ص٣٣٧
٢- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها
٣- المصدر نفسه ، ص٣٥٣
٤- انظر خلاصة حياة الحصري على اغلفة طبعة الاعمال القومية للاستاذ الحصري التي نشرها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت وحدد تاريخ ولادة الحصري عام١٨٧٩، (الطبعة الخاصة الثانية، بيروت: تموز ١٩٨٥).
٥- ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ١٩٢٧-١٩٤١، ط١ دار الطليعة (بيروت ١٩٦٨) ج٢ ص٥١٩
٦- يوسف الحكيم، ذكريات الحكيم (٣): سورية العهد الفيصلبي، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٦٦)، الملحق المصور ص ص١٦٠-١٦١ الصورة الثانية الى الشمال
٧- ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، الجزء الثاني، الملحق بالصور رقم (٣)، (٤)، (٨)، (٩)، ص ص(بلا ارقام).
٨- طالب مشتاق، اوراق ايامي، الجزء الاول ١٩٠٠-١٩٥٨، ط١ (دار الطليعة بيروت ١٩٦٨) ص١٢٨
٩- الحصري، مذكراتي، ج٢، الملحق بالصور رقم (١)
١٠- المصدر نفسه، الملحق بالصور رقم (١١)
١١- المصدر نفسه، الملحق بالصور رقم (٣)، (٨)، (٩)
١٢- ساطع الحصرين مذكراتي في العراق، الجزء الاول ١٩٢١-١٩٢٧، ط١ (دار الطليعة بيروت ١٩٦٧) ص ص١٥-١٦

١٣- خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠، (دار المعارف بمصر ١٩٧١) ص ص٢٠٥-٢٠٦؛ ساطع الحصري، يوم ميسلون، دار الاتحاد (بيروت ١٩٦٤) ص ص١٢٣-١٤٥

١٤- الحصري، مذكراتي، ج١ ص ص٢٢-٢٣

١٥- المصدر نفسه، ص١٢٨

١٦- المصدر نفسه، ص ص٤١-٤٢

١٧- المصدر نفسه، ص٣٠٣

١٨- المصدر نفسه، ص ص٣٢٣، ٤٠٣

١٩- المصدر نفسه، ص٥٨٨

٢٠- المصدر نفسه، ص٥٠٧

٢١- المصدر نفسه، ٥١٣

٢٢- المصدر نفسه، ج٢ ص ص٣٩٣، ٣٩٤

٢٣- سالم الالوسي، مقابلة معها، ١٢/ ٩/ ١٩٩٨

٢٤- ميادة العسكري، مقابلة معها، ١٣/ ١٠/ ١٩٩٨ ولم يتسن لنا مقابلة ولده خلدون المقيم في بيروت وابنته سلوى المقيمة في عمان

٢٥- الحصري، المصدر السابق، ج٢، ص ص٣٨٧-٣٨٨

٢٦- ميادة العسكري، المقابلة نفسها

٢٧- سالم الالوسي، المقابلةنفسها

٢٨- ميادة العسكري، المقابلة نفسها

٢٩- سالم الالوسي، المقابلةنفسها. ميادة العسكري، المقابلة نفسها

٣٠- الحصري، المصدر السابق، ج١، ص١١٣

٣١- الحصري، المصدر السابق، ج١ ص ص ١٤٠-١٤٣

٣٢- الحصري، المصدر السابق، ج١ ص ص ٣١١- ٣١٩

٣٣- الحصري، المصدر السابق، ج١ ص ص ٤٩٩- ٥٠١

٣٤- الحصري، المصدر السابق، ج١ ص ص ٤١٥- ٤٢٧

٣٥- Cleveland, Op. Cit., p. 41.

٣٦- ميادة العسكري، مقابلة معها بتاريخ ١٣/ ١٠/ ١٩٩٨

٣٧- ساطع الحصري، حول الوحدة الثقافية العربية، الاعمال القومية (١٢)، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية (بيروت آب / ١٩٨٥)، ص ص ٥١-٥٢

٣٨- ساطع الحصري، مذكراتي، ج١ ، ص٥٠١

٣٩- ساطع الحصري، صفحات من الماضي القريب، الاعمال القومية (٣)، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت: حزيران ١٩٨٥، ص ص٧٦-٧٧

٤٠- ساطع الحصري، مذكراتي، ج١ ، ص٣٧؛ الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، ص ص١٠٩، ١٤٤، ١٥٩

٤١- ساطع الحصري، مذكراتي، ج١ ، ص ص٥٠٤-٥٠٦.

٤٢- المصدر نفسه، ج١، ص٥٠١.

٤٣- المصدر نفسه، ج١، ص ص ٤٩١-٤٩٢.

٤٤- ساطع الحصري، حول الوحدة الثقافية العربية، ص٥٢.

٤٥- ساطع الحصري، مذكراتي، ج١ ، ص ٣٤.

٤٦- المصدر نفسه، ج١، ص ص٣٤-٣٥.

٤٧- المصدر نفسه، ج١، ص٤٥.

٤٨- طالب مشتاق، اوراق ايامي، ج١ ص١٢٧.

٤٩- ساطع الحصري، مذكراتي، ج١ ، ص٢٦٠.

٥٠- المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠

٥١- الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، ص ص٤٣-٤٥.

٥٢- قاسمية، الحكومة العربية، ص٢٣٥.

٥٣- ساطع الحصري، مذكراتي، ج١ ، ص ١٦.

٥٤- المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٠.

٥٥- المصدر نفسه، ج١، ص ٢٨٤.

٥٦- المصدر نفسه، ج٢، ص ص ٤٦٣-٤٩٣.

٥٧- المصدر نفسه، ج١، ص ص ٩٢-٩٣.

٥٨- ساطع الحصري، اراء واحاديث في القومية العربية، ط٣، دار العلم للملايين (بيروت ١٩٥٩) ص ص٦٨-٧٠.

٥٩- قاسمية، الحكومة العربية، ص٢٣٤ هامش رقم (١).

٦٠- ساطع الحصري، مذكراتي،ج١ ، ص ص٣٧-٣٨.

٦١- المصدر نفسه، ج١، ص ص ١٣-١٤.

٦٢- المصدر نفسه، ج١، ص ١٤

٦٣- المصدر نفسه، ج١، ص ص ١٤-١٥

٦٤- المصدر نفسه، ج١، ص ٢١

٦٥- المصدر نفسه، ج١، ص ٥٢

٦٦- المصدر نفسه، ج٢، ص ص ٥٢٥-٥٢٦

٦٧- لغة العرب، المجلد الثالث ج١ ص٥٦

٦٨- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٨ (بغداد ١٩٥٦) ص٢٣٨

٦٩- المصدر نفسه، هامش ص٢٣٨

٧٠- المصدر نفسه، ص٢٣٩

٧١- احسان هندي، معركة ميسلون، (دمشق ١٩٦٧) ص١٨٧؛ ميادة العسكري، المقابلة السابقة.

٧٢- قارن بـ: ساطع الحصري، مذكراتي، ج١، ص٦٦

٧٣- المصدر نفسه، ج١، ص ٤٥

٧٤- المصدر نفسه، ج١، ص ص ٤٩-٥٤

٧٥- المصدر نفسه، ج١، ص ص ٥٥-٧١

٧٦- المصدر نفسه، ج١، ص ص ٤١-٤٢

٧٧- المصدر نفسه، ج١، ص ص ٨٧-٨٨

٧٨- المصدر نفسه، ج١، ص ص ٩١-٩٣

٧٩- المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٨

٨٠- المصدر نفسه، ج٢، ص ص٧-١٠٨

٨١- المصدر نفسه، ج٢، ص ص ١١١-١٣٢

٨٢- المصدر نفسه ، ج٢، ص ص ١٤٣- ١٦١

٨٣- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص٣٩١-٤٥٩، ٥١٨- ٥٢١

٨٤- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص ٣١٧-٣٨٨

٨٥- المصدر نفسه ، ج ١، ص ص ٣٨٧-٣٩٣

٨٦- محمد مهدي الجواهري ، ذكرياتي ، ج١ ط١ دار الرافدين (دمشق ١٩٨٨) ص٢٤٦

٨٧- ساطع الحصري ، مذكراتي ،ج١ ، ص ص ١٨٣-٢٥٥

٨٨- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ٤٣٤-٤٥٦

٨٩- انظر: خلدون ساطع الحصري، مقدمة في تاريخ العراق الحديث ، في : طه الهاشمي، مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩-١٩٤٣ مع تحقيق ومقدمة في تاريخ العراق الحديث؛ دار الطليعة (بيروت ١٩٦٧) ص ص١٥-١٦

٩٠- فرهاد ابراهيم، الطائفية والسياسة في العالم العربي : نموذج الشيعة في العراق، ط١، مكتبة مدبولي (القاهرة: ١٩٩٦)، ص ص١٣٠-١٣١

٩١- وميض جمال عمر نظمي ، فكر ساطع الحصري القومي . في تطور الفكر القومي العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي واتحاد المؤرخين العرب ومعهد البحوث والدراسات العربية للمدة ٨-

١٠/مايس١٩٨٥ ، ط١ مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: ١٩٨٦) ص٢٠٦

٩٢- ساطع الحصري ، مذكراتي ،ج١ ، ص ص ٢٥٨-٢٦٢

٩٣- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ٢٤١-٢٤٣

٩٤- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ٤١٦-٤١٧

٩٥- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٩٠

٩٦- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ٤٦٣-٤٦٤

٩٧- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص ١٥٧-١٥٩

٩٨- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ٥٦٤- ٥٦٦

٩٩- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٥٨٩

١٠٠- الجواهري ، ذكرياتي، ج ١، ص ص١٤١- ١٤٢ وقارن بتضايق الحصري ونرفزته من فارل في : الحصري ، مذكراتي ج١ ص١٤١

١٠١- انظر ما يلي ذلك في البحث

١٠٢- ساطع الحصري ، مذكراتي ،ج١ ، ص ص ٦١٢-٦١٣

١٠٣- المصدر نفسه ، ج١، ص٦١٥

١٠٤- "كان والد الحصري محمد هلال الحصري رئيس المحكمة والقضاة في اليمن" وهي وظيفة لاوجود لها في الادارة القضائية في العهد العثماني الاخير في اليمن، وربما قصد صاحب المقولة وظيفة قاضي القضاة. انظر : شاكر علي التكريتي، ساطع الحصري "ابو خلدون" فيلسوف القومية العربية ، مجلة الف باء- العدد الصادر في ١٩٩٨/٩/٩

١٠٥- حول الصلات الاسرية بالسلطان عبد الحميد الثاني وزير البحرية العثمانية وآل الجابري في سوريا انظر : ميادة العسكري ، مقابلة معها في ١٩٩٨/١٠/١٣

١٠٦- انظر سياسة الحصري واجراءاته في سوريا ١٩١٨- ١٩٢٠ في قاسمية، المصدر السابق ، ص ص٢٣٣-٢٤٥.

١٠٧- الحصري ، مذكراتي ،ج١ ، ص ص١٤، ٨١

١٠٨- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص٧٣-٧٥

١٠٩- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص٧٩-٨٠

١١٠- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص١٤٧-١٧٥

١١١- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ١٦٣-١٧٥

١١٢- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ١٧٧-١٧٨

١١٣- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ٢٨١-٢٩٥

١١٤- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ٤٢٦-٤٢٨

١١٥- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص٤٦١-٤٧٤

١١٦- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص٨١-٨٥

١١٧- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص ٣٥٥-٣٦٤

١١٨- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ١٨٣-١٨٥

١١٩- انظر بالتتابع، - المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ١٣٦-١٤٣ ، ٦١-٦٤، ج٢ ص١١٩، ج١ ص١٨٠-١٨١، ٢٧٣-٢٧٥ ثـــم ٢٩٢-٢٩٥ ، ٣١٩ ثم ٣٧٣-٣٧٨ ، ٥٩١-٦٠٢ ، ج٢ ص٣٧٧-٣٧٩.

١٢٠- انظر على وفق تتابع الاسماء: - المصدر نفسه، ج١، ص ص٤٢٦-٤٢٨، ٤١٦-٤١٧، ٤٦٣-٤٦٤.

١٢١- انظر على وفق تتابع الاسماء: المصدر الســابق، ج١ ص ص ٢٥٨-٢٦٢، ٢٣٩-٢٤١، ٥٨٧.

١٢٢- انظر على وفق تتابع الاسماء : المصدر السابق ، ج١ ص ص٤٨٥ ، ٥١٣

١٢٣- انظر مثلا : المصدر الســابق ، ج١ ص ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، ٢٥٣ - ٢٥٥ ، ٥٨٥ - ٦٠٢.

١٢٤- انظر على وفق تتابع الاسماء : المصدر السابق ، ج٢ ص ص ١١٤، ١١٦ - ١١٨ ، ١٨٢ ثـم ٢٨٣ - ٢٨٥ ، ١٥٨ - ١٥٩ ، ج١ ص ص ٤٣٣ - ٤٥٦ ، ج٢ ١٠٤ - ١٠٦ ثم ١٧٨ - ١٧٩.

١٢٥- انظر بالتتـــابع : المصـــدر الســـابق ، ج١ ص ص ١٨٦ - ١٨٩ ، ١٩٠- ١٩٧ ، ٢١١ - ٢١٩ ، ٤٧٥ - ٤٨٠ ، ٥٢٠ - ٥٢٥ ، ٥٧٧ - ٥٨٠ ، ٢٠١ - ٢٠٦ ، ٢٣٣ - ٢٣٧ ، ٣١١ - ٣١٩ ، ٣٢٦ - ٣٣٦ ، ٤٠٨ - ٤٠٩ ، ٤١٥ - ٤١٦ ، ٤٠١ - ٤٠٤.

١٢٦- انظر كلمة الناشر ، المصدر السابق ، ج٢ (صفحة الغلاف الخـــارجي الخلفي من مذكراتي في العراق)

١٢٧- المصدر السابق ، ج١ ص ص ٤٩- ٥٠ ، ٤١١

١٢٨- المصدر السابق ، ج١ ص ٦٢

١٢٩- المصدر السابق ، ج١ ص ٥١

١٣٠- المصدر السابق ، ج١ ص ٥٢

١٣١- المصدر السابق ، ج١ ص ٥٤

١٣٢- المصدر السابق ، ج١ ص ٤٠٨

١٣٣- المصدر السابق ، ج١ ص ٤٠٨

١٣٤- المصدر السابق ، ج١ ص ٦٣

١٣٥- المصدر السابق ، ج١ ص ٥٠١

١٣٦- المصدر السابق ، ج١ ص ٥١٣

١٣٧- المصدر السابق ، ج٢ ص ص ١٦٠ ، ١١٧

١٣٨- المصدر السابق ، ج١ ص ٩٥

١٣٩- المصدر السابق ، ج١ ص ١٦١

١٤٠- المصدر السابق ، ج١ ص ٤٢٩

١٤١- المصدر السابق ، ج١ ص ص ٤١٤ - ٤١٦

١٤٢- المصدر السابق ، ج٢ ص ص ١٥٨ - ١٥٩

١٤٣- المصدر السابق ، ج١ ص ٥٠
١٤٤- المصدر السابق ، ج١ ص ص ١٤٥ - ١٤٦ ، ١٥٤
١٤٥- المصدر السابق ، ج١ ص ٩٢ - ٩٣
١٤٦- المصدر السابق ، ج١ ص ص ٣٧٨ ، ٣٨٤
١٤٧- المصدر السابق ، ج١ ص ٤٣٣
١٤٨- المصدر السابق ، ج١ ص ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، ٢٧٥
١٤٩- المصدر السابق ، ج٢ ص ٣٥٠
١٥٠- المصدر السابق ، ج٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٤
١٥١- المصدر السابق ، ج٢ ص ٣٥٣
١٥٢- المصدر السابق ، ج٢ ص ١١٤
١٥٣- المصدر السابق ، ج١ ص ٤٨٥
١٥٤- المصدر السابق ، ج٢ ص ١٧٨
١٥٥- المصدر السابق ، ج١ ص ٢٣٩
١٥٦- المصدر السابق ، ج١ ص ص ٥٢ ، ٢٦٣
١٥٧- المصدر السابق ، ج١ ص ٣٠١
١٥٨- المصدر السابق ، ج١ ص ص ٣٠١
١٥٩- انظر بالتعاقب ما قاله او نشره في مذكراته : المصدر السابق ج١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ٣٢٦ - ٣٢٧
١٦٠- المصدر السابق ، ج١ ص ٣٢٧
١٦١- المصدر السابق ، ج١ ص ص ٣٨٧ - ٣٩٣
١٦٢- المصدر السابق ، ج١ ص ص ٣٢٨ - ٣٢٩
١٦٣- انظر الهامش رقم (١٢٦)
١٦٤- المصدر السابق ، ج٢ ص ص ٣٤ - ٤٤
١٦٥- المصدر السابق ، ج٢ ص ٤٨٨
١٦٦- المصدر السابق ، ج١ ص ٣٩٨

١٦٧- المصدر السابق ، ج٢ ص ٢٠

١٦٨- المصدر السابق ، ج١ ص ٢٩٩

١٦٩- المصدر السابق ، ج١ ص ٣٩١

١٧٠- المصدر السابق ، ج١ ص ٣٠٢

١٧١- المصدر السابق ، ج١ ص ص ٥٦ ، ٥٧

١٧٢- انظر : ساطع الحصري ، اراء واحاديث في التاريخ والاجتماع ، مركز دراسات الوحدة العربية طبعة خاصة ثانية (بيروت : حزيران ١٩٨٥). وقد نشر الكتاب الاول مرة عام ١٩٥١ وانظر ما يلي ذلك حول مؤلفاته في التاريخ في متن البحث مباشرة.

١٧٣- الحصري ، مذكراتي ، ج١ ص ٥٦٠ وقارن بـ : انيس زكريا النصولي ، الدولة الاموية في الشام ، ط١ مطبعة دار السلام (بغداد ١٩٢٧). على سبيل المثال الصفحات : ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ٥٧ ، ٥٩ وثمة اشارة واضحة للعبارات في هذه الصفحات فيما يلي ذلك في متن البحث وانظر الاعتراض المناقشة التي ابداها الحصري على كلمة الاهداء في : الحصري ، مذكراتي ص ص ٥٨٨ - ٥٥٩

١٧٤- الحصري ، مذكراتي ، ج٢ ص ص ٢٨١ - ٢٨٢

١٧٥- المصدر السابق ، ج١ ص ص ٥٥٧ - ٥٥٨

١٧٦- وصف الحصري النصولي بانه احد اربعة شبان من المع خريجي الجامعة الامريكية ببيروت. - المصدر السابق ، ج١ ص ٥٥٧ . وعلى الرغم من رفض الحصري التدخل لاقناع زملاء النصولي بالعدول عن موقفهم المناصر لزميلهم الا انه بادر في وقت لاحق لاقناع الملك فيصل بالغاء عقوبات الفصل المفروضة على عدد من الطلبة الذين تظاهروا انتصارا للنصولي. - المصدر السابق ، ص ٥٧٥

١٧٧- الحصري ، مذكراتي ، ج١ ص ص ٥٩١ - ٦٠٢

١٧٨- انظر النص الذي نشره الحصري للوثيقة ، المصدر السابق ، ج١ ص ص ٥٩٥ - ٥٩٨ وقارن غياب التقويم التاريخي عن سرد الحوادث الخاصة بكل من محمد الدشتي واحمد امين الامر الذي يجعل ادخال قضيتهما ضمن قضية الجواهري المشار اليها في الوثيقة اعلاه ممكنا !!

١٧٩- انظر رواية خالد العدساني (الطالب في دار المعلمين ببغداد حينذاك ١٩٢٧) لتظاهرات الطلبة بمناسبة قضية النصولي في : غانم وحيد خالد ، اثر المثقفين العرب في تطور العراق المعاصر ١٩٢١ - ١٩٤١ ، اطروحة دكتوراه/ كلية الاداب/ جامعة الموصل ص٩٧. وقد ورد اصل رواية العدساني في مقالة له بعنوان : "مذكراتي : ايام الدراسة في بغداد ، مجلة الرابطة العربية ، المجلد ٤ الجزء ٩٢ (القاهرة : كانون الثاني ١٩٣٨ ، ص٣٥ حسب اشارة مؤلف الاطروحة.

١٨٠- انظر الهامش السابق رقم (١٧٦) .

١٨١- اشار الحصري الى تظاهر الطلبة بتحريض من الاخوان المسلمين ضد الحصري هاتفين " لا اله الا الله ، الحصري عدو الله " واضطروه الى الاستقالة ومغادرة دمشق . انظر : ساطع الحصري ، صفحات من الماضي القريب ، هامش ص ٧١. وانظر رأى الحصري بهذه المظاهرات المعادية له في رسالته : " لاداعي لليأس " المنشورة في المصدر نفسه ، ص ص ٧١ - ٧٩ ، وهي اصلا رده على مقالة احمد امين التي نشرها في مجلة الثقافة القاهرية والمعنونة : "مأساة " بمناسبة علمه بنبأ تلك المظاهرات واستقالة الحصري .

١٨٢- ابراهيم خليل احمد ، تطور التعليم الوطني ، ص ٢٤٣

١٨٣- الحصري مذكراتي ، ج٢ ص ٢٨٥ . وانظر تعقيب عبد العزيز البسام على بحث وميض نظمي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢٨ - ٢٢٩

وانه اوضح فيه دلالات نظام التعليم ذي السلمين قائلا : ان التعليم في انكلترا وفرنسا على سبيل التحديد ذو سلمين : احدهما لابناء الطبقة العاملة وفي المناطق الريفية ، والاخر لابناء المدن والموسرين منهم خاصة .. وقد رفض الحصري هذا النظام - الذي له ما يناظره في مصر - الثنائي في العراق ، وظلت المدرسة الابتدائية في العراق موحدة تجمع بين ابناء الحرفيين والموظفين وغيرهم من ابناء الموسرين .

١٨٤- الحصري ، مذكراتي ، ج٢ ص ٢٨٥

١٨٥- المصدر السابق ، ج٢ ص ٥٠٧

١٨٦- ميادة العسكري ، مقابلة معها .

١٨٧- المصدر نفسه ، المقابلة نفسها . المعلومات التي افادتنا بها السيدة ميادة العسكري تقول ان الملك فيصل الاول امر جميلة خانم بارتداء العباءة النسائية (الحجاب) - نظرا لكونها كانت تعمل في تشريفات الحرم الملكي - غير انه اضطر الى الاذن لها بخلعه بعدما رأى عدم قدرتها على التكيف معه .

١٨٨- انظر ما سبق في منهج هذه الدراسة .

١٨٩- في هذه المسألة غالبا ما يستشهد بـ : Cleveland Op . Cit., pp . 285 ;

١٩٠- قدم الحصري لـ : Cleveland شجرة نسب تمتد الى الامام علي بن ابي طالب . وتقول حفيدته ان هذه الشجرة مع مجموعة من طوابع البريد هو الشيء الوحيد الذي ورثته عن جدها الحصري .

١٩١- انظر : Cleveland , Op . Cit. , pp . 65 - 66

رأى الحصري ان اللغة الفرنسية كانت لغته الثانية بعد التركية وذلك في معرض حديثه عن الخطأ الذي وقع به فاضل الجمالي حين تصور ان

الحصري الذي لا يعرف من اللغات الغربية غير الفرنسية . الحصري ، مذكراتي ، ج٢ ص ٢٨٥ .

١٩٢- الحصري ، اراء واحاديث في القومية العربية ، ص ص ٦٨ - ٧٠ .

١٩٣- انظر : Cleveland ، المصدر السابق ، P. 29 ثم تابع محاضرته المنشورة عام ١٩١٢ المعنونة " الى الوطن " التي اعتبر فيها رابطة اللغة اضعف الروابط وذلك في معرض تأكيده على الرابطة العثمانية ورفضه النظرية الالمانية حول القومية . انظر ايضا : فرهاد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٨ - ١٢٩ ؛ وانظر دور مكتبته التركية ابان قضية الموصل ، الحصري ، مذكراتي ، ج١ ص ٥٠٤ .

١٩٤- انظر ما سبق في البحث ثم انظر ملاحظات الحصري على نظام التعليم في مصر في : الحصري ، المصدر السابق ، ج١ ص ص ١٧ - ٢١. وحسب تعريف عبد العزيز البسام لنظام السلمين فانه أي البسام يقول ان نظام السلمين كان موجودا في مصر حتى الغته ثورة ٢٣ تموز / يوليو ١٩٥٢ . انظر : تطور الفكر القومي ، بحوث ومناقشات ، ص ٢٢٩ . غير ان الحصري لا يذكره بدلالاته الاصطلاحية في ملاحظاته التي دونها على نظام التعليم في مصر. ومع ذلك فالاشارة الى ذلك مفهومة . انظر : الحصري ، مذكراتي ، ج١ ص ١٨ . وانظر : قول الحصري ، المصدر نفسه ، ج١ ص ٣٧ : كنت اعلم انه سيكون هناك مستشار ومفتشون بريطانيون.

١٩٥- انظر تعريف محمود عزمي لمصطلح الحصرية المشار اليه في متن البحث في فرهاد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٤ ، ١٥٤ . وانظر اصل مقالة محمود عزمي في : مجلة الهلال عدد تشرين الثاني ١٩٣٨ وحول مبتدأ هدف الحصري انظر : الحصري ، مذكراتي ، ج١ ص ص ١٣ - ١٤ . وفيه يقول : " كما اعتقدت ان امور المعارف - والتربية والتعليم - يجب ان تكون في مقدمة الامور التي ستؤخذ من

الانكليز ، واعتقدت اني استطيع ان اعمل الشـــيء الكثـير فـي هـذا المضمار " .

١٩٦- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تـاريخ العـراق الحديـث ، ج٥ قسم٢ (بغداد : ١٩٧٨) ص٢٢ ؛ هادي طعمة ، الاحتلال البريطـــاني والصحافة العراقية دراسة في الحملة الدعائية البريطانيـــة ١٩١٤ - ١٩٢١ ، دار الحرية (بغداد : ١٩٨٤) ص١٢٧ هامش رقم ١١٧ .

١٩٧- ميادة العسكري ، مقابلة معها ، وافادتنا ان الزواج تم علـى اسـاس المذهب الجعفري . وحول قضية احمـد جـواد انظـر ، الحصـري ، مذكراتي ، ج١ ص ٢٧٤؛ وجدير بالذكر ان حسين افنان بقي سكرتيرا لمجلس الوزراء حتى وزارة ياسين الهاشـمي الاولـى (آب ١٩٢٤) انظر : غانم وحيد خالد ، المصدر السابق ، ص ١٧.

١٩٨- قارن : الحصري ، مذكراتي ، ج١ ص ص ١٤ وما يليها ، ٦١١ وما يليها.

١٩٩- تدخل عبد المحسن السعدون لتسوية خلاف الحصري مع عبد الحسين الجلبي الوزير . وتدخل جعفر العسكري لتسوية خلال الحصـري مـع محسن ابو المحاسن الوزير وتدخله مع ياسين الهاشمي ورشيد عـالي الكيلاني لتسوية خلاف الحصري مع السيد عبد المهدي الوزير . انظر على التعاقب : الحصري ، مذكراتي ، ص ص ٢٧٤ - ٢٧٦ ، ٣٨٠، ٦٠١ - ٦٠٢.

٢٠٠- الحصري ، المصدر نفسه ، ص٦١٣ .

٢٠١- انظر ما سبق في هذا البحث .

٢٠٢- الحصري ، المصدر نفسه ، ج١ ص ٢٦٤ .

٢٠٣- انظر رد الحصري على طه حسين وفيه يقول الحصري : " ان دعـاة الوحدة العربية لم يقولوا (لمصر) اتبعينا ، بل يقولون وسيقولون لها "

سيري الى الامام ونحن نتبعك على الدوام". مذكراتي ، ج٢ ص ص ٤٨٨ - ٤٨٩ .

٢٠٤- انكر فرهاد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ على الحصري ان يكون غربيا وعلمانيا بدرجة زائدة .

٢٠٥- الحصري ، المصدر السابق ، ج١ ص ٢٧١ .

٢٠٦- الحصري ، المصدر السابق ، ج١ ص ٨٨ .

٢٠٧- الحصري ، المصدر السابق ، ج٢ ص ص ٥١٢ - ٥١٧ .

٢٠٨- انظر ما سبق في متن البحث ، وانظر الهوامش ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .

٢٠٩- لغة العرب ، مجلد ٣ ، ج١ ص ٥٦ .

٢١٠- فرهاد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

٢١١- انظر ظروف اكتساب الحصري الجنسية العراقية في قضية الغاء وظيفة " معاون وزير المعارف " بمسعى من العناصر التي وصفها الحصري بـ "المشاغبين " والتأكيد في البرلمان على وجوب تولي شخصية عراقية لمنصب " مدير المعارف العام " . وقد حسم الملك فيصل الموقف بتصريحه للوزراء " ان ساطع الحصري يجب ان يعتبر عراقيا مثلي ، فيعين مديرا عاما للمعارف " الحصري ، المصدر السابق ، ج١ ص ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

٢١٢- انظر نص القانون رقم ١٨ لسنة ١٩٥٣ وهو قانون اعادة الجنسية العراقية الى السادة ساطع الحصري ودرويش المقدادي وعبد العزيز الكنفاني . الذي اعتبر نافذا من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية "الوقائع العراقية " العدد (٣٢٦٠) بتاريخ ٢٥ / ٥ / ١٩٥٣ . انظر ايضا : الحكومة العراقية ، مجموعة القوانين الانظمة لسنة ١٩٥٣ ، مطبعة الحكومة (بغداد - ١٩٥٤).

٢١٣- الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٩ ، ص ٢٥ هامش رقم (١).

٢١٤- انظر : خيري امين العمري ، الخلاف بين البلاط الملكي ونوري السعيد ، ط١ (بغداد : ١٩٧٩) ، ص ٨١ .

٢١٥- انظر الغضب الشديد الذي اعترى الوصي حين علم بمغادرة نوري السعيد لاحباط تكليف نصرة الفارسي ومن ثم المفاجأة بتكليف المدفعي. المصدر السابق ، ص ٨١ .

٢١٦- لطفي فطيم ، مقدمة لترجمة : اريك فروم ، الانسان بين الجوهر والمظهر ، ترجمة سعد زهران ، (الكويت : ١٩٨٩) ، ص ١٣ .

ثورة العشرين في العراق

في مذكرات شهودها

ملاحظات اولية

بقلم

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

استاذ تاريخ العرب الحديث

كلية التربية ابن رشد - جامعة بغداد

عني المحدثون المسلمون بدراسة اسانيد الحديث النبوي الشريف دراسة مستفيضة، ادت، من ثم، الى نشوء علم جديد، عرف بعلم الجرح والتعديل، وبعلم الرجال.وكان مدار هذا العلم التدقيق البالغ في هويات نقلة علم الحديث وفي امكانياتهم على الحفظ والنقل، وفي اخلاقهم ايضا، فأسسوا بذلك قواعد متقنة لم يسبقهم اليها احد في مجال دراسة التاريخ خاصة.

وجاءت المناهج الحديثة لعلم التاريخ لتؤكد على اهمية هذه القواعد بوصفها من الأسس التي لايمكن تجاوزها في التوصل الى حقيقة الخبر، وهو ما عرف بالنقد الباطني للنص، ويشمل التحقق من هوية راوي الخبر، وسلامة حواسه، وقربه وبعده زمانا او مكانا من الواقعة التي ينقل خبرها، ومدى نزاهته في الحكم على الخبر، ودراسة شخصيته العامة. وعلى وفق هذا المنهج جرت مراجعة الكثير من المصادر التاريخية بوصفها تمثل مجموعات من روايات فردية لاقيمة لها ما لم يتثبت من دقة الرواة انفسهم وما اذا كانت تتوفر فيهم شروط الحيدة في تسجيل الخبر ثم نقله.

واذا كان المسلمون الاوائل قد حققوا ريادة لاتنكر في نقد سند الرواية، فان من المسلمين المتأخرين من حقق ريادة اخرى في نقد المتن التاريخي نفسه، وهو ما صرح به العلامة ابن خلدون حينما دعا الى عدم التوقف عند دراسة اسانيد الخبر وانما العناية بدراسة الخبر نفسه من حيث مدى امكان وقوعه على النحو الذي روي، وموافقته لما سماه بطبائع الاشياء، وهي مجمل القواعد والقوانين التي تخضع لها قواعد التاريخ عامة.

ان نقد سند الرواية، ونقد نصها، امران لايمكن لمؤرخ ان يتجاوزهما، وعلى قدر اخذه بهما يتم تقويم دراسته متانة وضعفا. ولاريب في ان اكثر الحقب التي تقتضي من المؤرخين المعاصرين

التزاما بهاتين القاعدتين الذهبيتين من قواعد المنهج التــاريخي، تلــك الحقبة التي اعقبت الاحتلال الانكليزي لوادي الرافدين، وما تضمنته من حوادث وانتفاضات وثورات جسام، ولاسيما منها ثورة الشعب العراقــي في العام ١٩٢٠، والتي شملت معظم مناطق العراق ونواحيــه، شـماله ووسطه وجنوبه، ثم الثورات والانتفاضات التي اعقبتها.

ومبعث هذا الالتزام بمعطيات المنهج في دراسة ثورة العشــرين، ان عددا غير قليل من الكتب التي صدرت منذ العام١٩٢٣، وهو تــاريخ صدور كتاب المرحوم محمد مهدي البصير "تاريخ القضيــة العراقيــة" وحتى الان، قد ارخ لوقائع هذه الثورة دون ان يمــيز مؤلفوهــا بيــن كونهم شهود عيان على الحدث، وبين كونهم مجرد نقلة لخــبره مــن اخرين شاهدوه فعلا، او انهم سمعوا به من غيرهم دون ان يكون هــذا الغير قد شاهده.

ان اكثر ما نشر من مذكرات جرى نشره بعــد انتــهاء حــوادث الثورة بمدة طويلة، وقد لاحظنا ان ثلاثة عقود في الاقل مضت قبــل ان ينشر اول كتاب يضم مذكرات صاحبها عن وقائع الثــورة بعــد كتــاب البصير المذكور، وهي مدة طويلة فعلا، لان كثيرا من رجــال الثــورة والمشاركين في احداثها كانوا قد توفوا في خلالها، فلم يعد من الممكــن التثبت مما ورد في ثناياها من تفاصيل.

وفي كل الاحوال فان اصحاب تلك الكتب لايصرحــون باســماء اولئك الذين ينقلون عنهم، ومدى قربهم الزماني والمكاني من الحــدث من عدمه، والادهى من ذلك عدم تمييز كلامهم عما ينقلون مــن كــلام الغير، وانطباعات هؤلاء، فتختلط مصادر الكلام اختلاطا يصعــب علــى الباحث تحديدها ونقدها ثم الحكم عليها.

ومن هذا القبيل اننا وجدنا كتبا قد ادعى مؤلفوها اوناشروها انها تضم ذكريات شخصية ومشاهدات عيان لاصحابها، بينما يظهر للبــاحث

المدقق انها كتبت بعد حدوث الحدث نفسه بعدة عقود من السنين، ومن ثم اضيف اليها ما يضاف الى الخبر عادة من زيادة وتعليق، وهي في واقع الامر مستمدة من روايات اناس لم يعاصروا الحدث مطلقا، وانما سمعوا به، او قرأوا عنه، وفي افضل الظروف كانوا صغارا لم يشهد لهم التاريخ مساهمة لهم في احداثه، ولذا فلم تتأت لهم الاحاطة بمجرياته فضلا عن ظروفه وبواعثه ونتائجه.

ولاشك في ان مزج الروايات والملاحظات والمشاهدات والذكريات والنقول في كتاب واحد، دونما تمييز او تفريق، من شأنه ان يضيع على الباحثين فرصة التحقق من صحة الجزئيات التي تنبني عليها الكليات والقناعات العامة.كما ان من شانه ان يجعل مهمة الباحثين في مجال تثبيت ازمان حدوث الواقعة الجزئية شاقة بل متعذرة احيانا، اذ يجوز ان ينقل الكاتب عدة روايات على اساس انها تؤرخ لحدث واحد، بينما هي تسجل حوادث متباينة زمنا، وليس سبب ذلك الخلط الا لان هذه الحوادث لم يحدد رواتها تواريخ حوادثها على سبيل الدقة والضبط. وقد لاحظنا ان شيئا كثيرا من هذا حصل لكتاب ارخوا لثورة العشرين، وكانت قواعد المنهج التاريخي تقتضي منهم التثبت اولا من تاريخ الرواية التي ينقلونها، خاصة وان الثورة كلها لم تأخذ من الزمن الا بضعة اشهر، ومن ثم فان تحديد تاريخ اليوم والشهر امر لابد منه. كما ان اخذ الثوار غالبا بالتاريخ الهجري، اضاف صعوبة اخرى لاختلاف تحديد بداية الشهر القمري بين جماعة واخرى، واختلافه عن التاريخ الميلادي الذي كان يجري التسجيل به رسميا انذاك. ولعدم انتشار الصحف (وعدم تدقيقهما في تباين التاريخين او ضبطهما) اصبح من الممكن الوقوع في خطأ المقابلة بينهما عند تسجيل مجريات حادثة ما من حوادث الثورة التي نحن بصددها.

ويلاحظ ان بعض ما نشر من كتابات عن الثورة، املاها اصحابها على كتاب غيرهم، اما لضعف في حواسهم، او اسلوبهم، او لبلوغهم- يوم تقديم الرواية- مبلغا من العمر يصعب معه التسجيل باقلامهم. ووجدنا ان بعض اولئك الكتاب المملى عليهم قد اضاف من عندياته الى ما املي عليه تفاصيل وتعليقات اراد بها اكمال الرواية او توضيحها، فاذا بهذه التفاصيل المضافة تغير من جوهر الرواية نفسها، وتخلق للباحث مشكلة جديدة في التمييز بين روايتين ضاعت الفواصل بينهما. وربما عهد بعض مؤرخي الثورة من معاصريها باوراقهم ومذكراتهم الى باحث غيرهم، فقام هذا بكتابة تاريخ الثورة مستفيدا من تلك الاوراق والوثائق، ولكنه في الوقت نفسه ترك لنفسه حرية الصياغة والتعبير مما يمكن ان يفقد سياق الحدث دقته فيضعف من رواية، ويؤكد على اخرى.

ومن جهة اخرى فان اصحاب المذكرات التي اتيحت لهم فرصة لنشر مذكراتهم، لم يصرحوا احيانا فيما اذا كانوا يعتمدون ذكريات سجلوها في اثناء وقوع الاحداث او بعيدها، ام انهم سجلوها بعد عقود طويلة من السنين اعتمادا على ذاكرتهم وحدها، لان من المعلوم ان تتأثر ذاكرة الانسان مهما بلغت قوتها بمرور السنين. وربما تأثرت بوجهات نظر ومعلومات لاحقة لم تكن معروفة لصاحب المذكرات في حينه، وهكذا تختلط الشهادة بمعلومات لم يشهدها صاحبها.

وربما سجل بعضهم رواية عن الثورة يوم رآها تندلع في المنطقة التي كان يعيش فيها، فاذا ما قدر له ان ينشر مذكراته، كان معقولا ان يؤكد على اهمية منطقته بالذات في مجريات الثورة، وكلامه صحيح، لكنه يمثل نظرة جزئية لحدث كلي ، وما لم يضع في اعتباره هذه الحقيقة، بالغ في دور ذلك الجزء على حساب الاجزاء الاخرى التي لم يقدر لها ظهور من يسجل احداثها، ومهمة تبين الحقيقة في هذا

المجال غير ميسرة باية حال، وبهذا فقد ضاعت فرصة التاريخ للثـــورة في مناطق عدة.

ان ملاحظات كهذه، واخرى غيرها، تدفعنا الى القول بان ملـــف ثورة العشرين لم يغلق بعد، بل لما يزل مفتوحا ينتظر جهودا جديدة من لدن الباحثين المعاصرين، بل يمكن القول ايضا بان تاريخ الثـــورة لـــم يكتب بعد في كثير من نواحي العراق، ومن جوانب مختلفة.وان ما كتب لم يكن يمثل الا جزء من الحقيقة لا كلها، وهذا الجزء نفسه يحتاج الـى غربلة واعادة قراءة على وفق المنهج العلمي لدراسة التاريخ مما سبق ان تحدثنا عنه. ومن هنا ندعو الباحثين لدراسة تلك الثـــورة العملاقـــة واعادة دراستها، وتقويم المعلومات السابقة عنها، والبحث عن مصـــادر معلومات جديدة، و (تجريح) رواتها، بحسب المصطلح الاسلامي العربي القديم، ونقد مضامين تلك المعلومات نقدا علميا صحيحا.

مذكرات فاس مترجم بعثة كافيناك
الى عمان مصدرا لدراسة تاريخ الخليج العربي

جهود فرنسا في الخليج العربي في مستهل القرن التاسع عشر

أ. د. صادق ياسين محمد الحلو

رئيس قسم التاريخ

كلية التربية / ابن رشد

جامعة بغداد

رغم نجاح الدبلوماسية البريطانية بعد معاهدتي ١٧٩٨ ، والمجددة في ١٨٠٠ في الهيمنة على عمان وعززت من النفوذ البريطاني فيها بخاصة وفي الخليج العربي بعامة على حساب الفرنسيين فان ذلك لم يكن عقبة ، يمنع فرنسا من تجديد جهودها لاعادة علاقاتها وترتيب اوضاعها ووجودها البحري في البحار الشرقية وفي الخليج العربي .

بعد توقيع فرنسا على صلح اميان مع بريطانيا سعت الى تعويض الخسائر التي تعرضت لها في مصر . كما ان نابليون بونابرت لم يتخل عن الشرق ، فارسل وكيل تجاري هو العقيد سبرستيا في (ايلول ١٨٠٢) الى سوريا ومصر ليقدر حجم القوى الانكليزية والعثمانية ، ومن جانب اخر كان نابليون بونابرت يشعر بثقل تطويق الاسطول البريطاني له في اوربا ، لذلك فكر بتقوية مستعمراته الهندية وفي جزيرة ايل دي فرانس IL de France وتقوية اسطوله فيها[١] وفي عام ١٨٠٢ سمى الجنرال ريغان قبطانا عاما للممتلكات الفرنسية في الهند الشرقية[٢] .

اعتمد نابليون بونابرت على ريغان ليجعل من جزيرة فرنسا مركزا لمراقبة الاوضاع السياسية والعسكرية للبريطانيين وقاعدة مساعدة لينطلق منها الى الهند اومستودعا للتجارة في ساحل افريقيا الشرقية ، والبحر الاحمر ، والخليج العربي ، وساحل ملبار واخيرا لتجارة الهند مع شبه القارة[٣] .

وفي هذا الاطار في إعادة التنظيم للوجود البحري في المحيط الهندي لم ينس تاليران Talleyrand ، وزير الخارجية الفرنسي تذكير القنصل الاول (نابليون) بالاهمية الاستراتيجية لعمان اذ بادره قائلا " مسقط موقع مهم " الامام الذي يحكم تمتد ممتلكاته في الجزيرة حتى في بعض المقاطعات من ساحل موزمبيق ، وهو امير مستقل في كل

علاقاته[٤] دفعت تقارير استلمها تاليران من ماكالون تشير الى ان امام عمان ليس لعبة بيد الانكليز وهو راغب بالاحتفاظ بعلاقات حسنة مع فرنسا[٥] الى تشجيع الفرنسيين باعادة الاتصال مع امام عمان .

انتهز ماكالون الظروف الصعبة التي واجهت امام مسقط في الداخل بسبب التوسع السعودي ، وعدم استجابة الانكليز لنداءاته بطلب المساعدة ، فارسل مبعوثا فرنسيا هو شاتوفيل Chateau ville جلب معه هدايا ومساعدات لامام عمان[٦] وقد كان لها وقع مؤثر في نفس الامير العربي ، فشكر المبعوث الفرنسي وقال له "ان من المستحيل ان نصف لكم مدى فرحنا بوصول هذه السفن وبخاصة القوات التي ارسلتموها والتي استقبلناها باذرع مفتوحة..."[٧] والحقيقة ان الاشارة الى ارسال قوات فرنسية الى عمان لم ترد الاشارة اليها في مصادر اخرى غير هذه الوثيقة الفرنسية[٨] .

عاد المبعوث الفرنسي الى جزيرة فرنسا ليخبر حاكمها بان امام عمان مستعد ليضع خدماته لتموين المستعمرة الفرنسية بالمواد الزراعية المتوفرة في عمان[٩].

ولم يكتف الامير العربي بذلك بل ارسل في شباط عام ١٨٠٣ مبعوثا من جانبه هو الشيخ علي الى ماكالون في مهمة سياسية ، فكتب ماكالون الى وزير البحرية الفرنسية يعلمه ان امام عمان يطلب صداقة وحماية الجمهورية الفرنسية واضاف " ويبدو ان هذا الامير يشكو من تسلط الحكومة الانكليزية "[١٠] .

ومن ذلك يمكن القول ان امام عمان وبسبب من الاوضاع الداخلية والضغوط لمحلية والخارجية قد اتجه الى فرنسا لموازنة الضغط الانكليزي وتخفيفه عليه، فضلا عن حرص فرنسا على استمرار علاقاتها بعمان لاهميتها في نظر السياسة الفرنسية جاءت جهود ماكالون لاعادة

العلاقات بين عمان وفرنسا متصادقة مع تفكير القنصل الاول نابليون بونابرت بخطة لانشاء قنصلية فرنسية في عمان .

بعثة كافيناك

كان نابليون يدرك اهمية عمان كموقع على طريق الهند ، وتأكيدات ديكان حاكم ايل دي فرانس على اهمية استعادة المراكز التجارية الفرنسية في الهند بموجب صلح اميان ، لذا عهد القنصل الاول الى كافيناك بمهام رئاسة بعثة الى عمان لتأسيس قنصلية فيها ، وارسل الى السلطان رسالة بهذه المناسبة يخبره فيها بهذا التعيين[١١] .

وقد جاء في التعليمات التي اعطتها الحكومة الفرنسية لكافيناك بان " ينشيء بين الجمهورية الفرنسية وعمان علاقات وتجارة ويفتح اسواق جديدة في هذه المنطقة ، وتشرف على امان وسلامة المواطنين الفرنسيين . وبعد ان يسعى لوضع خطة لاتفاقية تجارية بين الطرفين ليعرضها على الوزير...، وعليه ايضا ان يضع انتباهه الخاص على تقوية العلاقات التي يمكن ان توجد بين عمان وجزيرة ايل دي فرانس وجزيرة ريتبيون ... وعليه ايضا اثبات رغبة نابليون بونابرت لتعزيز العلاقات العمانية وكلفه ليقول على لسانه لامام عمان بترحيبه باقامة علاقات مع فرنسا..."[١٢].

ارسل كافيناك على ظهر باخرة حربية ليكون تقديره اكثر اهمية كما اعتقد تاليران الذي جاء في تعليماته لكافيناك بان الهدف من بعثته اقامة ارتباط واسع وعميق يربط فرنسا وامام عمان للنضال ضد النفوذ الانكليزي .."[١٣] .

توقف كافيناك في ايل دي فرانس للتشاور مع حاكمها ، ثم وصل الى عمان في ٣ تشرين الاول عام ١٨٠٣ على ظهر الفرقاطة الـ (اتلنتا)[١٤] وزودت بعثة كافيناك بتعليمات لاقناع امام عمان سلطان بن

احمد بقبوله مقيما دائما في مسقط الا انه وجد الامام مشغولا في قتالـــه مع السعوديين(١٥) .

ويقول كافيناك : "اجريت مباحثات مع حاكم ميناء مسقط (وسماد الوزير) واخبرته بصفتي من خلال رسالة نابليون بونابرت التي تقـــول بتعييني لدى امام عمان بصفة مقيم وقومسير عام للعلاقـــات التجاريـــة للجمهورية الفرنسية وكلفت بالوقت نفسه ان احمل الى الامـــام رســـالة منه "(١٦) .

طلب كافيناك من السلطات العمانية السماح له بالنزول من ظـــهر السفينة الى دار المقيمية التي حجزت له لكن حاكم الميناء الـــذي ادرك مغبة العلاقة مع الفرنسيين في الوقت الذي اشتدت فيه الحرب من جديـد بين فرنسا وانكلترا دفعه للاعتذار من كافيناك بانه لا يملك أي سلطة في استقبال مفوض خارجي وعليه انتظار عودة الامام الذي يمتلــك الحـق بالنظر في ذلك(١٧) .

عاد الامام في ١٢ تشرين الثاني ، واحيط علما بوجود القنصـــل الفرنسي على ظهر السفينة الاتلنتا ينتظر الاذن من الامام للنزول الـــى مسقط ليمارس مهام عمله كقنصل لبلاده في عمان(١٨) .

دبلوماسية امام عمان من خلال . .
مذكرات فاس

ارسل كافيناك الى مترجم البعثـــة فـــاس لمقابلـــة الامـــام(١٩) ، والحصول على الاذن من البعثة غير ان ذلك لم يتحقق وتظهر اســـباب تردد امام مسقط ثم رفضه لاستقبال البعثة من خلال ما رواه فاس فـــي اوراقه عن المقابلة اذ ذكر قائلا :

" قابلت سلطان (بن احمد) في قصره ، فطلب مني معلومات عن عدد السفن التي نملكها في الهند ، وكم هو عدد القوات الفرنسية هناك.

وقد اجبته باننا لا نملك عددا كبيرا من السفن والقوات ولكنها مؤثــرة ، ثم بين لي بان يعرف اخبار الحرب بيــن فرنســا وبريطانيــا ولكنــا لا نخشاها"[٢٠] واضاف فاس بان تلك الحرب كانت احــد شــواغل الامــام الرئيسة لان سفن رعاياه تقوم بالتجارة في مناطق العمليات الحربية في المحيط الهندي بين الطرفين .

حاول فاس ان يأخذ وعدا من الامام بتحديد الساعة التي يســتقبل فيها مبعوث الجمهورية الفرنسية ، ولكن الامام لم يعط وعدا محددا بـل اخبر فاس بانه سيرسل سيد سيف حاكم مسقط وسيد محمــد ليصحبـوا البعثة الى البر وبذلك " نكون قد نفذنا وعدنا وقدمنا لمبعوث بونابرت ما يستحقه من احترام "[٢١] كما يقول الامام[٢٢] .

ثم يروي فاس الاحداث اللاحقة والتي يتبين منها بان الامام تـأخر في اعطاء الموافقة للمترجم لنزول البعثة حتى يجتمع بمستشــاريه[٢٣] ، ويتباحث معهم ليصدر قراره ، مما يدلل على ان الامام كـــان لا ينفــرد باتخاذ قراراته ، وبالفعل غير السلطان من رأيه وارســـل شـيخ علــي ومحمد خلفان (ابن الحاكم القديم لمسقط) ليخـــبر كافينـــاك برفضـه لاستقباله كمقيم وقنصل مبينا له سبب الرفض[٢٤] .

ويبدو مما رواه كافيناك عن حواره مع مبعوثـــي الامـــام اللــذان استفسرا عن امكانية الفرنسيين حماية التجارة المسقطية اذا ما هاجمتها السفن الانكليزية وسألوا كافيناك هل لديكم قوات في تلك البحار لحمايتنا؟ هل لديكم مرافئ مجاورة لممتلكات السلطان تســتطيع ان تـأوي اليــها السفن الفرنسية وتتزود بالمؤن كما هي الحالة في يومباي ؟ ماذا يريـد بونابرت ؟ بماذا كلفكم ان تطلبوا من الامام ؟[٢٥] تلك هي الاسئلة التــي طرحها مبعوثو الامام على كافيناك .

رد الاخير بانه عندما غادر فرنسا لم تكن قد دخلت الحــرب مـع بريطانيا وان هدف بعثة اقامة العلاقات والصداقة مع الامام لــم يســتلم

تعليمات لاعطائه معلومات عن كفاءة وقوة البحرية الفرنسية في هذه المناطق . ثم هدد كافيناك – كما ذكر فاس – مبعوثي الامام بانه اذا لم يستطع استلام مسؤولياته سيغادر مسقط وذهب الى حد التهديد وقال " اتعتقدون بان الفرنسيين لا يسيطرون على سفنكم مثلما يسيطر عليها الانكليز "[٢٦] .

طلب الوزيران المسقطيان من كافيناك الانتظار الى يوم التالي ومن جانبه اراد التأكد مرة اخرى من موقف الامام لذلك طلب الى مترجمه فاس اصطحاب المبعوثين المسقطيين واخبار الامام باننا مندهشين (الكلام لكافيناك) من الاسئلة التي عرضها واننا لم نجب عليها ، لانه مع الامام نفسه يجب ان يتحدث السفير الفرنسي ويتعامل وليس مع وزراءه "[٢٧] .

قابل فاس الامام مرة اخرى فسأله الاخير اذا ما كان المقيم سيكون فرحا اذا ما تم استقباله بعد غد فاجاب فاس بان " المقيم متعجب جدا من الاسئلة التي طرحها مبعوثوه ولاحظ منذ وصوله لمسقط بان العرب يحبون الانكليز اكثر من الفرنسيين ، كما انهم يخشونهم ولا يخافون من الفرنسيين مطلقا ... لذلك قرر كافيناك المغادرة فجأة "[٢٨] .

طلب الامام تعليق المقابلة للاجتماع الى مستشاريه وبعد مدة عاد والتأثر باد عليه / كما ذكر فاس وقال : "بانه غاضب لان المقيم فهم بشكل سيء الاستقبال الحسن الذي اجري له " وتابع فاس وسألت الامام: "الانكليز الذين تحبونهم وتخشونهم بالوقت نفسه ؟ اجاب السلطان نحن لا نخشاهم قبل ما نخشى الفرنسيين، ولكننا نخشى الخسارة الا اننا لا نرى دائما سفنهم ولكننا لم نر مطلقا سفنكم " واضاف الامام " نحن لا نخشى الانكليز هنا ولا نخاف من تحركات سفنهم ، لدينا عدد من الرجال لردهم ، ولكن سفننا في ساحل ملبار وساحل تورماندل

ستتعرض لاحتمال النهب والسيطرة عليها ، كما ان الانكليز يسعون لتنمية تجارتهم وتقوية الصداقة الموجودة بيننا منذ زمن طويل "(٢٩) .

ثم طلب اخبار السلطان فاس بان كافيناك اذا بقي الى يوم غد سنستقبله بالشرف الذي يستحقه ، وسوف لن ينقصه شيء مما يجعله سعيدا .

يقول فاس اجبت الامام بان المقيم سيغادر هذا المساء وكلفني لاعلمكم ، سوف لن يبقى الى بعد غد ، وهذا الرد جعل الامام يفكر ان هذه المغادرة لا تؤثر على الاقل على الاتصالات الجيدة الموجودة بين مسقط وجزيرة فرنسا .

الاستنتاجات:

من خلال قراءة وتحليل مذكرات فاس مترجم بعثة كافيناك الى عمان يتضح الاتي :

١- يمكن الاعتماد على مذكرات فاس للتعرف على القصر الذي يسكنه الامام في تلك المدة وما يتسم به ذلك العهد من مراسيم لاستقبال الضيوف الرسميين .

٢- يتضح من مذكرات فاس الاسلوب التفاوضي الدبلوماسي الذي اتبعه الامام في المناقشات لاقناع البعثة الفرنسية بان مصالحه تفرض عليه بعدم السماح لها بالنزول الى مسقط لان التجارة العمانية تهددها السفن الانكليزية في بحار الهند الشرقية ، وبذلك يظهر ان الحاكم العربي يملك القابلية والاقناع ومستقل في التعامل مع الفرنسيين .

٣- يمكن من خلال المذكرات التي كتبها فاس اكتشاف العديد من الوقائع التاريخية والقضايا الحضارية التي تخص عمان وبذلك يمكن القول ان مذكرات الرحالة تصلح لان تكون مصدرا من مصادر دراسة تاريخ الخليج العربي عبر الفترات التاريخية المختلفة .

الهوامش

1 -Ancel (J.) Mannel this for , que question d'orient (1792 - 1923 , Paris 1923 , pp. 55 - 56 .

2 -Prentout (H.) , " L " le de France sous decaen 1763 - 1810 m , Paris , 1901 , p. 101 .

3- Guillen (m.) , Docu ....

4- Memoir pour servir d' instruction au cupitaine general des mes de france etdela rivniun , 1803 , Arehives colouies (aue A. N.) , ue de France , c4 , Vol . 118 , Fol . 21 .

5- Rapport de talleyrand auprouies Consul , 12 rende'miare , Anx1 , (4 odob 1812) , cite par Au oux (A.) , La France el mascate. au xv140 of x1 xe siecles , Revue d' histories diplemetaque , vol . 24 . Paris , 1909 , p . 244 .

6- Coupland (R.) , East Africa and its invaader´, Oxford , 1861 , p. 102.

7- Conancez , L' histore de wahahis depis leurasine dulqu' atafin de 1809 , Paris , 1810 , pp. 49 - 50 .

8-Ahmed a' magallon , lettze sansdate , Archives colouin , ill de France , c4 , Vol , 95) .

9- Coupland , Op. cit , p. 102 وردت الاشارة اليها ايضا

فيPrenout , Op . cit , p. 332 .

10- Au zoux (A.) Op . cit, Vol . 24 , p. 243 .

11- Afret du premier ministre Anx , A. N. , A . Fiv . 72 .

12- Instructions pour le citoyen cavaignac , papiers de cavaignac , microfilm . no.1 miB8 .

13- Ministre des relations exterieurs au ministre de la marin , Paris , 19 vendemaire Aux1 , Archive de la marine , BB 78 .

14- AL - Hito Sadik , torpe et les probleme marines du golf land 1789 - 1887 , thue de docrout el etat tore 11 p. 185 ;

15- Coupland , Op . cit , p. 103 .

16- Journel de la fregate l'Atalante , cavagnac a decam A. N. Vo;. 118 fol 193 .

17- Ibid .

18- Prentout , Op. Cit , p. 338 .

١٩- دون فاس ما جرى في تلك المقابلة باوراق سميت باسمه وكتبها على شكل مذكرات بعد ان نقل ما دار فيها الى رئيس البعثة كافيناك ، وقد وصف فيها قصر الامام وحاشيته وطريقة الضيافة فيه فضلا عن حرس السلطان وسلاحهم وزي الامام وطريقة ادارته ومناقشاته السياسية .

20- Vasse a' Sa sour , a bord la Fregate l' Atalante il 22 vende maire An x11 , A. N. , section d' outre - mer papier prive de vaise , drogman de cavaignac imicro film no 1 miB 8, lettre no. 24 .

21- Vasse a' seur . . . . Op. Cit , lettre no 24 .

22- Journal de l' Atlante , fol . 194 ; Benucheue a' cavaignac , a' bord de la frignte l' Atlante en rade de mascate , le 12 vendemaire Aux 11 , A. N., section d outre mer , roper cavagnac .

23- Ibid .

24- Cavaignac au ministre de la marine rapport du to frimaire Au x11 (7 dicembze 1803) ile de France 1A A. E., cores ponlance confulaire imascete T. 1. fol . 282 .

25- Coupland , Op. cit. , p. 338 .

26- Mr. Vasse , drogman de cavaignac a' sa saeur .

27- Mr. Vasse a' sa sour . . . Op . Cit .

28- Ibid .

29- Ibid .

الديمقراطية

في

مذكرات كامل الجادرجي

د . محمد عويد محسن

كلية المعلمين / الجامعة المستنصرية

المقدمة

يعد كامل الجادرجي واحدا من رجال السياسة البارزين في تاريخ العراق السياسي المعاصر . فقد أمضى فترة طويلة من حياته قاربت الاربعين عاما في العمل السياسي ، كان ابرزه زعامته لجماعة الاهالي التي مهدت لانقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦ . ورئاسته للحزب الوطني الديمقراطي الذي تأسس في نيسان ١٩٤٦ ، وفي ميدان الصحافة ، اصدر الجادرجي العديد من الصحف ، منها " الاهالي " و"صوت الاهالي " و " صدى الاهالي " " نهج الاهالي " وغيرها من الصحف التي اتسمت بمعارضتها للسلطة .

دعا الجادرجي الى الديمقراطية بوصفها فكرة سياسية ، ورأى فيها الوسيلة الافضل لحل مشكلات البلاد كافة . وجوهر الديمقراطية لدى الجادرجي يقوم على اساس التعددية الحزبية ، والحياة البرلمانية النزيهة ، والفصل التام بين السلطات على ان يكون الشعب مصدرا لها تشريعيا ، وخدمته هدفا ثابتا لها تنفيذيا .

وقد حظيت الديمقراطية في مذكرات كامل الجادرجي باهتمام كبير ، واحتلت مساحات كبيرة من تلك المذكرات ، وبغية توضيح جوهر الديمقراطية والاسس التي تقوم عليها ، حسبما وردت في مذكراته . رأيت من المناسب تقسيم البحث الى مقدمة واربعة محاور وخاتمة . تناول المحور الاول موقفه من التنظيم الحزبي والنقابي وحرية الصحافة، بينما تضمن المحور الثاني دعوته للانتخابات النيابية النزيهة، وفي المحور الثالث تمت مناقشة موقفه من الدستور (القانون الاساسي) وما ورد فيه من نصوص تؤكد على حقوق الشعب والفصل بين السلطات الثلاث (التنفيذية ، التشريعية والقضائية) ، وفي المحور

الرابع والاخير تمت مناقشة موقفه من الحريات العامة . بينما تضمنت الخاتمة تثبيت اهم الاستنتاجات التي توصل اليها البحث .

وتجدر الأشارة الى ان للجادرجي كتابا آخر غير الكتاب موضوع البحث ، بعنوان " من اوراق كامل الجادرجي ، بيروت ١٩٧١ " سجل فيه ذكرياته عن طفولته وصباه وشبابه ، وزودنا بانطباعات واضحة عن المحيط الذي عاش فيه ، كما خصص جزءا منه للحديث عن الشخصيات التي زاملها وعرفها ، لذلك يعتبر ذات قيمة تاريخية لا يستهان بها .

أرجو ان اكون قد وفقت في اداء مهمتي بصورة مفيدة ، فيكون هذا البحث المتواضع في خدمة الاتجاه العلمي لدراساتنا التاريخية .

والله الموفق . . .

موقفه من التنظيم الحزبي والنقابي وحرية الصحافة

على اثر نهاية الحرب العالمية الثانية ، ظهرت المطالبة بالحريات الديمقراطية واقامة الاحزاب السياسية بصفتها الركن الاساس للحياة الديمقراطية ، وقد مثلت تلك الدعوات اتجاها وتيارا عالميا شملا كان العراق جزءا منه .

ويشير الجادرجي في مذكراته الى ان جماعة الاهالي كانوا قد اتفقوا منذ عام ١٩٤٢ على ان تكون خطة جريدة " صوت الاهالي " التي تسعى لتطبيقها تقوم على المطالبة بالحقوق الدستورية كتأليف الجمعيات والنقابات وحرية الاجتماع .

وفي المقال الافتتاحي الذي نشرته جريدة " صوت الاهالي " بتاريخ (٥ آيار ١٩٤٤) ، أشارت الى ان الشعور بالاتجاهات العالمية الجديدة ، يتطلب تهيئة الأجواء الملائمة كتشجيع تأليف الاحزاب السياسية وتأمين حياة نيابية صحيحة اسوة بالعالم المتقدم .

تضمن منهاج الحزب الوطني الديمقراطي الذي أجيز في نيسان ١٩٤٦ مع اربعة احزاب اخرى [١] ، التأكيد على ضرورة انماء الحياة السياسية الحزبية وحرية الكلام والنشر والصحافة والاجتماع والاعتقاد.

ودعا الجادرجي في مذكرة رفعها مع بقية رؤساء الاحزاب الى رئيس الوزراء [٢] في (٢ تموز ١٩٤٦) ، الى ضرورة اعادة النظر في سياسة الحكومة واطلاق حرية الصحف المعطلة والكف عن التضييق على الحريات العامة ، بما فيها حرية النشر والاجتماع والاحزاب والتظاهر ، وفسح المجال للاحزاب لتمارس حقوقها كاملة غير منقوصة.

وأشار الجادرجي خلال محاكمته في آب ١٩٤٦ ، الى اعتقاده بان الاحزاب والصحافة في البلاد الديمقراطية اذا لم تكن حرة فانها لن تستطيع مزاولة اعمالها ، وعلى هذا الاساس فانه ينشر ما يصدر في جريدته بصرف النظر عن كونه مضعف للحكومة او غير ذلك .

ونبه الجادرجي في مذكرة رفعها الى رئيس محكمة التمييز في (٢٦ تشرين اول ١٩٤٦) ، الى ان الاجراءات التي اتخذتها الحكومة باحالة رجال الصحافة والسياسة الى المحاكم لم يكن القصد منها سوى ضرب الحياة الحزبية وخنق الصحافة، مؤكدا على ان رئيس الوزراء [٣] لم يستعمل طريقة سوق الاحرار الى المحاكم الا لانه لم يتمكن من استصدار مرسوم بتعطيل احكام القانون الاساسي .

وفي الاول من كانون اول ١٩٤٨ ، اصدر الجادرجي بيانا ، استعرض فيه اساليب السلطة في مكافحة الحياة الحزبية ، مشيرا الى ان الفئة الحاكمة التي لا يمكن ان تعيش الا في دور ديكتاتوري ارهابي لا يسعها ان تفسح المجال لحزب يعمل في سبيل النظام الديمقراطي ، لانه اذا ما تحقق هذا العهد الذي يهدف الحزب الى ان يكون الحكم فيه (من الشعب وللشعب والى الشعب) ، وأكد ان السلطة حرمت حزبه الذي انشيء على اساس العمل في ظل الدستور من ممارسة حقوقه ، كما حرمته من جميع وسائل العمل الدستورية ، كما انه اعلن في البيان المذكور تجميد نشاط الحزب احتجاجا على تلك الاوضاع .

وفي مذكرته الى الوصي عبد الاله في ٢٨ تشوين اول ١٩٥٢ أكد الجادرجي على ان بذور الفساد اخذت تنمو في البلاد بمقياس واسع، فكوفحت الاحزاب الناشئة وصحافتها اشد المكافحة ، واتخذ من القضاء وسيلة لمحاربتها ومحاسبة صحافتها وفقد القضاء استقلاله نتيجة مداخلات السلطة التنفيذية المستمر في اعماله .

وانتقد الجادرجي في مذكرة رفعها الى رئيس الوزراء (جميل المدفعي) في (١ شباط ١٩٥٣) ، الاجراءات التي اتخذتها وزارة نور الدين محمود التي تشكلت في اعقاب انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ ، وخاصة فيما يتعلق منها بحل الاحزاب ، مشيرا الى ان ذلك يخالف من حيث المبدأ نظام الحكم القائم في العراق ، والذي يستند الى تفريق السلطات وقيام جهاز برلماني تعتبر الحياة الحزبية من مقوماته وشوطا اساسيا لوجوده . وأكد في تلك المذكرة على ان تعطيل الحياة الحزبية معناد في الواقع تعطيل الدستور من الناحية العملية وقيام دكتاتورية سافرة تزيد حالة البلاد سوءا على حد قوله .

كما طالب في مذكرة رفعها الى رئيس الوزراء في (٢٩ تموز ١٩٥٣) ، بضرورة اتخاذ اجراءات فورية لالغاء الادارة العرفية [٤] واعادة الحياة الحزبية واطلاق حرية الصحافة وسائر الحريات الديمقراطية .

المحور الثاني

موقفه من الانتخابات النيابية

أشار الجادرجي في مواضع متعددة من مذكراته ، الى ضرورة العمل على تحقيق حياة ديمقراطية نيابية برلمانية ، بما يستلزم مسؤولية الوزارة امام مجلس نيابي منتخب وتطبيق نظام الانتخاب المباشر وتقسيم العراق الى دوائر انتخابية .

وفي الانتخابات النيابية التي اجرتها الوزارة السعيدية التاسعة في آذار ١٩٤٧ ، وافق الجادرجي على مشاركة حزبه (الوطني الديمقراطي) فيها ، مشيرا الى ان اشتراك الحزب في تلك الانتخابات لم

يكن الا لحمل الشعب على ممارسة حقوقه الدستورية ، وعلى امتحان رجال الحكم في اثبات صدق نواياهم وتصريحاتهم .

وعلى الرغم من فوز الحزب باربعة مقاعد نيابية [٥] في المجلس المذكور ، فقد اصدر الجادرجي بيانا في (١٧ آذار) ، اعلن فيه انسحاب حزبه من المجلس مشيرا الى ان الانتخابات كانت صورية ، زورت فيها ارادة الامة ، وطالب بحل المجلس النيابي واجراء انتخابات حرة .

وحذر الجادرجي في مذكرة رفعها الى رئيس الوزراء (محمد الصدر) في (٢٧ مايس ١٩٤٨) ، من استغلال الادارة العرفية التي اعلنت في العراق لغير الغرض الذي اعلنت من اجله ، مشيرا الى انها اخذت تستغل من قبل بعض السلطات الحكومية المحلية لتهديد بعض المرشحين للنيابة بعدم ترشيح انفسهم والا احيلوا الى المحاكم امام المجالس العرفية العسكرية .

وعلى اثر انسحابه من الانتخابات التي اجرتها وزارة الصدر ، اصدر الجادرجي بيانا أشار فيه الى ان منافسه علي ممتاز الدفتري ، قد ضرب بجميع الاعتبارات عرض الحائط ، فسيطر على المختارين بمختلف الوسائل وسلك سلوكا يتنافى مع مبادئ الانتخاب .

وفي (٢٥ مايس ١٩٤٩) كتب الجادرجي مقالا افتتاحيا في جريدة صوت الاهالي بعنوان " المعارضة في المجلس النيابي واثرها لدى الشعب " استنكر فيه دور الحكومة وتدخلها في الانتخابات النيابية ، وقد اعتبرت الحكومة ذلك المقال تجاوزا واهانة لها ، فقررت احالته الى محكمة جزاء بغداد في حزيران ١٩٤٩ ، وفي دفاعه امام المحكمة أشار الجادرجي الى انه لم يستهدف غير معالجة قضية في غاية الخطورة ، وهي اظهار المجلس النيابي على حقيقته للشعب ، واظهار قيمة النائب الحر ، والتأكيد على قيمة المعارضة وفائدتها اذا كانت مؤلفة من

اعضاء انتخبوا انتخابا حرا . مؤكدا على ان الشعب بدأ يدرك ان الوضع القائم الذي تشكو منه البلاد لا يمكن اصلاحه الا عن طريق الانتخابات الحرة .

وأكد الجادرجي في خطابه امام مؤتمر الحزب الوطني الديمقراطي عام ١٩٥٠ ، على ان السبيل الوحيد لمعالجة مشاكل المجتمع هو العمل الديمقراطي ، ودعا الى ان تكون لمجلس الامة سلطة واضحة على السلطة التنفيذية ، كما شدد على ضرورة تعديل قانون الانتخاب وجعله على درجة واحدة ، وتأليف حكومة يطمئن اليها الشعب لاجراء انتخابات حرة تنبثق عنها حكومة يطمئن اليها الشعب.

وتحدث الجادرجي امام مؤتمر البلاط في نيسان ١٩٥٣ قائلا :

" ان حزبه لا يعترف بشرعية المجلس القائم لعدم صحة انتخابه، لانه يعتبر الاكثرية فيه مصطنعة لا تمثل الا اصحاب المصالح الخاصة . وكذلك فانه يعتقد بان الشعب العراقي لا يرتاح لتأليف وزارة برئاسة نوري السعيد من هذه الاكثرية . لان مثل هذا الحكم لن يستند الا الى الاضطهاد وخنق الحريات . اما بصدد الانتخابات فانه أشار الى ان الشعب العراقي يتوق دائما الى اجراء انتخابات حرة كي يحصل على النظام الديمقراطي الذي ينشده .

وعندما دعت الوزارة ارشد العمري الى اجراء الانتخابات الجديدة في (٩ حزيران ١٩٥٤) ، اعلنت الاحزاب السياسية استعدادها لخوض تلك الانتخابات ، وعملت على تشكيل (جبهة وطنية انتخابية) في ١٢ مايس ١٩٥٤. وقد وصفت تلك الجبهة بانها ضرورة املتها الاهداف الشعبية ، تقع عليها مسؤوليات جسيمة في ذلك الظرف الدقيق الذي تمر به البلاد .

وقد حددت الجبهة الوطنية الانتخابية مطاليبها بما يلي :

١- اطلاق الحريات الديمقراطية كحرية الرأي والنشر والاجتماع والتظاهر والاضراب وتأليف الجمعيات وحق التنظيم السياسي والنقابي .

٢- الدفاع عن حرية الانتخابات .

٣- الغاء معاهدة ١٩٣٠ والقواعد العسكرية وجلاء الجيوش الاجنبية .

وعلى اية حال فقد خاض مرشحو الجبهة الانتخابات التي جرت يوم (٩ حزيران ١٩٥٤) وكان عددهم (٣٧) مرشحا ، لم يفز منهم سوى احد عشرة مرشحا [٦] .

ويصف الجادرجي ذلك المجلس في مذكراته قائلا : " على الرغم من ان مجلس عام ١٩٥٤ لم يجتمع سوى اجتماعا واحدا في ٢٦ تموز ١٩٥٤ ، كان الاول والاخير ، حيث صدرت الارادة الملكية بتعطيله ، الا انه ظل يحتل اهمية تاريخية كونه اخر مجلس يضم عددا من النواب المعارضين ، ولان نوري السعيد سارع الى حله ليتخلص من المعارضة وقيل في احيان كثيرة للتخلص من كامل الجادرجي " .

وعارض الجادرجي بشدة الانتخابات التي دعت اليها وزارة السعيد الثانية عشرة ، فقد أشار في بيان اصدره بصفته رئيسا للحزب الوطني الديمقراطي ، الى ان الانتخابات ستكون اشد ارهابا ، واكثر تزويرا من الانتخابات السابقة ، وان المجلس الذي ينبثق عنها سيكون معد سلفا لاقرار المشاريع الاستعمارية الخطيرة ، واعلن عن مقاطعته للانتخابات ودعا الشعب الى مقاطعتها .

موقفه من الدستور (القانون الاساسي)

أشار الجادرجي في مذكراته الى مسألة احترام الدستور وتطبيق ما ورد فيه، وخاصة ما يتعلق بحقوق الشعب وعلاقته بالسلطة ، ودعا الى الفصل التام بين السلطات الثلاث التنفيذية ، والتشريعية ، والقضائية، مؤكدا على وجوب استقلال القضاء .

فقد تضمنت المبادئ الشعبية التي اعلنتها جماعة الاهالي في هذا المجال على ان : " وجود الدولة ضرورة لضمان الاطمئنان والرفاه والتقدم للشعب ، على ان تكون هذه الدولة ذات سيادة داخلية وخارجية تامة ، والسيادة للشعب لا تنفك عنه ، وان تكون من حيث علاقة الافراد بها دستورية ديمقراطية .

وفي المذكرة التي وضعها الجادرجي وآخرون [٧] ، والتي كان من المقرر تقديمها الى (ستافورد كريبس Stafford Kripps) [٨] أكد على ضرورة تطبيق احكام الدستور العراقي بصورة فعلية وافساح المجال لتكون السلطتين التشريعية والقضائية في المكان الذي يليق بهما في بلد دستوري ديمقراطي .

وقد أشار الجادرجي في المذكرة التي اسماها " الاشتراكية الديمقراطية " في (١٥ آب ١٩٤٧) التي قدمها الى الهيئة الادارية للحزب ، الى انه يدعو الى تحقيق الاشتراكية بالوسائط الديمقراطية عندما تكون الوسائط الديمقراطية متيسرة ، اما اذا سدت بوجه الشعب جميع السبل الديمقراطية ، فلابد آنذاك من اللجوء الى استعمال القوة ، مشيرا الى ان مفعول القوة يجب ان يقف عند حده حينما تتحقق الديمقراطية ، أي حينما يسترد الشعب حقوقه الدستورية وهذا ما اسماه بـ " حق الثورة " .

وربما يكون الجادرجي قد اراد بذلك تبرير اشتراكه في انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ .

وأكد الجادرجي في البيان الذي اصدره في الاول من كانون اول ١٩٤٨ ، على ان استئثار الهيئات التنفيذية بالسلطة ادى الى خرق الحريات وحل الاحزاب والقضاء على حرية الصحافة وفقدان القضاء لمكانته التي يتمتع بها ، واصبح البرلمان اداة بيد السلطة التنفيذية تسيره كيفما تشاء ، بدلا من ان يكون هو مصدر السلطة يفوضها لمن يشاء .

دعا الجادرجي وزارة الايوبي الثانية [٩] ، الى المبادرة السريعة لالغاء الاحكام العرفية ، والقيام بتأليف لجنة لوضع اسس لحماية الدستور من العبث ، وسن قانون لمحاكمة الوزراء والموظفين الذين يعتدون على الحريات الشخصية والدستورية .

وكتب الجادرجي بتاريخ ١٨ كانون اول ١٩٤٩ ، مقالا افتتاحيا بعنوان " ارتياح كئيب " ، أشار فيه الى ان الطبقة الحاكمة في العراق قد اتجهت بنظام الحكم اتجاها ديكتاتوريا ، فضربت الحريات الدستورية، وتلاعبت بالقوانين ، واشاعت المحسوبية والمنسوبية ، وتدخلت في حرية الافراد ، واستغلت الحكم من اجل الاثراء غير المشروع . كما أشار في المقال المذكور الى ان القضاء العراقي فقد استقلاله بصورة لم يسبق لها مثيل .

ويقول الجادرجي في مذكراته ان ميثاق الجبهة الشعبية [١٠] ، أكد على ضرورة ايجاد وضع سياسي يقوم على تطبيق القانون الاساسي والتمسك باحكامه التي تعد من اهم اركانه مسؤولية الوزارة امام مجلس منتخب انتخابا حرا مباشرا والعمل على تحقيق نظام دستوري مقيد بالقانون ، وتأمين استقلال القضاء .

وأكد الجادرجي في مذكرة رفعها الى الوصي عبد الاله في ٢٨ تشرين اول ١٩٥٢ ، على ان عدم التقيد بالقانون الاساسي من ناحية حقوق الملك وواجباته في الحدود المعينة لها كان سببا مهما لخرق سائر مواده من قبل السلطة التنفيذية وجعله معطلا من حيث الواقع ، وحمله مسؤولية الوضع الشاذ الذي تعيشه البلاد .

وناشد الجادرجي ، الملك فيصل الثاني في مذكرة رفعها اليه في (١٨ مايس ١٩٥٣) ، بضرورة انهاء الوضع الشاذ الذي تعيشه البلاد، والعمل على الغاء الاحكام العرفية واحترام احكام الدستور لتتحقق سيادة الشعب التي هي اهم مقوماته .

ويلخص الجادرجي تقييمه لطبيعة نظام الحكم فيقول اثناء حديثه مع المستر فريمن (١١) : " ان العراق كما تعلمون يحكم نظريا بواسطة نظام دستوري برلماني ديمقراطي ، ولكن هذه النظرية غير مطبقة عمليا بالمرة ، فليس هناك انتخابات حقيقية ولا برلمان يحاسب الوزارات . وان الحريات السياسية المضمونة في الدستور غير محترمة . فهو يحكم في الواقع حكما دكتاتوريا " .

المحور الرابع

موقفه من الحريات العامة

دعا الجادرجي الى احترام الحريات الشخصية ، مؤكدا على ان النظام الديمقراطي الصحيح لا يمكن ان ينشأ وينمو الا في جو مشبع بالحريات تصان فيه كرامة الانسان وتضمن له حقوقه الفردية . ويمكن توضيح موقفه من خلال الاحداث التالية :

أولا : حرية التظاهر

آ- مظاهرة ٢٨ حزيران ١٩٤٦

عندما تصدت الشرطة للتظاهرة التي قام بـــها حـــزب التحـــرر الوطني وعصبة مكافحة الصهيونية [٦٢] ، والتي اســـفرت عـــن مقتـــل خمسة اشخاص وجرح آخرين . اصدر الجادرجي بصفته رئيسا للحـــزب الوطني الديمقراطي بيانا استنكر فيه ممارسات الشرطة واطلاقها النـــار على المتظاهرين ، مؤكدا على خطورة الحادث كونـــه يتعلـــق بحريـــات الشعب وحياة الافراد . وفي اليوم نفسه نشرت جريدته " صوت الاهـــالي " تعليقا أشارت فيه الى ان الوزارة لا تســـتند الـــى احـــترام الحريـــات الديمقراطية التي لم يمض على اطلاق بعضها بضعة اشهر .

وطالب الجادرجي في مذكرة رفعها مع بقية رؤساء الاحـــزاب الى رئيس الوزراء في (٢ تمـــوز ١٩٤٦) ، بالاســـراع فـــي انقـــاذ الموقوفين من الاوضاع التي يعانونها داخل السجن والتي وصفها بانـــها منافية للقوانين .

ب- اضراب عمال النفط في كركوك ١٩٤٦

وقف الجادرجي وجريدته الى جانب العمال الذين اضربوا فـــي تموز ١٩٤٦ ، واستنكرت جريدته موقف الحكومة واجراءاتـــها ضـــد المتظاهرين ، ووصفت الحكومة بانها لا تحترم الحقـــوق الديمقراطيـــة فحسب ، بل تسترخص ارواح افراد الامة.

وشن الجادرجي حملة صحفية عنيفة ضد الحكومة ، فكتب عددا من المقلات منها " الغاية الخفية وراء خطة الحكومة الحالية " بتـــاريخ ١٠ تموز ١٩٤٦ و " الحادث المؤسف في كركوك - بيـــان الحكومـــة يكشف عن اعمالها الاعتدائية " بتاريخ ١٥ تموز ١٩٤٦ ، و " اطـــلاق الرصاص على المتظاهرين " في ١٨ تموز ١٩٤٦ . وقد عدت الحكومة المقالات المذكورة بمثابة الدعوة لتحريض الرأي العام ضـــد الحكومـــة واضعافها لغايات غير حسنة واثارة الكراهية والبغضاء بيـــن الطوائـــف والتحريض على التمرد والعصيان ، لذلك قررت احالته الى القضاء .

ج- مساندته لاضراب عمال نفط البصرة ١٩٥٣

وقف الجادرجي وحزبه الى جانب العمال المضربين ، وساند اضرابهم منذ اللحظة الاولى . فقد كتبت جريدة صوت الاهالي في ١٤ كانون اول ١٩٥٣ مقالا بعنوان " لماذا تقف الحكومة في جانب اصحاب العمل ضد العمال " .

كما اصدر الجادرجي بيانا في ١٦ كانون اول ، أشار فيه الى امتعاض الحزب من موقف الحكومة ، واستنكر اعلان الاحكام العرفية ، ودعا الى تطبيق الحكم الدستوري الديمقراطي . كما حذر الجادرجي في مذكرة رفعها الى رئيس الوزراء في (٢٧ كانون اول) المسؤولين من مغبة حكم البلاد بالطرق الديكتاتورية . وأشار الى ان الحزب الوطني الديمقراطي يحمل الحكومة مسؤولية هذا الاتجاه الخطر الذي تنتهجه ويطالب بالغاء الادارة العرفية فورا وازالة الحالة الشاذة التي نشأت في المملكة على حد زعمه .

ثانيا : قضية السجناء

استنكر الجادرجي اجراءات الحكومة ضد السجناء في سجن بغداد من خلال المذكرة التي بعث بها الى رئيس الوزراء (جميل المدفعي) في ٢٢ حزيران ١٩٥٣ ، مؤكدا على ان الحادث روع المواطنين ، وانتقد اجراءات الحكومة التي وصفها بانها تفتقر الى الحكمة .

كما انتقد الاجراءات التي قامت بها الشرطة في سجن الكوت بتاريخ ٢ ايلول ١٩٥٣ ، وأكد في مذكرة مماثلة الى رئيس الوزراء في ١٠ ايلول ١٩٥٣ على ان تكرار وقوع مثل تلك الحوادث المفجعة لا يمكن ان يكون وليد الصدف المجردة ، وانما في الحقيقة تعبير عن عدم تقدير الحريات العامة للمواطنين ، وعدم الاكتراث بارواحهم ، ودعا في المذكرة نفسها الى اجراء تحقيق عاجل وجدي في ذلك الحادث وتعيين المسؤولين عنه .

الخاتمة

عرف كامل الجادرجي بدعوته للديمقراطية ، وقد حظيت الديمقراطية ، بنصيب وافر في مذكراته وهي كما يراها الجادرجي تقوم على التعددية الحزبية والحياة النيابية النزيهة والفصل التام بين السلطات ، وادرك الجادرجي ان تحقيقها يتطلب وجود رأي عام حر مدرك لحقوقه وواجباته ، يعتمد تكونه وتطوره على توفر احزاب وطنية وصحافة حرة ، ونية صادقة في العمل والاجتهاد .

لكن الجادرجي يبدو في حالات غير قليلة مثاليا ، غير واقعي في العديد من آرائه بصدد الديمقراطية ، فانه لم يأخذ بالحسبان واقع تخلف المجتمع فكريا وثقافيا واقتصاديا . فالعراق في تلك الفترة كان بلدا متخلفا يفتقر الى المؤسسات والتقاليد الحرة ، عاش لمئات السنين تحت انظمة استبدادية جائرة ، كما انه اغفل طبيعة الظروف التي كانت تسود المنطقة والعالم ، من حيث سيادة الانظمة الديكتاتورية والحرب الباردة والايديولوجيات المتطرفة . لذا فان فهمه للديمقراطية، ومحاولة تطبيقها في ظل الظروف التي مر ذكرها ، جعل افكاره الى حد ما غير واقعية .

فالديمقراطية لا يمكن ان تكون مجرد شعارات وامنيات ، بل لابد ان تكون حاجة فعلية كفيلة بخلق ادوات تحقيقها ، ويكمن في هذا تفسير حقيقة ان الجادرجي نفسه لم يكن ديمقراطيا دائما في تعامله ، في الاقل داخل حزبه الذي نشأ وترعرع في مجتمع تنقصه العديد من دعامات الديمقراطية ومستلزماتها .

كما ان الجادرجي في الانقلاب العسكري سنة ١٩٣٦ جعله عرضة لنقد الكثيرين على اساس انه سلوك يتنافى مع المفاهيم الديمقراطية التي كان ينادي بها .

الهوامش

١- وافقت وزارة الداخلية في نيسان ١٩٤٦ على اجازة خمسة احزاب سياسية هي : حزب الاستقلال ، وحزب الاحرار ، والحزب الوطني الديمقراطي ، وحزب الاتحاد الوطني ، وحزب الشعب .

٢- رئيس الوزراء هو ارشد العمري (١ حزيران ١٩٤٦ - ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٦) .

٣- يقصد به ارشد العمري .

٤- فرضت الادارة العرفية منذ ١٥ مايس ١٩٤٨ على اثر الحرب بين العرب والصهاينة ، وكان الغرض من اعلانها صيانة الجهاز الحربي من العبث والتخريب.

٥- استقال حسين جميل من المجلس ، اما النواب الثلاثة الاخرون فقد استمروا في المجلس وانسحبوا من الحزب وهم : جعفر البدر ، عبد الجبار الملاك ، وعبد الهادي البجاري .

٦- كان مرشحو الجبهة الذين فازوا في الانتخابات هم :
كامل الجادرجي ، حسين جميل ، محمد حديد ، جعفر البدر ، خدوري خدوري ، ذنون ايوب ، محمد مهدي كبة ، فائق السامرائي ، محمد صديق شنشل ، مسعود محمد ، وعبد الجبار الجومرد .

٧- اشترك في وضعها اضافة الى الجادرجي كل من : محمد حديد وعبد الفتاح ابراهيم .

٨- هووزير الدولة البريطاني ، الذي كان من المقرر ان يمر بالعراق اثناء زيارته للهند عام ١٩٤٢.

٩- وزارة الايوبي الثانية (١٠ كانون اول ١٩٤٩ - ٥ شباط ١٩٥٠) .

١٠- انبثقت الجبهة في ٣ حزيران ١٩٥١ من الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الجبهة الشعبية الذي تزعمه طه الهاشمي .

١١- عضو حزب العمال البريطاني والنائب في مجلس العموم البريطـاني زار العراق بوفد برلماني ، وقد زار الجادرجي بعد خروجه من السجن في ١٢ / ١ / ١٩٥٣ .

١٢ - يعدان واجهة للحزب الشيوعي السري .

تعقيب: المذكرات الشخصية مصدرا للدراسات التاريخية في العصر الحديث

عبد الرحمن الحبيب

يوم الخميس: ٣١/ ١٢/ ١٩٩٨ ، صباحا

١٣ رمضان ١٤١٩

اولا: ارى انه لزام ان يمهد لقراءة مختصرات الاوراق، بورقة تبين مفهوم المذكرات وتحديد مضامينها واصنافها: اليوميات والمذكرات العامة والمذكرات الشخصية ليصبح القارئ والسامع على بينة مما يدلي به الباحث.

ثانيا: لقد اهمل دور السلطة المحلية في صحة وشطط المذكرات الذاتية التي تنشر بتأثير الرقابة على ما ينشر وخاصة عندما يكون الرقيب غير محايد وغير موضوعي. وان دور الرقيب له اهميته في سلامة ما ينشر ودقته، وكذلك دور المشرفين على التحرير والطباعة وذلك عندما لايكون باستطاعة الكاتب او الناشر قراءة النص النهائي لما يكتبه. فكثيرا ما تسقط اجزاء من المتن او تحرف الكلمات والعبارات او تستبدل اعتباطا من قبل اناس لايحبذون القراءة ولا يفقهون ما يقرأون، ولله في خلقه شؤون.

٢/ ١/ ١٩٩٩

السيد رئيس الجلسة المحترم

تحية وتقديـــــــــــــــر

بالنسبة للدكتور العلاف اقول لم يقف قليلا في مرحلـــة تاريخيـــة مهمة من ثورة ١٤تموز وهو ان هناك فاصلا دقيقا بين تنظيم الضبـــاط الاحرار وساعة صفر الثورة فان تنظيم ضباط الاحرار بغداد لم يكن يعلم بساعة الصفر واداة تنفيذ بغداد بعيدة عــن اشــراف منظمــة الضبــاط الاحرار.

وكل ما في الامر ان استغاثة جاءت على شكل رسالة مــن عبــد السلام محمد عارف ومن اخيه عبد الرحمن محمد عارف وكان انـــذاك آمر كتيبة استطلاع فيصل والتي بدل اسمها الى كتيبة استطلاع صـــلاح الدين واشتركت الكتيبة في تنفيذ الثورة على اساس هــذه الرســالة. ان كثيرا من الكتب التي اثيرت عن الثورة كان قسم منها بعيدا عن احــداث ثورة ١٤تموز وتنفيذها كما رأينا من كتاب عن ثورة ١٤تموز عــن دور الضباط الاحتياط في تهيئة الرأي العام داخل المعســكرات فــي الثــورة بالنسبة للدكتور عماد عندما كنت موظفا في المشخاب (القنصلية ســابقا) وصدر كتاب فريق الفرعون كانت ملاحظاتهم تنصب على صفر س مــن المؤلف وسعيه واعطاء القيادة الى عشــيرته (ال فتلــة) اضافــة الــى اعتماده على الرواية وبذلك انا مؤيد لتحليل الدكتور عماد فـــي تحليلـــه لشخصية المرحوم فريق الفرعون في كتابه مع تقديري.

محمد جواد محمد عطا الغرابي

٣٠/ ١٢/ ١٩٩٨

لخالد العظم علاقة متينة بالفرنسيين كما انه يملك ضياعا وقـرى وورث اموالا طائلة موزعة بين سوريا وفلسطين ولبنان وكان عضـوا في غرف التجارة والصناعة والزراعة ويعتبر اكبر مساهم فـي شـركة الاسمنت المعروفة ورئيسا لمجلس ادارتها.

عند اندلاع الحرب العالمية عام١٩٣٩ تألفت وزارة برئاسة حسن الحكيم- مستقل- كان خالد العظم وزيرا للاقتصاد الوطني فيها في عـهد الرئيس هاشم الاتاسي.

عام١٩٤١ على اثر هزيمة فرنسا في الحـرب اظـهرت فرنسـا الشدة في سوريا وارسلت الجنرال داتز الى سوريا لتصديـق المعـاهدة وتشكيل حكومة... رفض الوطنيون ذلك فرشحه الجنرال داتز لرئاسـة الدولة وهكذا اصبح خالد العظم اصغر رئيس دولة في العـالم يومـذاك ٣١سنة.

وعندما تغلب الديغوليون على الفيشـيين فـي حزيـران ١٩٤١ وانسحب هؤلاء من سوريا اصبح خالد العظم الرئيس الوحيد المسـؤول عن البلاد واعلن يومها ان دمشق مدينة مفتوحة!! وبقي رئيسا للدولـة يصدر الاوامر لمدة ٢٤ساعة. كما اصبح (رئيسا لمجلس الميرة الاعلى) الذي كانت مهمته تموين الحلفاء ابان الحرب بالحبوب.

في شباط١٩٥٠ وبعد انقلاب المرحوم اديب الشيشـكلي سـاهم مساهمة فعالة معه وكان يتقلب في الحكم تارة وزيرا للخارجية وتـارة نائبا لرئيس مجلس الوزراء.. وعندما حدثت جريمة الانفصال كان العظم في لبنان وقد صرح للصحفيين قائلا: ان اسعد يوم في حياتي هو يـوم ٢٨ ايلول. وعند اجراء الانتخابات في عهد الانفصال كان احـد نـواب دمشق.. وعندما حصل انقلاب على الانفصـاليين فيمـا بينـهم وضـع العسكريون (الفيتو) على مأمون الكزبري ووافقوا على ان يكون العظـم

رئيسا للحكومة. دعا هذا الاخير المجلس النيابي الى الانعقاد في منزله واجتمعوا كما اراد فكانت سابقة في تاريخ المجالس النيابية في العالم. وظل رئيسا للوزراء حتى قيام ثورة ٨ آذار عام١٩٦٣ وفي الثامن من اذار زحفت الجماهير الوحدوية تريد الفتك به واحاطت بمنزله في منطقة الروضة الا انه التجأ الى السفارة التركية وبعد ان استقرت الامور سمح له بعد سنتين بمغادرة سوريا الى لبنان حيث وافته المنية في شباط ١٩٦٥ ودفن في لبنان.. وقد اوصى قبل وفاته لزوجته ليلى طه الرفاعي ان تعمل جهدها على نشرها وقد اتصلت زوجته بالصحفي اللبناني غسان تويني وعرضت عليه نشرها وبعد ان قرأها تخوف من بعض ما جاء فيها واعتذر عن النشر.. وبعد ست سنوات دارت المذكرات من يد الى يد وعادت لتظهر بدار رديفة لدار النهار للنشر والتوزيع ولتنشر مقتطفات منها في جريدة النهار تمهيدا لطبعها في كتاب.. وقد توقفت النهار عن نشر المقتطفات واتجهت الى معارفها ومعارف زوجها في الاقطار العربية. وكان السيد عمر المدني سفيرا للاردن في بيروت وعلى اطلاع وثيق بالامر. وحدثت حرب حزيران فسكتت عن الامر ولكن الايادي عبثت بالمذكرات.

وتقول زوجته في حديث صحفي الى مجلة الدستور الصادرة في لندن انها قبل ان تعرض المذكرات على احد استدعت الى بيتها ثلاثة من اصحاب الصحف السورية السابقين (هم انفسهم الذين كتبوا مذكرات خالد العظم- احمد عسة ونذير فنص وصاحب جريدة الصرخة الشيوعية والثلاثة يعتبرون من الد اعداء الوحدة والمرحوم عبد الناصر فكان العظم من الحاقدين على الوحدة العربية ودعاتها وعلى المرحوم عبد الناصر لهذا انصب حقد الاربعة في مذكراته باجزائها الثلاثة- وكان عدد النسخ المطبوعة ١٥٠٠نسخة.

وتقول زوجته انها اتصلت برئيس وزراء الاردن تستوضح عن مذكرات زوجها لكنها لم تتلق غير الوعود حتى ظهرت المذكرات مطبوعة في بيروت وعلمت ان دار النشر التي قامت بطبعها تعود الى يوسف الخال احد العاملين الرئيسيين سابقا في دار النهار والسيد عمر المدني السفير الاردني السابق مما دعا السيدة العظم باقامة دعوى على الناشر وعلى الجريدة.. لهذا فان مذكراته لايعتمد عليها على ما جاء بها وارفق طيا صورة من اقامة الدعوى.. مع التقدير والاحترام

يقول المرحوم احمد بهاء الدين: اثنان ماتا بحسرة.. الاول خالد العظم من سوريا والثاني كامل الجادرجي من العراق. كانت احلامهم وتطلعاتهم ان يكون كل واحد منهما رئيسا للجمهورية يقف على الشرفة وتحييه الجماهير.

ياسين الحسيني

عقدت في بيت الحكمة ندوة ليومي ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٨ و٣١/ ١٢/ ١٩٩٨ حول المذكرات الشخصية وكونها مصدرا للدراسة التاريخية في العصر الحديث تناول فيها اساتذة ودكاترة ومختصون البحث من مختلف جوانبه... وكانت لي خلالها المداخلة التالية:

١- المذكرات الشخصية.. كان الميل خلال البحث برسم السلبية لهذه المذكرات باعتبارها ذات توجه احادي يذكر فقط ايجابيات الكاتب، ان هذه المذكرات ما لم تكن معززة بوثائق فانه لايعتمد عليها.

وهنا اذكر ان كثيرا من الاحداث المهمة وذات المفاصل المؤثرة لم يكن فيها اكثر من شاهد واحد وليس فيها وثيقة..

وعلى سبيل المثال اذكر الحدث المهم التالي:

خلال فترة حكم عبد الكريم قاسم كان الصراع بين الاتجاه الشعوبي والاتجاه القومي الذي كان يهيء نفسه للمجابهة الحادة زارني يوم الخميس ١٩٥٩/٣/٥ بشكل مفاجيء زميلي في كلية الاركان الرئيس الركن نافع داود ونحن خريجا دفعة واحدة هي الدورة الرابعة والعشرون وكنت اشغل وقتها موقع رئيس الشعبة السادسة المسؤولة عن الملحقين العسكريين في مديرية الاستخبارات العسكرية وفي نفس الوقت اشغل منصب ضابط ركن مكتب مدير الاستخبارات العسكرية وكانت الاتصالات تتم عن طريق هذا المكتب..

وفي هذه الفترة التي اتحدث فيها كان اخي الكبير المؤرخ المعروف خليل ابراهيم حسين الزوبعي معاونا لمديرية الاستخبارات العسكرية. استغربت هذه الزيارة المفاجئة من قبل الرئيس الركن نافع

وهو يشغل ضابط ركن في اللواء الخامس ومقره الموصل والذي يرأسه العقيد الركن عبد الوهاب الشواف.

وعكست له استغرابي.. وقلت له كيف تترك الموصل في هذه الفترة.. ردّ عليّ انه جاء لزيارة خطيبته.. قلت له، هل هذا وقتها.. وبعد ان جلس لفترة قال: اريد ان اقابل العقيد رفعت الحاج سري مدير الاستخبارات.. قلت له الان ارحتني...

واخبرت العقيد رفعت بمجيء الرئيس الركن نافع من الموصل وانه يريد مقابلته موفدا من قبل آمر اللواء الخامس العقيد الركن الشواف.. وقال، ليأتِ.. اصطحبت الرئيس الركن نافع الى مقر العقيد رفعت، بعدها هممت بالخروج ولكن العقيد رفعت طلب مني البقاء... بعدها اخرج الرئيس الركن نافع ظرفا وسلمه الى العقيد رفعت وكان بداخله ورقتان.. وبقلمه شذّب بعض الفقرات بعدها سلم الورقتين لي.. وخلال اطلاعي عليهما وجدتهما يحويان البيان المقرر اذاعته من الموصل عند بدء الثورة... وفعلا اذيع نفس البيان يوم ١٩٥٩/٣/٨ وسأل رفعت عن الموعد المقرر للانتفاضة فاجابه نافع ان الاحد او الاثنين القادم.. وقال رفعت هل تحتاجون شيئا اجاب نافع ان الشواف يتساءل هل انتم مستعدون.. اجاب رفعت ان الامور مرتبة، ثم طلب مني رفعت ضمان سفر نافع الى الموصل..

ودون ذكر تفاصيل ماحدث بعدئذ، فاني هنا احيل المتتبع الكريم الى مجلة افاق عربية، عدد كانون الثاني ١٩٨٦ تحت عنوان (الذاكرة التاريخية لثورة ١٤تموز) الذي فيه تفاصيل الواقعة في الصفحة ١٦٦.

واشارتي هنا حول المذكرات الشخصية ومن ان مثل هذه الوقائع لا وثائق لها الا طبيعة كاتبها ونشأته وصفاته.. وهي ترسم المنحى الذي يتعامل فيه المؤرخ والباحث مع مثل هذه المذكرات.

٢- كان الاتجاه خلال الحوار والمداخلات يعتبر الوثيقة والى حد كبير مصدرا مطمنا لحقيقة الحدث.

وتعقيبي على هذا.. ان شاغل موقع معين عند لقائه ممثلي احزاب او رؤساء بعثات لدول اخرى اومعايشته لاحداث ومتغيرات معينة يقوم بتدوين الحدث من وجهة نظره ويرفعها الى مرجعه..وهنا يتشابك واقع الحدث بالرأي الشخصي.

نعم؛ الوثيقة مهمة ولكن يجب ان لايغيب عن بالنا ان كاتبها عكس فيها نظرته الشخصية..

اذا هي مزيج بين الواقع ورؤية كاتبها وتحليله.

٣- المذكرات الشخصية والوثيقة يعتمد كلاهما على انطباع لاعب الدور بالحدث، وتبقى قدرة وامانة تدوينها من قبله (لاعب الدور) في الاقتراب من رسم صورة الحدث.

وهنا يبرز دور الباحث في امكانية الفرز واقتناص الحقيقة بصياغة توازن بين الوثيقة والمذكرات.

٤- المذكرات يمكن ان يكتبها صاحب الحدث وشاهده او شخص اخر له مواصفات الباحث او المؤرخ او الصحفي المتمكن.

وفي ساحتنا لم اجد اهتماما ملحوظا لباحث اومؤرخ تابع ودوّن احداث لاشخاص يمثلون مفاصل وركائز لاحداث مهمة رسمت تاريخا معينا.

ان هذا التدوين يسد ثغرات، عبرها يتم رسم صورة متكاملة لفترة تاريخية معينة.

واحث هنا الباحثين والمؤرخين لان يقوموا بهذا الدور خدمة لتاريخ وطنهم وامتهم.. وليس كل صاحب حدث وشاهده تتوفر له فرص

كتابة مذكراته.. وعليهم متابعة من بقي حيا معـاصرا لاحـداث مهمـة مضى عليها زمن طويل..

وعلى سبيل المثال احداث ثورة ١٩٤١ (ثورة مـايس) فـلازال بعض رجالها احياء يرزقون اطال الله في عمرهم.

فاروق صبري الخطيب
سفير سابق
١/ ١/ ١٩٩٩

تعقيب الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني
الخميس ٣١/ ١٢/ ١٩٩٨

اود ان اسجل بعض الملاحظات تتعلق بالمرحلة التاريخية التي عاشتها الامة العربية خلال حقبة الاربعينيات والخمسينيات من هذا القرن.

١- ان وضع الامة تقرره ثلاثة او اربعة اقطار عربية هي مصر والعراق والسعودية وسورية، لذلك في الوقت الذي تكون فيه هذه الاقطار في حالة تعاون او اتفاق او نهضة وفي حالة مد جماهيري تحقق الامة نتائج كبيرة، لذلك فان المد القومي الجماهيري في سنوات الخمسينات كان قويا بفضل التقارب السوري- المصري الذي انضمت اليه السعودية لسبب او لاخر. وهذه الحقيقة لوطبقناها على الواقع العربي نلمس بوضوح حقيقة مفادها ان العدوان الامريكي الصهيوني لم يتم او لم يحقق اهدافه لو وقفت مصر او السعودية او سورية الى جانب العراق ولم تقف الى جانب المؤامرة التي نفذت ضد العراق.

٢- الشارع العربي وحركة الجماهير العربية وحركتها الثورية هي الكفيلة بحفظ التوازن ومنع التدهور والتداعي لانها تفرض على الانظمة العربية عدم التنازل عن الحدود الدنيا للعمل الوطني والقومي، لذلك فان ضعف العرب اليوم مرده غياب الشارع العربي المنظم وتقوية اجهزة الانظمة القطرية وسلطاتها وتزايد وسائل القمع لديها، وهذه الحقيقة اشرها المؤتمر القومي الثاني عشر لحزب البعث العربي الاشتراكي.

٣- ان سورية كانت ساحة ساخنة للصراع والتنافس بين الزعامات العربية الثلاث (العراقية- السعودية- المصرية) وقد تصدت كل من

مصر والسعودية لمنع تقارب سورية مع العراق وهذا يتفق وينسجم مع اهداف ومصالح الغرب، وبذلك ضاعت فرصة او امكانية اقامة دولة عربية موحدة في المشرق العربي بسبب هذا الصراع والتنافس الذي يفرق الامة ويجزئها، وفي هذا التجمع الفكري والعلمي اقول ان تقارب او تحالف اوجده سورية والعراق تشكل احد اهم العناصر في قوة العرب في مواجهة الخطر الصهيوني ومواجهة الاقطار المجاورة.

٤- نحن ندرك اهمية التدقيق والتأكد من وجهات النظر التي تطرح بدوافع واسباب شخصية وفيها تحامل على رموز وشخصيات قومية عربية كجمال عبد الناصر.

ولكن في المقابل يجب ان تكون نظرتنا للامور متوازنة وتخلو من المبالغة، وجرى الحديث عن الوحدة وجمال عبد الناصرويوصف وبحماس بانه رمز للقومية العربية والوحدة العربية في حين اني ارى ان نطرح الموضوع بشكل اخف من ذلك وذلك لان:

أ- عبد الناصر لم يحقق وحدة عام١٩٥٨، بل جققها وقدمها السوريين وحزب البعث والجيش السوري، وهو الذي فرض الصيغة التي تفشلها.

ب- كان يتحمل جزء كبيرا من مسؤولية افشال هذه التجربة لانه كان رئيسها.

جـ- كان سببا في افشال تجربة وحدوية (الميثاق الثلاثي عام١٩٦٣).

د- تصدى للعراق في موضوع الكويت خلال حكم عبد الكريم قاسم.

هـ- لايمكن ان نعفيه من مسؤولية هزيمة حزيران ١٩٦٧ لذلك فان هناك خللا بينا وواضحا في قضايا مصيرية كبيرة.

الرئيس جمال عبد الناصر ليس مسؤولا عن ردة الافعال في ٢٨ ايلول.

دوليا: تآمر الشرق والغرب على وحدة ٥٨

عربيا: تآمرت الرجعية العربية الموالية للغرب على وحدة ٥٨.
محليا: تآمرت البرجوازية السورية التي تضررت بقرارات التأميم على الوحدة.

انصافا للحقيقة ان ٩٠% من الشعب العربي في سوريا كان مع الوحدة والاخطاء التي جرت في عهد الثورة لاتبرر جريمة الانفصال.

وحدة ٢٢ شباط ١٩٥٨

اهم الاسباب التي ادت الى جريمة الانفصال في ٢٨ ايلول ١٩٦١ هي:

التآمر الدولي: اتفق الغرب والشرق والصهيونية العالمية على محاربة هذه الوحدة.

التآمر العربي: تآمر الرجعية العربية على الجمهورية العربية المتحدة وعلى قيادتها.

التآمر المحلي: تآمر بعض شرائح من البرجوازية السورية التي تضررت من قرارات التأميم وبعض بقايا الاحزاب الرجعية كما ساهمت اجهزة الاعلام الامبريالية والرجعية العربية والاذعات المعادية على تضخيم بعض الاخطاء الصادرة عن الاجهزة الامنية علما بان أي خطأ مهما كبر لايبرر جريمة الانفصال اضافة الى ان ٩٠% على الاقل من الشعب العربي في سورية كان يؤمن بالوحدة ووقف ضد الانفصال في اول يوم وقدم الضحايا.

ميثاق الوحدة الثلاثية في ١٧ نيسان ١٩٦٣

لقد كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر رحمه الله قوميا عربيا ووحدويا اصيلا احب العرب فاحبوه انقذ مصر من دعوة الفرعونية التي كرس لها الاستعمار كل وسائله وجادا بدعوته للوحدة. ولكن بعض اعضاء قيادته من مجلس الرئاسة لم يكن متحمسا للوحدة. كذلك بعض

اعضاء القيادة السياسية السورية لم تكن ترغب في الوحـــدة وخاصـة بعض اعضاء اللجنة العسكرية السابقة يؤازرهم عدد من تنظيم القطريين الذين انشقوا عن الحزب بعد المؤتمر القومي الخامس الذي عقـــد فـي حمص، ايار ١٩٦٢ لكنهم عادوا اليه بعد ثورة ٨آذار ١٩٦٢ وكـــانوا احد اسباب فشل بيان ١٧ نيسان ١٩٦٢ وقد استفز هذا الفريـــق مـن القيادة السورية الرئيس عبد الناصر بعدد من الاجراءات منها: تســريح عدد كبير من الضباط الناصريين بعد توقيع الاتفاقية وعودة الوفد الـــى القاهرة قبل ان يجف القلم والحملات الاعلامية على الجمهورية العربيـة المتحدة ورئيسها وقمع التظاهرات وبعض التصرفات التي لاتخدم الوحدة باي شكل من الاشكال وللتاريخ اقول ان مسؤولية فشل ميثاق الوحـــدة الثلاثية تقع في شق منها على فريق من القيادة السياسية السورية وفي شق اخر على القيادة السياسية المصرية. ولو استمرت الوحدة لما عانت امتنا الكثير من النكسات التي تعرضت لها.

د. غسان محمد رشاد حداد

المحتويات

*اسم الكتاب:المذكرات الشخصية مصدراً لكتابة التاريخ

*مجموعة باحثين

*بيت الحكمـــــة/ بغداد

*الطبعة الاولى /٢٠٠١

هذا الكتاب

لا يختلف الباحثون في التاريخ الحديث والمعاصر بشأن اهمية الوثيقة في الكتابة التاريخية وفي الاعتماد على المذكرات الشخصية في دعم المعلومات التي تتضمنها الوثائق. مع ان هناك رؤية نافذة وناقدة للواقع التاريخي للمعلومات التي تسلط الضوء على الاحداث التاريخية التي تمثل منعطفا في التفسير والاستنتاج لا سيما فيما يختص بمؤلفات المذكرات الشخصية، فهي انما تعبر عن رأي كاتبها وصاحب المذكرات فيها حيث تتدخل عوامل عديدة في صياغتها وصياغة مفرداتها اللغوية والمشاهدات الشخصية التي كان لصاحب المذكرات دور فيها.

ولما كانت المذكرات مصدرا للكتابة التاريخية فقد عقد قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة ندوة موسعة اسهم فيها عدد من الباحثين العرب والعراقيين ببحوث تناولوا فيها جوانب متعددة في الموضوع واسهم الحضور الكرام اسهاما ثرا في مناقشاتهم ومداخلاتهم.

■ بيت الحكمة / جمهورية العراق - بغداد

■ هاتف: ٣ـ ٤١٤١٢٠١ فاكس: ٠٨٨٦٢٠١٥٠ ص. ب: ٥٣٦٤٠

■ تصميم الغلاف: محمد السبعاوي

■ رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٥٤١

لسنة ٢٠٠١

طبع ابداع للتصميم والطباعة هـ ٧١٨٤٢٨٩